جامعة المنصورة
كلية التربية

التأصيل الإسلاميّ لمفهوم التربية الحضاريَّة وتطبيقاته التربويَّة

إعداد

الباحث/ مصطفى شكري عبدالحميد قاسم

إشراف

أ.د/ أشرف السعيد أحمد محمد
أستاذ أصول التربية
كلية التربية – جامعة المنصورة

أ.م.د/ حامد أحمد السيد شحاتة
أستاذ أصول التربية المساعد
كلية التربية – جامعة المنصورة

مجلة كلية التربية – جامعة المنصورة

العدد ١٢١ – يناير ٢٠٢٣

التأصيل الإسلاميّ لمفهوم التربية الحضاريَّة وتطبيقاته التربويَّة

الباحث / مصطفى شكري عبدالحميد قاسم

إنَّ اهتزازاتِ القِيَم – التي تسود العالَم– تجعل هذا العالَم في أمسِّ الحاجة إلى إسهام الإنسان المسلم في تقديم رؤيته؛ لإعادة بناء شخصيته، ومن ثمَّ إعادة بناء العالَم مِنْ خلال رؤية العالمَ الإسلاميَّة. خاصةً وأنَّ الأُمَّة العربيَّة والإسلاميَّة قد أظلتها قِيَم الحداثة وما بعد الحداثة، بمساعدة "قوى العولمة ووسائلها الإعلاميَّة الطَّاغية التي أدخلتْ كثيرًا مِنْ قِيَمِهَا إلى كل بيتٍ، وأسهمتْ في تنميط القِيَمِ، في مختلف مجالات الحياةِ الفرديَّةِ والاجتماعيَّة" (١).

في حقيقة الأمر "للقِيَم بُعْدَيْن متلازميْن: البُعد الأول يمثِّل القِيَم في أصلها الثَّابت الذي يرتبط بالفطرة البشريَّة، والمشتركات الإنسانيَّة، وقاعدة التعارف والتآنس، وهو البُعد المطلق من القِيَم الذي يتحكَّم في فكر الناس وسلوكهم وعلاقاتهم. والبُعد الثاني يمثِّل القِيَم في مجالات تطبيقاتها المُتَغيِّرة في الزمان والمكان والإنسان"(٢)، وما التأصيل الإسلاميّ للمفاهيم إلا أنموذجًا حيًّا لكلا النوعيْن مِن القِيَم: الأول: المطلقة الثابتة (قيم الغايات) و"هي التي تُطْلَب لذاتها، ولا تتغير بتغير الزمان والمكان والأحوال، وتتحدد في الدراسات الفلسفيَّة بمثلث القِيَم العُليا: الخير والحق والجمال. وتتحدد في الدراسات الدينيَّة – حسب توجُّهات الفِرَق الكلاميَّة بـ: التوحيد والنُّبوة والمعاد. وتتحدد في الدراسات الحضاريَّة بـ: التوحيد والتزكية والعمران"(٣)، أما المرنة المتغيرة (قيم الوسائل) فـ"هي التي تُطْلَب لغيرها، أي وسيلة تُكْتَسب لتحقيق قيمة أخرى أعلى منها، وهي ذات طبيعة نسبيَّة تتغير بتغير الزمان والمكان والأحوال"(٤).

---

(١) فتحي حسن ملكاوي: "التأصيل الإسلامي للقيم" **إسلامية المعرفة**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد ٥٤، السنة ١٤، خريف ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص١٨

(٢) سيف الدين عبد الفتاح: مُدخل القيم: إطار مراجعة لدراسة العلاقات الدولية في الإسلام – **الكتاب رقم (٢) من سلسلة مشروع العلاقات الدوليَّة في الإسلام** (القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م) ص٢١

(٣) فتحي حسن ملكاوي: **التأصيل الإسلامي للقيم**، مرجع سابق، ص١٩

(٤) **نفس المرجع السابق**.

وهكذا يكون "التَّحَرُّك في إطار ثابت تحققه فكرة التوحيد باعتبار [أنَّ] الله مصدرًا ثابتًا لكل التَّصوُّرات والمبادئ...، فالثَّبات يكون في الأهداف والغايات، والمرونة في الوسائل والأساليب، كما أنَّ الثَّبات في الأصول والكليَّات، والمرونة في الفروع والجزئيَّات، والثَّبات في القِيَم الدينيَّة والأخلاقيَّة، والمرونة في الشئون الدنيويَّة العمليَّة"(١)، لذا "تعتبر تحليل المفاهيم الأساسيَّة لأي فرع أو حقل معرفيّ المدخل الأول لتفكيك ذلك الفرع أو الحقل بشكلٍ يسمحُ بتشخيصه وتحديد وضْعِيَّتِه، ومعرفة مبادئه ومداخله؛ فالمفاهيم ليست ألفاظًا كسائر الألفاظ، وهي ليست مجرد أسماء أو كلمات يمكن أنْ تُفْهَمَ وتُفَسَّر بمرادفها، بل هي مستودعات كُبرى للمعاني والدَّلالات كثيرًا ما تتجاوز البناء اللفظيّ، وتتخطي الجذر اللغويَّ؛ لتعكس كوامن فلسفة الأُمَّة، ودفائن تراكمات فكرها ومعرفتها، وما استبطنته ذاكرتها المعرفيَّة"(٢). من أجل ذلك كان إعادة تأصيل المفاهيم، أو رَدِّها لأصولها؛ تُعدُّ ضرورة لا مفر لها لإعادة تشكيل العقل المسلم(٣)، ومِنْ أهم هذه المفاهيم (التربية الحضاريَّة)؛ إذ يحتل – من وجهة نظر البحث الحالي– أهمية خاصة؛ ذلك لأنَّ القاعدة الثابتة لهذا المفهوم "هي المفاهيم المُكَوِّنة للإطار الفكريّ النظري للتربية – الحضاريَّة–، وهذه المفاهيم الأساسيَّة هي مفاهيم التَّنظير التي تُستمد من تلاوة آيات الله القرآنيَّة والكونيَّة: الطبيعة الإنسانيَّة، الكون، الحياة، المجتمع، القِيَم، المعرفة من وجهة النَّظر الإسلاميَّة التي تحدد للإنسان المسلم الإطار الفكريّ، الذي تَبْنِي التربية – الحضاريَّة– مفاهيمها داخله، وفقًا لمبادئه وأحكامه...، أما على المستوى التَّطبيقيّ فهناك مفاهيم التَّشغيل: وهي المستوى المرن لمنظومة المفاهيم المتعلقة بمفهوم التربية – الحضاريَّة– الذي يستجيب للتغيُّرات الحاصلة في العالَم المُحيط؛ ولكن تحت ضوابط التصوُّر الإسلاميّ للقاعدة الأساسيَّة للمفاهيم التربويَّة الإسلاميَّة"(٤).

فكان بذلك مفاهيم التَّشغيل هي المُنَفِّذ الحقيقيّ لتلك المبادئ المُستقاة مِنْ مفاهيم التَّنظير، كما أنَّ مفاهيم التَّنظير هي الإطار المرجعيّ الذي يتم به قياس مدى فعاليَّة المفاهيم التشغيليَّة. وهكذا يجد التَّربويّ أنها شبكة مفاهيميَّة يَصْعُب تفكيكها، وبذلك يمكن إعادة المفاهيم التي تحرَّكَتْ من

---

(١) بدرية صالح الميمان: **نحو تأصيل إسلامي لمفهومي التربية وأهدافها: دراسة في التأصيل الإسلامي للمفاهيم** (الرياض: دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م) ص٥٢٥

(٢) جمال الهنيدي: بناء مفهوم العالِم في: **مشروع بناء المفاهيم الأصيلة لعلوم الأمة** (القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ج١، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م) ص٣٨٤

(٣) حامد السيد شحاتة: "التأصيل الإسلاميّ لمفهوم المعرفة وتطبيقاته التربويَّة" **مجلة التربية**، جامعة المنصورة، العدد ٩٤، يناير ٢٠١٦م.

(٤) بدرية صالح الميمان: **نحو تأصيل إسلامي لمفهومي التربية وأهدافها**، مرجع سابق، ص٥٢٦-٥٢٧

مراكزها الأساسيَّة وحل محلها مفاهيم مستغربة إلى مكانتها الصَّحيحة في البناء التربـــويّ، ممـــا يُساعد على تشغيل المفهوم كما ينبغي، وبذلك تُؤْتِي ثمارها[١]. ومِنْ هنا يتضح أهمية وخطـــورة المفاهيم، وضرورة تأصيلها من المنظور الإسلاميّ بمضامين مستقيمة تُعَبِّـــر عـــن ذات الأُمَّـــة المسلمة، وتنسجم مع معالمها الفِكريَّة والحضاريَّة، خاصةً مفهوم التربيـــة الحـــضاريَّة ومعرفـــة تطبيقاته التربويَّة.

هناك عدة دراسات تناولتْ التأصيل الإسلاميّ للمفاهيم، ومِنْ هذه الدراسات:

١- **دراسة بدريَّة (٢٠٠٢): نحو تأصيل إسلاميّ لمفهومي التربية وأهدافها[٢]:**

هدفتْ هذه الدراسة إلى تحديد ماهية التأصيل الإسلاميّ للمفاهيم، وتوضيح ضرورة تأصيل المفاهيم التربويَّة عامَّةً ومفهومي التربية والأهداف خاصَّةً، ووضع خطوات مقترحـــة للتأصـــيل الإسلاميّ لمفهومي التربية وأهدافها. وأهم ما توصَّلتْ إليه هذه الدراسة مِنْ نتـــائج: أنَّ دراســـة المفاهيم لاقتْ اهتمامًا دوليًّا؛ لجعلها عالميَّة وموحَّدة لا تظلها فلسفة ولا دين، وأنَّ دراسة المفاهيم في العالَم الإسلاميّ ما زالتْ في بداية الطريق، وأنَّها المفاهيم المُثْلَى لجميع العلوم؛ لأنها منبثقـــة من منظور واضح للإنسان والحياة والكون والقِيَم والأخلاق والمجتمع. وقدَّمَتْ الدراسة عددًا مِن الخطوات أصَّلَتْ خلالها مفهومي التربية وأهدافها.

٢- **دراسة حامد (٢٠١٦): "التأصيل الإسلامي لمفهوم المعرفة وتطبيقاته التربويَّة"[٣]:**

استهدفتْ هذه الدراسة التأصيل الإسلاميّ لمفهوم المعرفة للتوصُّل إلى التَّطبيقات التربويَّـــة لهذا المفهوم بعد تأصيله، وتقتضي دراسة مفهوم المعرفة التعرُّف على مفهوم العِلم؛ نظرًا للعلاقة القويَّة بينهما، وذلك من خلال: التعرُّف على مفهوم المعرفة في اللغة والقـــرآن الكـــريم والـــسُّنة النبويَّة والتراث الإسلاميّ والتراث الغربيّ. وقد قسَّم الباحث دراسته إلى مُقدمة عَرَضَ مِنْ خلالها مشكلة الدراسة، وأهدافها، وأهميتها، ومنهجها، وحدودها، ومصطلحاتها، وخُطَّتِهـــا إلـــى ســـتة محاور. اعتمد الباحث على المنهج التأصيليّ نظرًا لطبيعتها وإجراءاتها البحثيَّة. وخلُـــصَتْ إلـــى نتائج منها: قصور وجُزئيَّة مفهوم المعرفة في الكتابات الغربيَّة، ومَنْ صار على دربهم. وكـــذلك غياب الوحي كمصدر أصيل للمعرفة عندهم، إذ لا يُمكن التأكد من مضمونه مِنْ خـــلال العقـــل

---

(١) **نفس المرجع السابق**.

(٢) **المرجع السابق**: ص٢٧٧-٦٨٥

(٣) حامد السيد شحاتة: "التأصيل الإسلاميّ لمفهوم المعرفة وتطبيقاته التربويَّة" **مجلة التربية**، جامعة المنصورة، العدد ٩٤، يناير ٢٠١٦م.

والحواس أو التجربة. بينما الإسلام قدَّم مفهومًا شاملًا متكاملًا لها فأقرَّ تنوع مصادرها طالما انضبطتْ بضوابط الشَّرع. كما تقتضي المعرفة من المنظور الإسلاميّ إعادة النظر إلى: الطبيعة الإنسانيَّة، بحيث ترى على أنها كل متكامل يتكوَّن من جسم وعقل وروح، وإلى أهداف التربية لتحقيق سعادة الفرد في الدَّارَيْن، وإلى المناهج الدراسيَّة لتلبي احتياجات الرؤية الشاملة للطبيعة الإنسانيَّة، وإلى المعلم وسماته وطريقة إعداده. ومِن التَّوصيات: إعادة النظر في؛ مكونات العمليَّة التعليميَّة لتلائم مفهوم المعرفة من منظور إسلاميّ، وفي المفاهيم التربويَّة لإعادة تأصيلها مِنْ منظورٍ إسلاميّ.

٣- **دراسة بدريَّة (٢٠١٨): بناء مفهوم الإنسان**(١):

استهدفتْ هذه الدراسة التأكيد على أهمية بناء مفهوم الإنسان وتأصيله وفقًا للرؤية الإسلاميَّة الكونيَّة القائمة على التوحيد والعبوديَّة، وفقًا للخطوات المتفق عليها مِنْ قِبَل الفريق البحثيّ للمشروع، كذلك اهتمَّتْ الدراسة بتعريف مفهوم الإنسان في السياقيْن العربيّ والغربيّ لغة واصطلاحًا؛ لتثبت أنَّ لفظ الإنسان أصيل في اللغة العربيَّة، بينما في اللغة الإنجليزيَّة لفظ مركَّب، حيث تعددت المُركَّبات فيه ليطلق عليه مرةً كائن إنسانيّ، ومرةً طبيعة إنسانيَّة أو كائن حيّ، نظرًا لاستناد الرؤية الغربيَّة إلى نظرية النُّشوءِ والتطورِ، التي تنظر إلى الإنسان مِنْ منظورٍ جزئيّ تبعيضيّ، وتعمم تفسيرها على الإنسان ككل بمعزلٍ عن الدين والهَدي الربانيّ، حتى مَنْ استرشَد بالدين المسيحيّ قدَّم مفهومًا مشوهًا للإنسان. وخلصتْ هذه الدراسة إلى نتائج مهمة، منها: أنَّ سيرة مفهوم الإنسان في الرؤية الغربيَّة هي المنتشرة في العالَم المعاصر، وهي المُتَسَبِّبَه في مسخ الإنسان وتشويهه في فكره ومعتقداته، وعواطفه ومشاعره، وعقله وإدراكه وميزانه، وسلوكه وتصرفاته. بينما مفهوم الإنسان مِنْ خلال دراسته في القرآن والسُّنة مِنْ حيث أصله وتكوينه، وغاية ذلك الخَلْق وتكريمه، وما سُخِّرَ له في هذا الكون؛ مما يوجب عليه استغلاله في الارتقاء بنفسه ومجتمعه وإعمار الأرض، وتحقيق دوره في خلافة الأرض وتحقيق مقاصد الشريعة الإسلاميَّة التي تُمكِّنه مِنْ تحقيق دوره بصورة متوازنة بين مصلحته كفرد وسط الجماعة والأُمَّة والدَّولة التي تأتي الأسرة كنموذج مصغَّر لها.

---

(١) بدرية صالح الميمان: بناء مفهوم الإنسان في: **مشروع بناء المفاهيم الأصيلة لعلوم الأمة** (القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ج٢، ٢٠١٨م) ص٢٣٩-٣٧٨

٤- **دراسة جمال (٢٠١٨): بناء مفهوم العالِم[١]:**

هدفتْ هذه الدراسة تتبع سيرة مفهوم العالِم مِن المنظور الإسلاميّ، وفقًا للخطوات المتفق عليها مِنْ قِبَل الفريق البحثيّ للمشروع، كذلك حرصتْ الدراسة على بيان منزلة المفاهيم، وضرورة ضبطها وتحديدها وتوضيحها وتيسيرها للباحثين؛ لأنها عمليَّة أساسيَّة في بناء العِلم، كما اهتمَّتْ بإبراز علاقة المفاهيم بكلٍّ مِن المصطلح والتعريف. وقد قسَّم الباحث دراسته إلى سبعة محاور على التَّرتيب: بيان معنى المفهوم وعلاقته بالمصطلح وبالتعريف، مفهوم العالِم في المعاجم اللغويَّة، والفكر التَّربويّ الغربيّ، وفي القرآن الكريم، وفي السُّنة النبويَّة، وفي التراث الإسلاميّ، وفي الكِتابات التربويَّة المعاصرة؛ ليتفرع منها روافد جانبيَّة ضروريَّة للبناء. وخلصت إلى نتائج، منها: أنَّ المفاهيم الصَّحيحة تعدُّ المواد الأوليَّة لبناء صرح هذا العالَم، لذا حرص الإسلام على أنْ تكون واضحةً ومحددةً. وأنَّ المفهوم ينبثق مِن الفَهم، والفَهم إحدى أدوات العِلم. وأنَّ مفهوم العالِم في القرآن يعني كُلًّا مِنْ علماء الفقه والتفسير والنحو وما شابه ذلك، كما يعني علماء الطبيعيَّات والكونيَّة، كما أثبت أنَّ لفظ العالِم هو ذاته صفة من صفات الله تعالى، أما العالِم في الفقه الغربيّ فيقتصر على عالِم العلوم الطبيعيَّة والكونيَّة؛ لأنَّ الوحي في الرؤية الغربيَّة لا يعدُّ مصدرًا من مصادر المعرفة على عكس الرُّؤية الإسلاميَّة، والتي كان ثمرتها تكامل العلوم الشرعيَّة والكونيَّة مع القِيَم الإنسانيَّة.

٥- **دراسة جمال (٢٠١٨): بناء مفهوم المُتعلِّم[٢]:**

استهدفتْ الدراسة بناء مفهوم المتعلِّم بُغْيَةَ تصحيح مفاهيم الأُمَّة وآرائها من التفسيرات والمفاهيم الخاطئة، واقتضى هذا البناء اتباع خطوات المنهج التأصيليّ في دراسة المفاهيم، وتم تقسيم الدراسة إلى ست خطواتٍ منهجيَّةٍ كالآتي: مفهوم المُتعلِّم في المعاجم اللغويَّة، وفي القرآن والسُّنة والتراث الإسلاميّ، وفي الكتابات التربويَّة المعاصرة، وفي الفكر التربويّ الغربيّ. وخلصت إلى نتائج، منها: أنَّ مفهوم المُتعلِّم هو لفظ شائع عند العرب، وقد تعدد مفاهيمه اصطلاحيًّا، واستقر الباحث على أنَّ المتعلِّم هو كل مَنْ يطلب العلم في أي بقعةٍ جغرافيَّة، أو فترة زمنيَّة في أي مؤسسة أو موقع، ويسعى لتحقيق هدف ما، كما يُناظره عدد من المترادفات، مثل:

---

(١) جمال الهنيدي: بناء مفهوم العَالِم في: **مشروع بناء المفاهيم الأصيلة لعلوم الأمة**، مرجع سابق، ج١، ص٣٨١-٤٨٥

(٢) جمال الهنيدي: بناء مفهوم المُتعلِّم في: **مشروع بناء المفاهيم الأصيلة لعلوم الأمة**، مرجع سابق، ج١، ص٤٨٩-٥٤٩

الطالب، المتفقه، التلميذ، الدارس، المستفيد، القارئ، السامع، المتأدب، المريد، المحصِّل، السَّالك، التلميذ الباحث. ولفظ التَّعليم في القرآن من أكثر المفاهيم تكرارًا وشمولًا، ولم يقتصر على القراءة والكتابة، بل شمل الجوانب المهنيَّة والتدريبيَّة وتعلم المهارات، كما اشتمل على العديد من آداب المتعلِّم. أمَّا السُّنة فأشارتْ إلى أنَّ العِلم لا يكون إلا بالتعلُّم والتفقُّه وبذل الجُهد، وحضَّتْ على تحفيز الناس إلى هذا العلم ورفع قيمته، سواء كان تعليمًا للعلوم الفقهيَّة أو الكونيَّة. أما التراث فقد زَخُرَ بالمفهوم ونظائره، وحظى فيه المُتَعلِّم بحريَّة الفكر إلى حد مخالفة أستاذه، واشتمل على العديد من الآداب منها إلى الوظائف. أما في الكتابات التربويَّة المعاصرة فقد شابَهُ القصور والجزئيَّة. كما أنَّ مدارس الفكر الغربيّ لم تكن أحسن حالًا في كل فلسفة من فلسفاته، ولا أثرًا فيها للعالَم الآخر أو عالم الغيب.

٦- **دراسة كمال (٢٠١٨): بناء مفهوم الإعلام(١):**

هدفتْ هذه الدراسة إلى تحديدٍ واضحٍ لماهية الإعلام الإسلاميّ، كمفهومٍ جامعٍ مانعٍ واقعيّ لا افتراضيّ، يُعبِّر عن حقيقته وقيمته، ويليق بما ينتسب إليه مِنْ دينٍ هو خاتم الأديان وأكملها، ووسيلةٌ موجهةٌ إلى أُمَّةٍ هي خيرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للناس، ومنها تنطلق إلى الكون كله هدايةً وتوعويَّةً وتعريفًا وإفهامًا. وتم تقسيم الدراسة إلى خمسة مباحث رئيسيَّة على التَّرتيب: الإعلام تعريفات، الإعلام النشاة والمكونات، الإعلام في المنظور الغربيّ، الإعلام في المنظور الإسلاميّ، الإعلام بين المنظوريْن الإسلاميّ والوضعيّ مقارنة وتفكيك. وخلصت إلى نتائج، منها: أنَّ الإعلام الحقيقيّ هو الذي يهدف إلى تحقيق تنمية شاملة في المجتمع، حيث يوظِّف سائر العلوم لخدمته وتحقيق غايته. تمتْ صياغته وفق المعياريَّة الإسلاميَّة وضوابطها العامَّة التي تستفيد مِن الأسس العلميَّة للفلسفات الإعلاميَّة وخبرات الأداء والممارسة. وأنَّ فلسفته مِن الأصول العقديَّة ومقاصد الشريعة والأحكام الفقهيَّة والعُرف الاجتماعيّ. وقد استفاد من الفلسفات الأخرى فأخذ النَّافع منها؛ ليقدِّم للعالَم تنظيرًا وممارسةً متميزًا عن غيره. ومِن التَّوصيات: صياغة مفهوم شامل ومتكامل من حيث: فلسفته الأساسيَّة في الحياة، وغايته في الكون، ونظمه وسياسته وأسسه وضوابطه، ووظائفه العامة والخاصة، وأساليبه وطُرُقِه، ووسائله وقنواته، وفق اجتهاد عصريّ يفهم الواقع ويعي متطلباته.

---

(١) كمال حامد المصري: بناء مفهوم الإعلام في: **مشروع بناء المفاهيم الأصيلة لعلوم الأمة**، مرجع سابق، ج٢، ص١١٣-١٩٥.

مشكلة البحث:

يتضح مما سبق أهمية التأصيل الإسلاميّ للمفاهيم عمومًا ومفهوم التربية الحضاريَّة على وجه الخصوص، ثم معرفة التطبيقات التربويَّة للتأصيل لهذا المفهوم، ومن ثمَّ يمكن بلورة مشكلة البحث الحالي في التساؤلات الآتية:

١. ما المقصود بمفهومي التربية والحضارة في اللغة؟
٢. ما المقصود بمفهومي التربية والحضارة في القرآن الكريم؟
٣. ما المقصود بمفهومي التربية والحضارة في السنة النبويَّة؟
٤. ما المقصود بمفهومي التربية والحضارة في التراث التربوي الإسلاميّ؟
٥. ما المقصود بمفهومي التربية والحضارة في الفكر التربوي الإسلاميّ المعاصر؟
٦. ما التَّطبيقات التربويَّة للتأصيل الإسلاميّ لمفهوم التربية الحضاريَّة؟

أهداف البحث:

يهدف البحث الحالي إلى التأصيل الإسلاميّ لمفهوم التربية الحضاريَّة؛ للتوصُّل إلى التطبيقات التربويَّة لهذا المفهوم بعد تأصيله – في إطار مِن التناسق الفكريّ والتناسب المنهجيّ – من خلال:

١. التعرُّف على مفهومي التربية والحضارة في اللغة.
٢. التعرُّف على مفهومي التربية والحضارة في القرآن الكريم.
٣. التعرُّف على مفهومي التربية والحضارة في السُّنة النبويَّة.
٤. التعرُّف على مفهومي التربية والحضارة في التراث التربويّ الإسلاميّ.
٥. التعرُّف على مفهومي التربية والحضارة في الفكر التربويّ الإسلاميّ المعاصر.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في روافده المتعددة وأبعاده المتكاملة، مِنْ خلال عددٍ مِن النقاط المحددة الآتية:

١. أهمية موضوعه، وهو التأصيل الإسلاميّ لأحد المفاهيم التربويَّة المهمة، وهو مفهوم التربية الحضاريَّة، ومعرفة التَّطبيقات التربويَّة لهذا المفهوم بعد تأصيله.
٢. تذكير المجتمع بالمرجعيَّة الإسلاميَّة للقِيَم، التي تُحَقِّق للإنسان كل ما يصبو إليه مِنْ خيرٍ وهُدى، وتبتعد به عن المتاهات التي تقوده للهاوية، والتأكيد على ضرورة اعتمادها، بدلًا من مرجعيَّة المؤتمرات الدوليَّة.

٣. جدة الموضوع، وندرة الدراسات – على حد علم الباحث– التي تناولت المفهوم بالتأصيل الإسلاميّ.

٤. تعدد المستفيدين من هذا البحث – منهم التربويُّون– على اختلاف تخصصاتهم؛ نظرًا لِمَا يُقدِّمه من رؤية للتطبيقات التربويَّة للتأصيل الإسلاميّ لهذا المفهوم – إضافةً– إلى الباحثين في المجالات العلميَّة المختلفة.

منهج البحث:

يستخدم البحث الحالي المنهج الأصوليّ – نظرًا لطبيعته– فهو الأنسب الذي يمكن استخدامه لدراسة مثل هذا الموضوع، ويقوم مِعمار هذا المنهج على الاستقراء والقياس، أي رصد مُفردات الدّراسة، وتأصيل المفاهيم وفق المنهجيَّة الإسلاميَّة الأصيلة، وما صدر عن الرسول غ – غير القرآن– من قول أو فعل أو تقرير مِن خِلال السُّنَّةِ النبويَّةِ التَّطبيقيَّةِ، وكذلك التراث الإسلامي، ثم محاولة التَّوصل إلى قواعدٍ كُلِّيَّةٍ في إطار أصول الإسلام ومصادره، وعلى ضوئه يُمكن التطبيق. ويُمكِن تعريفه بِأَنَّه: "بذل أقصى جُهد عقليّ ونفسيّ عند دراسة النصوص بهدف استخراج حقائق ومفاهيم إسلاميَّة، مُدعمة بالأدلة الواضحة، ومُراعيًا لقواعد الاستنباط التي وضعها علماء أصول الفقه"(١).

حدود البحث:

- الاقتصار على صحيح البخاريّ عند دراسة مفهوم التربية الحضاريَّة في السُّنة النبويَّة، حتى لا يتسع نطاق البحث، وتم الاكتفاء به نظرًا لكفايته للغرض، ولكونه أصح كتب السُّنة المعروفة، وهكذا تلقته الأُمَّة بالقبول.
- الاقتصار في تأصيل مفهوم التربية على نموذجيْن تربوييْن: الأول (الرسالة المُفَصَّلَةُ لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين: للقابسي)، والثاني: كتاب (صيد الخاطر: لابن الجوزي)، إذ يمثلان مدرستيْن إسلاميتيْن مختلفتيْن، وهما المدرسة الفقهيَّة والمدرسة الحديثيَّة على التَّرتيب؛ نظرًا لشمولهما وتنوع محتواهما مِن المادة العلميَّة المُتعلِّقة بطبيعة البحث، مثل: المفاهيم التربويَّة الواردة ذات الصِّلة الوثيقة على معنى التربية في الإسلام، والعميقة في دلالتها على التربية الحضاريَّة وتكامليتها في بناء المفهوم.

---

(١) هاشم الأهدل: أصول التربيَة الحضاريَّة في الإسلام (رسالة دكتوراة منشورة، الرياض، وزارة التعليم العالي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميَّة، ٢٠٠٧م) ص٥١

- الاقتصار في تأصيل مفهوم الحضارة على كتاب (المقدمة: لابن خلدون)؛ نظرًا لعددٍ من الاعتبارات، أبرزها: أولًا: تميُّز المقدمة بمدخلها (التَّاريخيَ العمرانيّ) – وهو الهدف الرئيس– إضافةً إلى– أنَّها مِنْ حيث الزَّمن هو أول كتاب يؤلف في فلسفة التَّاريخ. ثانيًا: تشكَّل مصطلح الحضارة لأول مرة في العالَم الإسلاميّ في وقت مبكر– من القرن الثامن الهجري/ القرن التاسع الميلادي – على يد ابن خلدون. ثالثًا: فِكْر ابن خلدون خَدَمَ خِدْمَةً جليلةً على مستوى علم الاجتماع وأيضًا وعلم الاقتصاد، بل وعلم التَّاريخ وفلسفته، وهذا يَصُبُّ – بلا شك– في خدمة تأصيل مفهوم الحضارة بأبعادها الذي سيتشكل منها مفهوم التربية الحضاريَّة.

مصطلح البحث:

التأصيل الإسلاميّ (Islamic Rooting): "واحد مِن التَّعبيرات العديدة الممثلة لجهود الإصلاح الحضاريّ في المجتمعات الإسلاميَّة، حين تستند هذه الجهود إلى المرجعيَّة الإسلاميَّة، وتسعى لصياغة خطاب إسلاميّ معاصر، يؤمن بصلاحيَّة الإسلام، ويتعامل مع الواقع ومستجداته وقضاياه المعاصرة، ويقدِّم حلولًا حقيقة إبداعيَّة لمشكلاته، ويُسهم في تمكين الأمَّة من النُّهوض الحضاريّ وأداء دورها في بناء حضارة إنسانيَّة راشدة"(١). فالتأصيل لغة من (أصَّلَ) الشيء: جعل له أصلًا ثابتًا يُبنى عليه، و(أَصْلَ) أصالة: ثبت وقَوِيَ، و(تَأَصَّلَ): أَصُلَ، و(أصْلُ) الشيء: أساسه الذي يقوم عليه أي صار ذا أصل، أو أسفل كل شيء – وجمعه أصول، وفيما يُنْسَخ: النسخة الأصليَّة المعتمدة، ومنه أصول الحُكم وأصول الكِتاب، و(أصُول العلوم): قواعدها التي تبنى عليها الأحكام(٢). وفي الاصطلاح: قد تباينتْ الأراء ووجهات النظر نوعًا ما في تحديده، ويرى (مقداد يالجن) أنَّ أسلم تعريف هو: أنه "بناء العلوم على نهج الإسلام"(٣)، وعلى المستوى الإجرائيّ: توحيد قضايا المعارف والعلوم على أساس التوحيد، بربط الجزئيات والفروع بالكليَّات والمقاصد العليا والغايات الإسلاميَّة العامَّة.

---

(١) فتحي حسن ملكاوي: **التأصيل الإسلامي للقيم**، مرجع سابق، ص٢١

(٢) مجمع اللغة العربية: **المعجم الوجيز** (القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م) ص١٩، وابن منظور: **مرجع سابق**، ج١١، ص١٦

(٣) بدرية صالح الميمان: **نحو تأصيل إسلامي لمفهومي التربية وأهدافها**، مرجع سابق، ص١٦ = نقلًا عن:
- مقداد يالجن: أساسيات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون – **الكتاب رقم (١٠) سلسلة كتاب تربيتنا** (الرياض: دار عالم الكتب، ١٩٩٦م) ص٣١.

التربية الحضاريَّة (Civilizd Education): نمط حديث من التربية، يعدُّ من أهم الأنماط التربويَّة التي دارتْ حولها النظريَّات والفلسفات التربويَّة المعاصرة، وباتتْ على جانب كبير من الحساسية والخطورة في الحقل التربويّ المُعاصر للمجتمعات الإنسانيَّة التي قَطَعَتْ شوطًا كبيرًا في الرُّقِيّ الحضاريّ والمعرفيّ. فالتربية لغة تتلخص في عدد من الاشتقاقات، في مجموعها المعنى المُتكامل والشَّامل للتربية، من جذر(رَبَا): (الزِّيادة والنِّماء والتَّزكية من الفعل (زكا)، والعُلو والارتفاع، والمَكَانَة والرِّفعة، والجمع والضَّم)، ومن جذر(رَبَّبَ): (التَّنْشئَة والاعتناء والتَّغذيَة والرِّعَايَة. والتَّهذيب والتَّأديب والتَّزكيَة والنَّزاهة والتَّنزيه. والإصلاح والتَّحسين. المَالك والمُستَحِق والمُنْعِم، والسَّيِّد والمُدبِّر والمُرَبِّي والقَيِّم، والسِّيَادة والمُلْك والسِّيَاسَة. والاجتِمَاع والتَّحَالُف والتَّعاهُد والمواثيق. والإقامَة ولِزُوم الشَّيء والجَماعة) [1].

وفي الاصطلاح: يعرفها (سعيد إسماعيل): "عملية إعداد للإنسان منذ طفولته للحياة في الجماعة التي ينتمي إليها عن طريق المشاركة في حياة هذه الجماعة سواء أكان ذلك في مكان مُعَدٍّ لهذه المشاركة؛ كالمدرسة ونحوها من معاهد ومؤسسات التَّعليم النظاميَّة أم في الحياة نفسها كما يحدث كل يوم في المنزل والشارع"[2]. وعلى المستوى الإجرائيّ: عملية تهيئة وتدبير سياسة الناشئة، والقيام عليهم بما يُصلِحَهُم ويُتَمِّمَهُم بشكلٍ يحقق التَّوازن المطلوب، ويَرْقَى بكافة جوانب الشخصيَّة وتبليغها حد الكمال شيئًا فشيئًا حسب ما تقتضيه الطبيعة الإنسانيَّة وفقًا لمعايير القِيَم الإسلاميَّة تعليمًا وإشرافًا وتوجيهًا حتى مفارقة الطفوليَّة، ثم تبدأ مرحلة أعلى تتشكَّل فيها الإرادات الفاعلة بواسطة وحدة المعرفة الإسلاميَّة نصوصًا وقيمًا ومفاهيمًا وعلمًا واجتماعيًّا وحياتيًّا، خاليةً من المفاهيم التربويَّة المشبوهة.

أمَّا الحضارة لغة: يقول ابن فارس (الحاء والضاد والراء) إيراد الشيء، وروده، ومشاهدته، وقد يجيء ما يبعد عن هذا، وإنْ كان الأصل واحد. فـ (الحِضَارة): الإقامة في الحضر، و(الحضور) نقيض الغياب، و(التمدُّن) نقيض البداوة، و(الحاضر) خلاف البادي، و(الحاضرة والحِضَارة والحَضَارة) خلاف البادية، و(الحاضر): المُقِيم في المدن والقرى، والبادي: المُقِيم في البادية، و(الحاضرة) و(الحاضر): الحي العظيم والقوم، وكل مظاهر الرقي

(١) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، ج١، ١٣، د.ت) ص٣٩٩-٤١٨، ٢٠٧-٢٥١، ٧٨٢، ج١٣: ٥٤٨

(٢) سعيد إسماعيل علي: **أصول التربية**، مرجع سابق، ١٩

العلميّ والفنيّ والأدبيّ في الحضر[١]. واصطلاحًا: يعرفها (فؤاد زكريا): "مجال عظيم الاتساع يشمل الأوجه السياسيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والفنيَّة والعلميَّة والأدبيَّة والدينيَّة، أي لها معنًى جامعًا يضمُّ في داخله مختلف أنواع الثقافات والدراسات التي يمكن أنْ يقوم بها الذِّهن البشريّ"[٢]. وإجرائيًّا: تحقيق صورة المداولة الفكريَّة أو الصُّور الذهنيَّة لعلاقة التَّكامل والارتباط، والانسجام والتَّوافُق بين طبيعة الإنسان والكون، مِنْ خلال التَّرجمة الفعليَّة لمجموع مفردات الحياة الغائيَّة في بُعديْها المعنويّ والماديّ المنظور، تجسيدًا ارتقائيًّا للحِرَاكِ العمرانيّ البشريّ في الفِكر والوجدان والسلوك.

أما مفهوم التربية الحضاريَّة: يعرفه (مقداد): "تنشئة الجيل وإعدادهم، وتنمية قدراتهم، واستعدادهم، وتشكيلهم حضاريًا، وفقًا لمفهوم الحضارة الإسلاميَّة"[٣]. وإجرائيًّا: إعداد الجيل المُسْلِم إعدادًا يُؤكد عِزّته ويُعَزِّزُ كرامته المستمَد مقوّماته مِن دين الإسلام، دليلًا على صدق الإيمان، والمستوى العِلميّ الجيّد المتمثّل في تفكيرٍ أصيلٍ وعلمٍ صحيحٍ، يُمَكِّنُه مِنْ إدراك العلاقات الارتباطيَّة الدَّافعة لمزيد إحداث الفعل الحضاريّ المُؤسَّس على الفعليَّة الاستخلافيَّة والتّسخيريَّة، المحكومة بِسُنَنٍ ناظمةٍ وقِيَمٍ مُوجَّهةٍ وِفْق السُّنة الإلهيَّة النّاظمة للوجود؛ انطلاقًا لإعادة اعتبار الإنسان لدينه وعقله وضميره وحريته وإرادته في اعتدال وتوازن بين مطالبه الروحيَّة والماديَّة في اتجاه العبوديَّة لله سبحانه.

خطة البحث:

اقتضتْ طبيعة البحث الحالي والمادة العلميَّة المتوفرة، أنْ يُقَسَّم إلى أربعة محاور رئيسيَّة، ويتفرع عن تلك المحاور الأربعة عدد من الروافد المعرفيَّة كخطوات منهجيَّة نحو تحقيق أهدافه على النحو التَّالي:

---

(١) ابن منظور: **مرجع سابق**، ج٤، ص١٩٧-١٩٩
- إبراهيم أنيس وآخرون: **المعجم الوسيط** (القاهرة: مطبعة مصر، ج١، ١٩٦٠م) ص١٨٠-١٨١
- مجد الدين الفيروزبادي: **القاموس المحيط** (بيروت: دار الفكر، ج٢، ١٩٨٣م) ص١٠
- بطرس البستاني: **محيط المحيط** (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٧٠م) ص١٧٥
- أحمد بن فارس زكريا: **معجم مقاييس اللغة** (القاهرة: مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر، ج٢، ط٢، ١٣٩٠هـ) ص٨٦-٧٧

(٢) فؤاد زكريا: **الإنسان والحضارة** (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي للنشر، ٢٠١٨م) ص ١٨

(٣) هاشم بن على الأهدل: **مرجع سابق**، ص٢٢

المحور الأول: التأصيل الإسلاميّ لمفهوم التربية.

١. مفهوم التربية في اللغة.

٢. مفهوم التربية في القرآن الكريم.

٣. مفهوم التربية في السُّنة النبويَّة.

٤. مفهوم التربية في التراث التربويّ الإسلاميّ.

٥. مفهوم التربية في الفكر التربويّ الإسلاميّ المعاصر.

المحور الثاني: التأصيل الإسلاميّ لمفهوم الحضارة.

١. مفهوم الحضارة في اللغة.

٢. مفهوم الحضارة في القرآن الكريم.

٣. مفهوم الحضارة في السُّنة النبويَّة.

٤. مفهوم الحضارة في التراث التربويّ الإسلاميّ.

٥. مفهوم الحضارة في الفكر التربويّ الإسلاميّ المعاصر.

المحور الثالث: بعض التطبيقات التربويَّة للتأصيل الإسلاميّ لمفهوم التربية الحضاريَّة.

المحور الرابع: نتائج البحث وتوصيته.

وفيما يلي عرض لكل محور، مع التَّنوِيه بأنَّ بعضها قد يتفرع منها روافد جانبيَّة ضروريَّة للبناء.

المحور الأول: التأصيل الإسلاميّ لمفهوم التربية:

١. التربية في اللغة:

يمكن استعراض بعض المعاني المعجميَّة لكلمة التربية ومشتقاتها؛ للوصول إلى الـدَّلالات المعجميَّة لهذا المفهوم، فمِن المعاني المعجميَّة لمفردة التربية ومشتقاتها يمكن الإشارة إليـه فيمـا يلي:

- **التَّنْشئَة والاعتِنَاء والتَّغذِيَة والرِّعَايَة والحضانة. والتَّهذيب والتَّأديب والتَّزكيَة والنَّزاهـة والتَّنزيه. والإصلاح والتَّحسين والتَّثقيف. المَالك والمُسْتَحِق والمُنْعِم، والـسَّيِّد والمُـدبِّر والمُرَبِّي والقَيِّم، والسِّيَادة والمُلْك والسِّيَاسَة. والاجتِّمَاع والتَّحَـالُف والتَّعاهُـد وإبـرام المواثيق. والإقامَة ولزُوم الشَّيء والجَماعة.**

مِن الجذر (ربَّبَ) تشتق منها الدلالات اللفظيَّة السابقة على معنى التربية؛ فالرَّبُّ هـو الله أ رَبُّ كل شيء أي مَالِكُه، وله الرُّبُوبِيَّة على جميع الخَلق، لا شريك له، وهو ربُّ الأربَاب، ومالِكُ المُلوكِ والأملاكِ، ولا يُقال الرَّبُّ في غير الله إلا بالإضافة، ويُقال الرَّبُّ – بالألف واللام– لغيـر

الله، وقد قالوه في الجاهليَّة للمَلِك: وهو الرَّبُّ والشَّهِيدُ عَلى يو .. مِ الحِيارَيْنِ والبَلاءُ بَلاءُ[1]. ورَبُّ كل شيءٍ: مالِكُهُ ومُستحِقُّه، وكل مَنْ مَلَكَ شيئًا، فهو رَبُّه. يُقَالُ: هو رَبُّ الدَّابَة، ويُقالُ: رَبٌّ مُشَدَّد، ورَبٌ مُخفَّف: "وأنْ تَلِدَ الأمَةُ رَبَّهَا أو رَبَّتَهَا"[2]، أي المَوْلَى أو السَيِّد، يعني أنَّ الأمَةَ تَلِدُ لسَيِّدها وَلدًا، فيكون كالمَوْلى لها. كما يُطْلَق الرَّبُّ على السَّيِّد والمُدَبِّر والمُربِّي والقَيِّم والمُنْعِم [3]. والرَّبِيب: المَلِكُ، قال امرؤ القيس: فما قاتلُوا عَنْ رَبِّهم ورَبِيبِهم ... أي: مَلِكَهُمْ. ورَبَّه يَرُبُّه ربًّا: مَلَكَه. وطالتْ مَرَبَّتُهم الناس ورَبَابَتَهُم أي: مَمْلَكَتُهُم. ويُروَى رُبُوب، وإنه لمَرْبُوب بين الرُّبُوبِيَّة أي: لَمَمْلُوك. والعباد مربوبون لله أي: مملوكون[4]. ورَبَبْتُ القوم: سُوستُهم أي فَوْقَهُم، هو من الرُّبُوبِيَّة، والعرب تقول: لأنْ يَرُبَّنِي فلان أَحَبُّ إليَّ مِنْ أنْ يَرُبَّنِي فلان؛ يعني أنْ يكون رَبًّا فوقي، وسَيِّدًا يَمْلِكُنِي. فالرَّبُّ ثلاثة أقسام: يكون الرَّبُّ المالِكَ، ويكون السَّيِّد المُطاع، ويكون الرَّبُّ المُصلِحُ[5].

أمَّا رَبَّ ولَدَه والصَّبِيَّ يَرُبُّه رَبًّا، ورَبَّبَه تَرْبِيبًا، وتَرِبَّةً، بمعنى: رَبَّاه، وفي الحديث: "لَكَ نِعْمَةٌ تَرُبُّها" أي تحفظُها وتُراعيها وتُربِّيها، كما يُربِّي الرجُلُ ولدَه، وفي حديث ابن ذي يزن: أُسْدٌ تُرَبِّبُ في الغَيْضَاتِ أشْبَالاً – أي: تُرَبَّى. وهو أبلغ منه ومن تَرُبُّ. وتَرَبَّبَه، وربَّاه تَربِيَةً، أي: أحسن القِيام عليه، ووليَه حتى يُفارق الطُّفولِيَّة، كان ابنه أم لم يكن. ويقال للقوم الذين اسْتُرضِعَ فيهم الرَّسُول غ: أَرِبَّاءُ النَّبِيّ، كأنَّه جمعُ رَبِيب، فعيل بمعنى فاعِل[6]. أما رَبَّ الولد رَبًّا: وَلِيَهُ وتعهده بما يُغذِّيه ويُنميه ويُؤدِّبَهُ، فهو رَابٌ[7]. رَبَى فلان رَبْوًا، ورُبُوًّا أي: نَشَأَ فِيهِم. تَرَبَّى: تَنَشَّأَ وتَغَذَّى وتَثَقَّفَ[8]. والمُربِّيَة: هي الحاضِنة للصبي، جمعها: رَبَائِبُ[9]. والتَّهذيب: أي التنقيَة. هَذَبَ (بالفتح) الشيء يهذبه، وهذَّبَه (بالتشديد): نَقَّاه وأخلصه، وقيل أصلحه. والمُهذَّب من الرجال:

---

(١) ابن منظور: **مرجع سابق**، ص ٣٩٩ مادة (ربب).
(٢) **نفس المرجع السابق**.
(٣) ابن منظور: **مرجع سابق**، ج١، ص٤٠٠
(٤) **نفس المرجع السابق**.
(٥) **نفس المرجع السابق**.
(٦) **المرجع السابق**: ص٤٠١-٤٠٢
(٧) مجمع اللغة العربية: **المعجم الوجيز** (القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ٢٠٠٤م) ص٣٥٠
(٨) **المرجع السابق**: ص٢٥٣
(٩) **المرجع السابق**: ص٢٥١ ، وابن منظور: **مرجع سابق**: ج١، ص٤٠٥

المُخلص النَّقِي من العيوب. ورجل مُهَذَّب: أي مُطَهَّرُ الأخلاق. ويُقال ما في مودتــه هَــذَبُ: أي صفاء وخلوصه[١].

أمَّا الأدب: الذي يتأدب به الأديب مِنْ النَّاسِ سُمِّي أدبًا؛ لأنه يَأْدِب أي يدعو النــاس إلــى المحامد (سواء أخلاق أو سلوك)، وينهاهم عن القبائح (سواء مساويء الأخلاق أو السلوك)؛ فكان المُؤَدِّب: لقب يُلَقَّب به كل مَنْ يُختار لتربية الناشئ وتعليمه، والأديب: الحاذق بــالأدب وفنونــه. والآداب العامة: العُرف المُرضِي المُقرر. ومن جملــة معــاني الأدب: (أدبُ الــنَّفس والــدَّرْسِ، والظَّرْفُ، وحُسن التناول وأدبه، ورياضة النفس بالتَّعليم والتَّهذيب. وأدَّبــه فتــأدَّب: أي علَّمــه، واستُعمِل في الله أ، وهذا ما أَدَّبَ الله به نبيه غ – وأيضًا– الجميل من النظم والنثر. والأدب: كل ما أنتجه العقل الإنسانيّ من ضروب المعرفة ومن هنا يسمي بعض الباحثين جملة ما استعرضــه من دراسات وبحوث سابقه: (أدب كذا)، وإن كان هُناك نفر يجمعون فيقولون: (أدبيات)" [٢]، وهي لم ترد في القرآن بأي صيغة مِن الصِّيَغ. أما التَّأديب قد تعني: المُجازاة المرادف لعملية التربيــة، يُقصد بها توقيع العقاب، وهذا يتضح عندما يُسمع مُعلِمًا ينصح أبًا أو العكس بالنسبة لتلميذ (لا بُدَّ مِنْ تَأْدِيبِه) أي (مُعَاقَبَتُه) حتى يرتدع عما يفعله من سيئ الأفعال"[٣]. وكلمة (النَّزَاهَة): يُقال فلان يتنزه عن الأقذار، ويتنزه نفسه عنها: أي يُباعد نفسه عنها. في حديث عمرس قال: "الجابِيَةُ أرض نزهة" أي بعيدة عن الوباء. وحديث عائشة ل قالتْ: "صَنَع رسول الله غ شيئًا فرخَّص لــه فيــه فتنزَّه عنه قوم" أي تركوه وأبعدوا عنه، ولم يعملوا به بالرخصة فيه[٤]. والجمع نُزَهاء ونَزِهُــون ونِزَاهٌ. ونَزَّه نفسه عن القبيح: نحَّاها. والنَّزاهة: البعد عن السوء[٥]؛ فالنّزاهة محمولة على جانــب الإنسان والبُعد عما يعيب النفس ويقدح فيها، ومواطن الشبهات، وهي تختلــف عــن (التنزيــه) المحمولة على جانب الرب وتقديسه عن الأنداد والأشباه والنقائص، له الكمال والجلال المطلــق: فالتَّنزِيه: تسبيح الله أ وإبعاده عما يقول المشركون[٦]. والمَرَبُّ: المَحلُّ، ومكان الإقامة والاجتماع. والتَّربُّبُ: الاجتماع. ومكان مَرَبٌ بالفتح: مجمع يجمع الناس، يقول الشاعر: بِأَوَلِ ما هَاجَتْ لــكَ الشَّوْقَ دِمْنَةٌ .. بِأجرَعَ مِحْلالٍ، مَرَبٍّ، مُحَلَّلِ. قيل: للرّبابِ: رِبابٌ؛ لأنهم تجمَّعوا. وسُمُّوا ربابًــا؛

(١) ابن منظور: **مرجع سابق**، ج١، ص٧٨٢
(٢) **نفس المرجع السابق**.
(٣) سعيد إسماعيل علي: **أصول التربية الإسلامية**، مرجع سابق، ص١٢
(٤) ابن منظور: **مرجع سابق**، ج١٣، ص٥٤٨
(٥) **نفس المرجع السابق**.
(٦) **نفس المرجع السابق**.

لأنهم جاءوا بِرُبٍّ، فأكلوا منه، وغمسوا بأيديهم، وتعاقدوا وتحالفوا عليه؛ ولأنهم أيضًا لتَرابِّهم: تَعَاهُدِهم[١]. والرِّبَابَة والرِّبَابُ: العَهد والميثاق. وقيل: أربَّةٌ جمع رِباب وهو العهد[٢]. وأربَّتْ الإبل بمكان: لَزِمَتْه وأقامتْ به. وأربَّ: لَزِمَه. وأربَّ فلان بالمكان، وألَبَّ، إرْبَابًا، وإلبَابًا: إذا أقام به فلم يَبْرحه. وفي الحديث: "اللهم إني أعوذ بك مِنْ غِنى مُبْطِرٍ، وفقر مُرِبٍّ": لازم غير مُفارِق[٣].

أما الرَّبَّاني: أي الكامل في العِلم والعِبادة، والمنسوب إلى الرَّبِّ[٤]، وقيل: هو من الرَّبِّ بمعنى التربية، كانوا يُرَبُّون المُتعلمين بِصِغَارِ العُلوم، قَبْلَ كِبَارها[٥]، وقيل الرَّبَّاني: العالِم الراسخ في العِلم والدِّين، أو الذي يَطْلُب بِعِلْمِه وجه الله، وقيل العَالِم، العَامِل، المُعَلِّم، والعالي الدَّرجة في العِلم، وقيل: الرَّبَّانِيُّون العُلماء بالحلال والحرام، والأمر والنَّهي، والأحبار أهل المعرفة بأنباء الأمم، وبما كان ويكون... قال تعالى: "كونوا رَبَّانيين" أي حُكماء عُلماء. وقيل: المُتَأَلِّه العارف بالله[٦]. وفي التنزيل: "وكَأَيِّن مِنْ نَبِيّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّون كَثِير" أي الألوف. وقد تُفتح الراء من الرَّبَّة وقد تُكسر الراء وضمها وهي: الجماعة الكثيرة، الواحدة ربِّيٌّ. وقيل: العلماء الأتقياء الصبر. والرَّبَبُ: الماء الكثير المجتمع[٧]. قال سيبويه: قالوا رُبَّى ورُبَابٌ، حذفوا أَلِف التأنيث وبنوه على هذا البناء، يقول الشاعر: حُرَّةٌ، طَفْلَةُ الأنَامِلِ، تَرْتَبُّ .. سِخَامًا، تَكُفُّه بِخِلالِ، وكل هذا من الإصلاح والجمع. والرَّبِيبة: الحاضِنةُ؛ لأنها تُصْلِحُ الشيء، وتقوم به، وتجمعه. وربُّ المعروف والصَّنيعة والنِّعمة يَرُبُّها رَبًّا وربابًا وربَابَةً. وربَّبَها: نمَّاها، وزادها، وأتمَّها، وأصلحها[٨]. وأَخْذُ الشيء بِرُبَّانِه ورَبَّانِه أي: بأوله أو بجميعه ولم يترك منه شيئًا. والرُّبَّى أول الشباب[٩].

---

(١) **المرجع السابق**: ج١، ص٤٠٣
(٢) **المرجع السابق**: ج١، ص٤٠٧
(٣) **المرجع السابق**: ج١، ص٤٠٣
(٤) المعجم الوجيز: **مرجع سابق**، ص٢٥٠
(٥) ابن منظور: **مرجع سابق**، ج١، ص٤٠٤
(٦) **نفس المرجع السابق**.
(٧) **المرجع السابق**: ج١، ص٤٠٦
(٨) **المرجع السابق**: ج١، ص٤٠٥
(٩) أبو بكر الرازي: **مختار الصحاح** (بيروت: دار الكتاب العربي، د ت) ص٢٣١

- **الزِّيادة والنِّماء والتَّزكية مِن الفعل (زكا)، والعُلو والارتفاع، والمَكَانَة والرِّفعة، والجمع والضَّم:**

مِن الجذر (رَبَا) تشتق منها الدلالات اللفظيَّة السابقة على معنى التربية؛ جاء في معجم ألفاظ القرآن: ربا الشيء يربو ربوًا ورباء: زاد ونما فهو راب وهي رابية وأفعل التفضيل أربى[1]. والسَّحاب يَرُبُّ المَطَرَ أي: يَجْمَعَه ويُنمِّيه. والرَّبَّابُ بالفتح: سحاب أبيض، واحدته رَبابَةٌ... وفي حديثه غ: "أنَّه نظر في الليلة التي أُسْرِي به إلى قصرٍ مِثْلِ الرَّبَابَةِ البَيْضَاءِ"، ويقال: الرَّبَابَةُ بالفتح: أي السَّحابة التي قد رَكِبَ بعضها بعضًا، وجمعها: رَبَابٌ، وبها سُمِّيَتْ المَرأة: الرَّبَابَ. والسَّحاب يَرُبُّ النَّبات والثَّرى ويُنَمِّيه، والمَرَبُّ: الأرض التي لا يَزالُ بِها الثَّرى[2]. ورَبَأَ فلان- رَبْئًا أي: علا وارتفع، وبفلان عن كذا: رفعه ونَزَّهَهُ. والرَّبِيُ/ والرَّبِيئَةُ: الطَّلِيعة الذي يَرْقُبُ العَدو مِن مَكَانٍ عَالٍ[3]. أَرْبَى على الخمسين ونحوها: زَاد. وأتي الرِّبَا أو عمل به: نَمَّاه وزَادَه. الرِّبَا: الفضلُ والزِّيادة. ربَّاه: نشَّأه ونَمَّى قُواه الجَسَدِيَّة والعَقليَّة والخُلقِيَّة. والرَّابِيَة: ما ارتفع مِن الأرض، جمعها: رَوَابِ ورُبَى. والرُّتْبَة: أي المَنزلة والمَكانة، وهي أيضًا مِن درجات الشَّرف تمنحها الدَّولة مَن ترى تكريمه[4]. وقد وردت كلمة التَّزكية مِن الفعل (زكا) والزكاء: النَّماء والرِّيع، زكا يزكو زكاء وزُكوًا. يقول عليّ س: "المال لا تُنقصه النَّفقة والعِلم يزكو على الإنفاق" فاستعار له الزكاء. والزكاء: ما أخرجه الله من الثمر، وأرض زكية: طيبة. والزرع يزكو زكاء: ممدود أي نما. والزكاة: الصّلاح ورجل تقي زكي: أي زاكٍ من قوم أزكياء. وزكَّى الرجل نفسه: إذا وصفها وأثنى عليها. وزكاة المال: ما أخرجته لتطّهره به[5].

وهكذا يتضح مِن العَرض السابق عددٌ مِن النقاط التحليليَّة يمكن الإشارة إليها كالآتي:

- مِن الجذر (ربَّبَ) يرتبط مفهوم التربية بأربعة مضامين دلاليَّة: أولها: نصيب الإنسان بكافة انساقه العمرانيَّة، بما يكسبه وصف الربَّاني المُتَأله العارف بالله تعالى، واكتساب هذا الوصف واحد مِن أهم الأوامر الربَّانيَّة التكليفيَّة المُحققة للتوحيد بعلم مصحوب بالعمل به بتدبر وعن بينة: (... وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ) [آل

(١) سعيد إسماعيل علي: **أصول التربية الإسلامية**، مرجع سابق، ص١٠
(٢) **نفس المرجع السابق**.
(٣) مجمع اللغة العربية: **مرجع سابق**، ص٢٥٠
(٤) **المرجع السابق**: ص٣٥٣
(٥) سعيد إسماعيل علي: **أصول التربية الإسلامية**، مرجع سابق، ص١٤

عمران:٧٩]. ثانيها: إبرام المواثيق والعهود والوفاء بها. ثالثها: سياسة الأمر الحياتي بتدبيره، والقيام عليه بما يُصلحه ويُتَمِّمُهُ. رابعها: الرِّعايَة والاجتماع والكثرة والتَّغذية والتَّهيئة والتَّأهيل[١].

- مِن الجذر (رَبَا) يَصُبُّ المضمون الدَّلالي لمفهوم التربية في: الزِّيادة والنِّماء والتَّزكية مِن الفعل (زكا)، والعُلو والارتفاع، والمَكَانَة والرِّفعة، والجمع والضَّم. وفي "صلة المفهوم بالربوبيَّة في الجذر (ربي)، والمضمون الرئيس له: بيان أنَّ المنبع الأصيل للتربية، رعاية ورقابة وبداية ونهاية هو من عند الله، ودور البشر فيه تابع"[٢].

٢. التربية في القرآن الكريم:

القرآن هو عماد لغة العرب الأسمى، التي تدين له اللغة في بقائها وسلامتها، ولذلك كان تصريح القرآن هو الأكثر شمولًا والأغنى موردًا. فباستقراء الآيات القرآنيَّة الكريمة لمْ ترد لفظة (التربية)؛ ولكن جذر(رب) بالمعاني السَّابقة، بل ويتجاوزها لمنظومة مفاهيم تربويَّة متكاملة، على النحو التالي:

- **بمعنى: (التَّنْشِئَة):**

لفظة التنشئة لم ترد في القرآن وإنما بصيغٍ متعددة: (أَنشأ، يُنشئ، نُنْشِأكم، يُنَشَّأ، أنشأناه، ناشِئة، أنشأناهُنَّ، إنْشَاءَ، النَّشأة، أنْشَأتم، المُنشِئون...)، وقد تنوعتْ معانيها تبعًا لثرائها الاشتقاقيّ من الفعل (أنشأ)، منها الآتي؛

- **(الخَلْق، وابتداء الخَلْق):** قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُم السَّمْعَ وَالأبْصَارَ وَالأفْئِدَةَ...) [المؤمنون:٧٨]، أنشأ لكم: أي خَلَق لكم[٣]، فـ "مَنْ لم يُعْمِل هذه الأعضاء في ما خَلَقه الله، وتَدَبَّرَ ما أودعه فيها مِن الدَّلائل على وحدانيّته، وباهر قدرته، فهو كعادم هذه الأعضاء، وممن قال تعالى فيهم (فَمَا أَغْنَى عَنْهُم سَمْعُهُم وَلاَ أَبْصَارُهُم وَلاَ أَفْئِدَتُهُم مِنْ شَيءٍ) [الأحقاف:٢٦][٤]. ومنه (... هُوَ أَنْشَأَكُم مِنَ الأرضِ وَاسْتَعْمَرَكُم فِيهَا...) [هود:٦١]، أي

---

(١) السيد عمر: النموذج المعرفي التربوي المعياري - **الكتاب رقم (١٣) من سلسلة العلوم التربويَّة الإسلاميَّة** (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤٤١هـ) ص٢٥

(٢) **نفس المرجع السابق**.

(٣) جلال الدين محمد بن أحمد المَحَلّي وجلال الدين بن أبي بكر السيوطي: **تفسير الجلالين** (دمشق: دار ابن كثير، ج١، ط١٦، ١٤٣٤هـ) ص٣٤٧

(٤) محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي: **تفسير البحر المحيط** (بيروت: دار الكتب العلمية، ج٦، ٢٠١٠م) ص٣٨٥

ابتدأ خَلْقَكُم، منها خُلِق أبـــاكم آدم، "وَاسْـــتَعْمَرَكُم فِيـــهَ" أي: جعلكـــم عُمَّـــارًا تعمِّرونهـــا وتستغلونها[١].

- (التربية، **والرعاية، والاعتناء، والتَّغذية):** قال تعالى: (أَوَ مَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَة وَهُـــوَ فِـــي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ)، ينشأ في الحِلْية، أي يُتربَّى في الزينة والنعمة، وهو إذا احتـــاج إلـــى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال كان غير مُبين. أي ليس عنده بيان، ولا يـــأتي ببرهـــان يحتج به مَنْ يُخاصمه...[٢]، وفي فتح القدير: ينشأ: يُربَّى، والنـــشوء التربيـــة، والحليـــة: الزينة، والمعنى: أو جعلوا له سبحانه مَنْ شَأنه أنْ يُرَبَّى في الزينة، وهو عـــاجز عـــن أنْ يقوم بأمور نفسه، وإذا خوصم لا يقدر على إقامة حُجَّتِه ودفع ما يجادله به خصمه لنقصان عقله وضعف رأيه؟[٣]. أما قوله: (أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا...) [الشعراء:١٨]، وقولـــه: (وَقُـــلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) [الإسراء:٢٤]؛ بمعنى التنشئة والتربية فـــي الاســـتخدام القرآنيّ بالمعنى المُباشر "لم يأتِ إلا في الموضعيْن السابقيْن، وأنَّ الاستخدام انصرف إلـــى مرحلة الطفولة المُبكرة التي يدل عليها لفظ "صغيرً" في الآية الثانية، و"وليدًا" فـــي الآيـــة الأولى، فكان معنى التربية هنا الرعاية الجسميَّة فضلاً عن الجوانب الصحيَّة[٤].

- **بمعنى: (الصُّنْع، والاصْطِّنَاع الإلهي لعناصِر مُصطَّفَاة من البَشر):**

مِنْ قوله: (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي)، ولقوله: (واصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي) [طه: ٣٩-٤١] أي "تُربَّـــى بعين الله"[٥]، أو "ولِتُربَّى وتُغَذَّى بمرأى مِنِّي"[٦]، أو "ولتربَّى ويُحْسَن إليك، وأنا مُراعِيك وراقبك، كما يُراعِي الرجل الشيء بعينه إذا اعتنى به..." [٧]، يقال: "صنع الرجـــل جاريتـــه؛ إذا ربَّاهـــا، وصنع فرسه؛ إذا داوم على علفه والقيام عليه"[٨]، والمعنى: "لِتُغَذَّى على محبتـــي وإرادتـــي...،

---

(١) عبد الرحمن بن محمد الثعالبي، الشهير بالثعالبي: **الجواهر الحِسان في تفسير القرآن** (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ج١، د. ت) ص

(٢) أبو القاسم جار الله الزمخشري:**الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده،ج٣، ١٣٩٢هـ) ص٤١٥

(٣) محمد بن علي بن محمد الشوكاني: **فتح القدير الجامع بين دفتي الرواية والدراية من علم التفسير** (القاهرة: دار الوفاء للطباعة والنشر، ج٤، ط٢، ١٤١٨هـ) ص٧١٩

(٤) سعيد إسماعيل علي: **أصول التربية الإسلامية**، مرجع سابق، ص١٠-١١

(٥) إسماعيل بن كثير القرشي: **تفسير القرآن العظيم** - تحقيق: أبو إسحاق الحويني (القاهرة: دار ابن الجوزي للطبع والنشر، ج٥، ١٤٢٧هـــ) ص٢٨٠

(٦) محمد بن علي الشوكاني: **مرجع سابق**، ج٣، ص٥٠١

(٧) أبو حيان الأندلسي: **مرجع سابق**، ج٦، ص٢٢٧

(٨) محمد بن علي الشوكاني: **مرجع سابق**، ج٣، ص٥٠١

والعين في هذه الآية: قصد الإرادة والاختيار"[١]؛ "لتكون حركتك وتصرفك على عين منِّي"[٢]. وقوله (واصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي): "الاصطناع: اتخاذ الصنعة، وهي الخير تسديه إلى إنسان"[٣]، يُقال: "اصطنع فلان فلانًا: اتخذه صنيعه، وهو افتعال مِن الصُّنْعِ وهو: الإحسان إلى الشخص حتى يُضاف إليه، فيقال: هذا صنيع فلان"[٤]، والمعنى: "اصطنعتك لوحي ورسالتي لتتصرف على إرادتي"[٥]، و"جعلتك موضع الصَّنِيعة، ومقر الإكمال والإحسان، وأخلصتك بالألطاف واخترتك لمحبتي...، ومعنى "لنفسي" أي: لأوامري، وإقامة حججي، وتبليغ رسالتي، فحركاتك وسكناتك لي لا لنفسك ولا لأحد غيرك"[٦]، و كل تلك المعاني غاية في مقام التربية.

- **بمعنى: (الكمال في العلم):**

مِن الآية: (... وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّين بِمَا كُنْتُم تُعَلِّمُونَ الكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُم تَدْرُسُونَ) [آل عمران:٧٩]، ربانيين جمع ربَّاني، أي منسوب إلى الرب، مِنْ حيثُ هو عالِم ما علِمه عَامِل بطاعته مُعلِّم للناسِ ما أُمر به. وقيل: منسوب إلى الربان وهو معلم الناس، مأخوذ من رب يرب، إذا أصلح وربَّى. وفي البخاري الربَّاني: الذي يُربِّي الناس بصِغارِ العِلم قبل كِباره. فجملة ما يقال في الربَّانِي: أنه العالِم بالرَّبِ والشَّرع، المُصيب في التقدير مِن الأقوال والأفعال التي يحاولها في الناس. وقوله "بما كنتم" معناه بسبب كونكم دراسين وعالمين[٧]، قال الزَّمخشريّ: "أوجب أنْ يكون الرئاسة التي هي قوة التَّمسك بطاعة الله مسببة عن العِلم والدِّراسة وكفى به دليلًا على خيبة سعي مَنْ جهد نفسه وكدَّ روحه في جمع العلم، ثم لم يجعله ذريعة إلى العمل، فكان مثل مَن غرس شجرة حسناء تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها"[٨].

- **بمعنى: (المَالِك والمُسْتَحِق، وصاحب السِّيَادة والمُلْك، والسِّيَاسَة، والإصلاح):**

قال تعالى في شأن التَّذكِرة بِالميثاقِ المأخوذ على البشر وهم في أصلاب آبائهم؛ بأنْ يؤمنوا بربوبيّته لهم، ويعبدوه ولا يُشركوا به شيئًا: (... أَلَسْتُ بِرَبِّكُم قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا

(١) محمد بن علي الشوكاني: **مرجع سابق**، ج٣، ص٥٠١
(٢) أبو حيان الأندلسي: **مرجع سابق**، ج٦، ص٢٢٧
(٣) محمد بن علي الشوكاني: **مرجع سابق**، ج٣، ص٥٠٣
(٤) أبو حيان الأندلسي: **مرجع سابق**، ج٦، ص٢٢٧
(٥) محمد بن علي الشوكاني: **مرجع سابق**، ج٣، ص٥٠٣
(٦) أبو حيان الأندلسي: **مرجع سابق**، ج٣، ص٢٢٧
(٧) تفسير الثعالبي: **مرجع سابق**، ج١، ص ٢٨٢-٢٨٣
(٨) أبو حيان الأندلسي: **مرجع سابق**، ج٢، ص٥٣٠

يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) [الأعراف:١٧٢]، "فأعطاه طائفة طائعين، وطائفة كارهين على وجه التقيَّة، فقال هو والملائكة (شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ...)، فلذلك ليس أحدٌ مِنْ ولدِ آدم إلا وهو يعرف أنَّ الله ربه، ولا مشرك إلا وهو يقول: (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ) [الزخرف:٢٢]، فذلك قوله (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ... الآية)، وذلك حين يقول: (وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا) [آل عمران:٨٣]، وذلك حين يقول: (قُلْ فَلِلَّهِ الحُجَّةُ البَالِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ)، يعني: يوم أخذ الميثاق"[١]. كما وردت المعاني السابقة في جميع الآيات التي وَرَدَ فيها ذكر الربِّ من (الفاتحة:١) حتى (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس) [الناس:١]، حيث اشتملتْ الأخيرة على "ثلاث صفات من صفاتِ الرَّبِّ أ الربوبيَّة، والمُلك، والإلهيَّة، فهو رَبُّ كل شيء ومليكه وإلهه، فجميع الأشياء مخلوقة له، مملوكة عبيد له، فأمر المستعيذ أنْ يتعوذ بالمُتَّصِفِ بهذه الصفات... والمعصوم مَنْ عَصَمَ الله"[٢].

- **بمعنى: (الإِنْبَات والنَّماء والعُلُو والارتفاع والزِّيَادة والقوة):**

مِن الاستخدامات القرآنيَّة (رَبَتْ) بمعني: "ارتفعتْ وأشرفتْ، يُقال: فلان يربأ بنفسه عن كذا، أي: يرتفع بها عنه...، وهي أنْ تكون مِنْ ربأت القوم إذا علوت شرفًا من الأرض طليعة، فكان الأرض بالماء تتطاول وتعلو"[٣]، في قوله: (فَإِذَآ أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) [الحج:٥]، وقوله: (وَمِنْ آيَاتِه أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَآءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ...) [فصلت:٣٩]، أي: "تحركت بالنبات، وحييت بعد موتها، وارتفعت لَمَّا سكن فيها الثَّرَى، ثم أنبتتْ ما فيها مِن الألوان والفنون مِن ثمارٍ وزروعٍ وأشتات النبات في اختلاف ألوانها وطعومه وروائحها وأشكالها ومنافعها..."[٤]. و(رابيًا) بمعنى: "منتفخًا عاليًا، على وجه السيل، ومنه: الربوة. أي: فجاء على وجه الماء الذي سال في هذه الأودية زَبَدٌ عالٍ عليه"[٥] في قوله (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا...) [الرعد:١٧]. ومن الاستخدامات القرآنيَّة (يَرْبُو، أَرْبَى، يُرْبِي) بمعنى زيادة وقوة ونماء، تقول: "ربا الشيء يربو ربوًا

---

(١) ابن قيم الجوزية: **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل** (القاهرة: دار الحديث، ط٢، ١٤١٨هـ) ص٣٠

(٢) تفسير ابن كثير: **مرجع سابق**، ج٧، ص٧١٠

(٣) أبو حيان الأندلسي: **مرجع سابق**، ج٦، ص٣٢٨

(٤) تفسير ابن كثير: **مرجع سابق**، ج٥، ص٣٨٧

(٥) أبو حيان الأندلسي: **مرجع سابق**، ج٥، ص٣٧٢، وابن كثير: **مرجع سابق**، ج٤، ص٥٦٨

ورباء: زاد ونما فهو راب وهي رابية وأفعل التفضيل أربى"[١]: (وَمَا آتَيْتُم مِنْ رِبًا لِيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُوا عِنْدَ اللهِ) [الروم:٣٩]، و(أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ) [النحل:٩٢]، أي "أكثر زيادة وقوة. وأربى الشيء يُرْبِيهِ إِرْبَاءً: نماه، وقوله: (وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ)، أي يُنَمِّي المال الذي أخرجتْ منه الصدقة"[٢].

- **بمعنى: (التزكية):**

لفظ التزكية "وَرَدَ في تسعة وخمسين (٥٩) موضعًا في القرآن، منها الآيات التي وَرَدَ فيها ذكر الزكاة"[٣]. وهي من الألفاظ التربويَّة الشائعة التي تُستخدَم في مقام التربية: (فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى) [النجم:٣٢]، الآية في "ظَاهِرُها النَّهي عن تزكية الإنسان نفسه، ويُحتَمل أنْ يكون نهيًا عن أنْ يُزكِّي بعض النَّاس بعضًا، وإذا كان هذا فإنما يُنهى عن تزكية السُّمعة والمدح للدنيا أو بالقطع بالتَّزكيّة، وأما تزكيَة الإمام والقدوة أحدًا لِيُؤْتَمَّ به... فجائز"[٤]، و"أما التّزكيَة لإثبات الحُقوق فجائز للضَّرورة"[٥]. ومن الاستعمالات القرآنيَّة (زَكَى) بمعنى: طهر وصلح، قوله: (وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُم مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا) [النور:٢١] أي: "بالتوبة المُمَحِّصَة ما طَهَرَ أحد منكم، "مَا زَكَى مِنْكُم مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا" أي: مَنْ سبقت له السعادة، وكان عمله الصَّالح أمارة سَبْقِها، أو من يشاء بقبول التوبة النَّصوح"[٦]. وقوله: (قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا) أي: "طاهرًا صالحًا، و"بالنبوة"[٧]، و"مُزكًّى مُطهرًا بالخِلْقَة"[٨]. وقد ترتبط التزكية "بعملية التَّعلُّم المعرفيّ، وتكمّلها: (يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ)؛ فالتّلاوة قراءة ومعرفة، ومن ثمَّ فلا وقوف عند هذا الحد، ولا بد من التَّطهير والتَّزكية والصَّلاح...، وأيضًا: (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى) أي: يتطهر من الشِّرك والمآثم...، ولما كان إخراج النسبة المخصوصة من المال لإنفاقها في تلك السُّبل التي حددها الشَّرع يؤدي إلى أنْ يطهر هذا المال، ويجعله مالًا صالحًا

---

(١) سعيد إسماعيل علي: **أصول التربية الإسلامية**، مرجع سابق، ص١٠
(٢) **نفس المرجع السابق**.
(٣) بدرية صالح الميمان: **نحو تأصيل إسلامي لمفهومي التربية وأهدافها**، مرجع سابق، ص٣٠٧
(٤) تفسير الثعالبي: **مرجع سابق**، ج٤، ص٢٢٩
(٥) أبو حيان الأندلسي: **مرجع سابق**، ج٨، ص١٣٦
(٦) **المرجع السابق**: ج٦، ص٤٠٤
(٧) تفسير الجَلالَيْن: **مرجع سابق**، ج٢٦، ص٣٠٦
(٨) حسنين محمد مخلوف: **كلمات القرآن تفسير وبيان** (القاهرة: مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع بالمنصورة، ١٣٩٠هـ) ص١٦٣

مباركًا سُمِّي هذا القدر(زكاة)، يقول سبحانه: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِم صَدَقَةً تُطَهِّرُهُم وَتُزَكِّيهِم بِهَا)؛ أي: تُصلِحَهُم، إذن لا تُطَهِّر المال فحسب، وإنما تُصلِح مِن شأنِ هذا المالِ"[١].

- **بمعنى التَّعليم:**

والتَّعليم مِن الألفاظ المحوريَّة المُعَبِّرة عن التربية، أو يُساويها ترادفًا عند كَثْـرة البـاحثين وأهل الاختصاص، وقد "ورد في القرآن بصيغة الفعل (علَّم) في أربعة وأربعين موضعًا، أما كلمة (مُعَلَّمٌ) لم ترد إلا في موضع واحد في سورة (الدخان:١٤)"[٢]، قال تعالى: (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ) [البقرة:١٥١]. يقول أبو حيَّان: "فيه اعتناء بالعرب إذ كان الإرسال فيهم والرسول منهم، وإنْ كانت رسالته عامة...، ووصفه بأوصاف كلها معجز لهم، وهي كونه منهم وتاليًا عليهم آيات الله ومُزكِّيًا لهم ومُعلِّمًا لهم الكتاب والحكمة (القرآن والسُّنة)...، وأتى ثانيًا بصفة تلاوة الآيات إليه تعالى؛ لأنها هي المعجزة الدالة على صدقه الباقية إلى الأبد، وأضاف الآيات إليه؛ لأنها كلامه سبحانه ومِنْ تلاوتِهِ – أي يفصح لهم عن ألفاظه ويوقفهم بقراءته على كيفيَّة تلاوته – تستفاد العبادات ومجامع الأخلاق الشريفة، وتنبع العلوم، وأتى ثالثًا بصفة التزكية وهي التَّطهير مِنْ أنجاسِ الضَّلالِ؛ لأنَّ ذلك ناشئ عن إظهار المعجز لمن أراد الله توفيقه وقبوله للحق، وأتى رابعًا بصفة تعليم الكتاب والحكمة؛ لأن ذلك ناشئ عن تطهير الإنسان باتباع النَّبي فيعلمه إذ ذاك ويفهمه ما انطوى عليه كتاب الله وما اقتضته الحكمة الإلهيَّة..."[٣]. مِنْ هنا يتضح أنَّ النبيَّ غ هو مُعَلِّم الأُمَّة دينها وأمور حياتها.

يتضح مِن خلال العرض السابق لنصوص القرآن الكريم، الاستنتاجات التحليليَّة الآتية:

- مفهوم التربية في القرآن الكريم، عملية هادفة مقصودة ملازمة للإنسان، تُرافقه مدة حياته على الأرض مِنْ لحظة تكوينه، مُرورًا بمراحل تشكيله، إلى نهاية وجوده، تنشئةً وتأسيسًا وإعدادًا رَبَّانيًّا، تأهيلًا لحمل أمانة التَّكليف العُظمى ورسالة الوجود الأولى؛ وهي أمانة التوحيد والاستخلاف في الأرض.
- مفهوم التربية في القرآن مفهومٌ جَامعٌ، ثَريًّا بِدَلالاته الواسعة، شاملًا كُلّ المعاني اللُّغَويَّة وتجاوزها للكشف عن غِطاء الألفة المستبطن لروافد مستلزماته بالمعنى الإسلاميّ بِمُسمَّيَاتِه

(١) سعيد إسماعيل علي: **أصول التربية الإسلامية**، مرجع سابق، ص١٥
(٢) بدرية صالح الميمان: **نحو تأصيل إسلامي لمفهومي التربية وأهدافها**، مرجع سابق، ص٣١٢
(٣) أبو حيان الأندلسي: **مرجع سابق**، ج١، ص٦١٨، ٥٦٤

التي سَمَّاهَا الله بها، مشتملًا على جميع جوانب شخصيَّة الإنسان خُلقًا وعقلًا وروحًا وجسمًا، مُحاطًا بكل المعاني والدلالات السَّابقة، بغرض النُّمو والتزكيَة.

- مِن أَبْرَزِ المَواطِن التي ورد بها (رَبِّ العَالَمِينَ)، عميقة الصِّلة بالتربية الرَّبَّانيَّة؛ تلك التي وَرَدَتْ على لسانِ (امرأة عمران، وإبراهيم الخليل)، مِن (الجمع بين تحرير النَّفس وتحرير ما يتولد منها)، فقَدَّمَتْ امرأة عمران النَّموذج الأبرز في تجسيد هذا المضمون التَّربويّ، كذلك (سؤال كيفية الإحياء الرَّبَّاني للمَوتَى)، قَدَّمَ هذا النموذج التَّربويّ إبراهيم × مِن غيرِ شكٍ منه، والتعليل؛ أَنَّه أَحَبَّ الجمع بين الإيمان والطَّلب الدائم لليقين والاطمئنان القلبيّ[1].
- تتَعَدَّد أوجه من النَّظائر؛ لتشتمل على عددٍ مِن المفاهيم والمصطلحات التربويَّة المهمة كـ: مفهوم الإيواء*، ومفهوم الولاية، ومفهوم الكفالة، ومفهوم التَّعلِيم**، ومفهوم التَّدرِيس، ومفهوم الهِدايَة***.

٣. التربية في السُّنة النبويَّة:

الأثر الأكبر للتربية هو في تشكيل الإرادات، واكتشاف الطَّاقات، والتَّعرف على الميول والقابليَّات، والقدرة على التَّعامل مع التَّحديات، والنُّهوض بِالمُتَعَلِّمِ إلى مُستوى المَثَل الأعلى، والقيام بأمانة العَرض في تعمير الأرض، والاستخلاف، وإقامة العبوديَّة على نور وبصيرة[2]، وقد وردتْ في صحيح السُّنة وِفْقَ المعاني والدلالات الآتية:

---

(١) السيد عمر: **النموذج المعرفي التربوي المعياري**، مرجع سابق، ص٩٢-٩٤

* انظر: ماجد عرسان الكيلاني: أهداف التربية الإسلامية في تربية الفرد وإخراج الأمة وتنمية الأخوة الإنسانية - **الكتاب رقم (٢٠) من سلسلة إسلامية المعرفة** (هيرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٢، ١٤١٧هـ) ص٢٧٧

** انظر: ابن قيم الجوزيَّة: **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** (القاهرة: المكتبة التوفيقية، ج٣، د.ت) ص٣٠٩، للمزيد، انظر:
- حامد السيد شحاتة: بناء مفهوم المَعرفة في: **مشروع بناء المفاهيم الأصيلة لعلوم الأمة**، مرجع سابق، ج١، ص١٤٥-٢٣٦
- ابن قيم الجوزية: **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، مرجع سابق، ج٣، ص٣٠٨-٣١٧
- السيد عمر: **النموذج المعرفي التربوي المعياري**: مرجع سابق، ص٣٢٣-٣٢٧

*** انظر: ابن الجوزي: **المدهش** – تحقيق: حامد أحمد الطاهر (القاهرة: دار الحديث للطبع والنشر، ١٤٢٥هـ) ص٣٦

(٢) محمود عبدالرحمن عبدالمنعم: **مرجع سابق**، ص١٥

- **بمعنى: النماء والزيادة:**

ما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ س قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ غ: "مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ – وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ– فَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فُلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ"(١). ضُرِبَ الله به المثل؛ لأنه يَزِيدُ زِيَادَةً بَيِّنَةً، ولأنَّ الصَّدقةَ نتاجُ العملِ، وأحوج ما يكون النتاج إلى التربيةِ إذا كان فطيمًا، فإذا أحسن العناية به انتهى إلى حد الكمال، وكذلك ابن آدم– لا سيّما الصَّدقة– فإنَّ العبد إذا تصدَّق مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ لا يزال نظر الله إليه يكسبها نعتَ الكمالِ حتى تنتهي بالتَّضعيفِ إلى نِصَابِ تقعُ المُناسبة بينه وبين ما قدَّم نسبة ما بين التمرة إلى الجبلِ(٢). فإذا كان الله تعالى يُربي للمتصدق صدقته كما يُربَّى المُهر أو الدَّابة فإنَّ المتصدق سِرًا ينال ويحوز خصلة لا ينالها إلا النبيُّون والصِّدّيقون والشُّهداء والصَّالحون؛ إنها محبَّة الله تعالى وتحت ظل عرش الرحمن يوم القيامة.

- **بمعنى: التربية:**

ما جاء في قول ابن الزبيرس: "... وَاللهِ إِنْ وَصَلُونِي وَصَلُونِي مِنْ قَرِيبٍ، وَإِنْ رَبُّونِي رَبُّونِي أَكْفَاءٌ كِرَامٌ ... الحديث"(٣)؛ من التربية أي: رَبَّانِي أهل كفاءة في الحَسَبِ والنَّسَبِ والشَّرَفِ مِنْ عِلْيَةِ القوم – وفي رواية: "وإِنْ كَانَ لَا بُدَّ لَأَنْ يَرُبَّنِي بَنُو عَمِّي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَرُبَّنِي غَيْرُهُمْ(٤)، أي: يكونوا عَلَيَّ أُمراءَ وسَادة ومُتقدِّمين– يعني بني أُميَّة.

- **بمعنى: التعليم:**

لقد بلغ مفهوم التَّعليم حدًا يفوق الحصر، دلَّتْ عليه كثرة الأحاديث في أبوابِ صَّحيحِ السُّنة، وقد جاءتْ النُّصوص بلفظِ صريحِ العِلم والتَّعليم بصيغٍ متعددة، كما تنوعتْ المفاهيم الفرعيَّة المندرجة تحت المفهوم والتي تؤكد معنى التربية، فمنْ لوازمها؛ التِّلاوة والقِراءة والكتابة وغيرها الكثير؛ دلالةً على شيوعه وحضوره. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ س كَانَ النَّبِي غ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: ... مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: "مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ، ... ثُمَّ أَدْبَرَ فَقَالَ:

---

(١) البخاري: **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الزكاة، باب ٧، حديث رقم (١٤١٠) ، ج٣، ص٣٩٩، وكتاب التوحيد (٩٧)، ج١٣، حديث رقم (٧٤٣٠)، ص٥٨٧

(٢) العسقلاني: **فتح الباري**، مرجع سابق، كتاب الزكاة، باب ٧ الصدقة من كسب طيب، حديث رقم (١٤١٠) ، ج ٢، ص٤٠٢

(٣) البخاري: **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب التفسير (٦٥)، باب ٩، حديث رقم (٤٦٦٥) ، ج٨، ص٢٥٠

(٤) العسقلاني: **فتح الباري**، مرجع سابق، كتاب التفسير (٦٥)، باب ٩ ، (٤٦٦٥) ، ج٨، ص٢٥٣

"رُدُّوهُ" فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا فَقَالَ: "هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ"[١]، أي "قواعد دينهم، جملة وقعت حالًا مُقدَّرة؛ لأنه لم يكن مُعَلِّمًا وقت المجيء، وأسند التَّعليم إليه، وإنْ كان سائلًا؛ لأنَّه لما كان السَّبب فيه أسنده إليه أو أنه كان مِنْ غرضه...، وفي هذا الحديث بيان عِظَم الإخلاص والمراقبة، وفيه أنَّ العالِم إذا سُئل عمَّا لا يعلمه يقول:

لا أدري، ولا ينقص ذلك مِنْ جَلَالته، بل يدل على ورعه وتقواه ووفور علمه، وأنه يسأل العالِم ليعلم السامعون، ويحتمل أنَّ في سؤال جبريل النبي غ مليء مِن العلوم وأنَّ علمه مأخوذ مِن الوحي فتزيد رغبتهم ونشاطهم فيه، وهو المعنى بقوله: "جاء يُعَلِّم الناس دينهم"، وفيه أيضًا ما يؤكد أنَّ الوحي مصدرًا مُهِمًّا مِنْ مصادر المعرفة في الإسلام"[٢]. ومِنْ الأحاديث التي جمعتْ بين التَّعليم والتَّأديب؛ ما جاء عن أبي بردة عن أبيه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله غ: "... وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَةٌ فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ"[٣]، أي "ما يجب تعليمه من الدين. وفي هذا الحديث إشارة إلى أحد العلوم الدنيويَّة المهمة أولًا وهو علم التربية"[٤]. ومِنْ المفاهيم الفرعيَّة التي تندرج تحت دلالة التَّعليم، مفهوم (التِّلاوة)؛ ما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ س قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله غ: "لَا تَحَاسُدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ، رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ..." [٥].

وأيضًا ما جَاءَ عَنْ عَائِشَةَ ك أَنَّهَا قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ الآيَاتُ الأَوَاخِرُ مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ خَرَجَ رَسُولُ الله غ فَتَلَاهُنَّ فِي المَسْجِدِ، فَحَرَّمَ التِّجَارَةَ فِي الخَمْرِ[٦]. وأيضًا مفهوم (القراءة)؛ ما جاء عَنْ عَائِشَةَ ك أَنَّهَا قَالَتْ: ...، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ قَالَ: "مَا أَنَا بِقَارِئٍ" قَالَ: "فَأَخَذَنِي فَغَطَنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي" ...، فَقَالَ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ

(١) البخاري: **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب ٣٧، حديث رقم (٥٠) ، ج ١، ص١٦٩

(٢) حامد السيد شحاتة: بناء مفهوم المعرفة، في: **مشروع بناء المفاهيم الأصيلة لعلوم الأمة**، مرجع سابق، ج١، ص٢٠١-٢٠٢

(٣) البخاري: **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب العلم، باب ٣١، حديث رقم (٩٧) ، ج١، ص٢٧٨

(٤) حامد السيد شحاتة: بناء مفهوم المعرفة في: **مشروع بناء المفاهيم الأصيلة لعلوم الأمة**، مرجع سابق، ج١، ص٢١١

(٥) البخاري: **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب التمني (٩٤)، باب ٥ تمني القرآن والعِلم، حديث رقم (٧٢٣٢) ، ج١٣، ص٣١٣

(٦) البخاري: **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب التفسير (٤٥٤١)، باب ٥٠ (يمحق الله الربا): يُذهبه، حديث رقم (٤٥٤١) ، ج٨، ص٧٥

وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) [العلق:١-٤]..." [١]، يقول ابن حجر: "... لما قال ذلك ثلاثًا قيل له: (اقرأ باسم ربك) أي لا تقرؤه بقوتك ولا بمعرفتك؛ لكن بحول ربك وإعانته، فهو يُعَلِّمُك، كما خَلَقَك وكما نَزَع عنك عَلَقَ الدِّم وغمز الشيطان في الصِّغر، وعَلَّم أُمَّتَك حتى صارت تَكْتُب بالقلم بعد أنْ كانتْ أُميَّة"[٢]، في الحديث دلالة قويَّة على أنْ تَسْلُكَ الأُمَّة طريق العلم والمعرفة. كذلك من المفاهيم الفرعيَّة مفهوم (الكتابة)؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ س قَالَ:...، فَقَامَ أَبُو شَاه فَقَالَ: اكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ الله، فَقَالَ غ:"اكْتُبُوا لِأَبِي شَاه"[٣]. ومنها ما جمعتْ بين التَّعليم والمُعلِّم والكتابة، فعنْ عَبْدِ الْمَلِكِ، قَالَ: كَانَ سَعْدٌ يُعَلِّمُ...، كَمَا يُعَلِّمُ المُعَلِّمُ الْغِلْمَانَ الْكِتَابَةَ..." [٤]. كما جاء الجمع بين المفاهيم الثلاثة التَّعليم والكتابة والقراءة؛ فعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ س أَنَّ النَّبِيَّ غ أَمَرَهُ أَنْ يَتَعَلَّمَ كِتَابَ اليَهُودِ، حَتَّى كَتَبْتُ لِلنَّبِي غ كُتُبَهُ، وَأَقْرَأْتُهُ كُتُبِهِمْ إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ[٥]، قوله: (أَنَّ النَّبِي أمره...) المراد بالكتاب: الخط، وقوله: (حتى كتبتُ للنَّبِي كتبه) يعني إليهم، و(أقرأته كتبهم) أي التي يكتبونها إليه[٦].

- **بمعنى: التدريس أو الدراسة:**

ما جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ س قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله غ أَجْوَدَ النَّاسِ...، حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ..."[٧]؛ أصل الدِّراسة: الرِّياضة أي: التدريب وكثرة المران، والتَّعَهُّد بالشيء، و"... أنَّ مُدارسة القرآن تُجدد له العهد بمزيد غنى النَّفس، والغنى سبب

(١) البخاري: **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب بدء الوحي، باب ٣، حديث رقم (٣) ، ج١، ص٣٣
(٢) العسقلاني: **فتح الباري**، مرجع سابق، كتاب بدء الوحي، باب ٣، حديث رقم (٣)، ص٣٣
(٣) البخاري: **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب اللقطة (٤٥)، باب ٧ كيف تُعرف لُقَطةُ أهل مكة، حديث رقم (٢٤٣٤) ، ج٥، ص١٢٤
(٤) البخاري: **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير (٥٦)، باب ٢٥ ما يتعوذ من الجُبن، حديث رقم (٢٨٢٢) ، ج٦، ص٥١
(٥) البخاري: **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الأحكام، باب ٣ ترجمة الحُكام، وهل يجوز ترجمان واحد؟، حديث رقم (٧١٩٥) ، ج١٣، ص٢٦٥
(٦) العسقلاني: **فتح الباري**، مرجع سابق، كتاب الأحكام، باب ٣ ترجمة الحُكام، وهل يجوز ترجمان واحد؟، حديث رقم (٧١٩٥) ، ج١٣، ص٢٦٦
(٧) البخاري: **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب بدء الوحي، باب ٥، حديث رقم (٦) ، ج ١، ص٤٦. وكتاب المناقب (٦١)، ج٦، وكتاب الإكراه، باب ٢ في بيع المُكْرَهِ ونحوه في الحق وغيره، حديث رقم (٦٩٤٤)، ج ١٢، ص٤٤٤ ، بلفظة (المِدْرَاس) أي: الموضع الذي يُدْرَسُ فيه. وكتاب ٦، باب ٢ (قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)، حديث رقم (٤٥٥٦) ، ج ٨، ص١٠٣ بلفظة (مِدْرَاسُها، ويُدَارِسُهَا)- فـ المِدْرَسُ: أي الكتاب. والمُدَارِسُ: الذي قرأ الكتب ودَرَسَها.

الجود، والجود في الشرع إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي، وهو أعم من الصَّدقة"[١]. وجاء عن أبي هريرة س قال رسول الله غ: "مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةَ..." [٢]، التَّدارُس: بمعنى التعهُّد بالقراءة والفهم والحفظ والتكرار.

- **بمعنى: التنشئة:**

ما جَاءَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ س عَنْ النَّبِي غ قَالَ: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ...، وَشَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادةِ رَبِه..." [٣]. النشأة هنا: التربية على طاعة الله تعالى، "وخُصَّ الشابُّ لكونه مظنة غلبة الشهوة لما فيه من قوة الباعث على متابعة الهوى، فإنَّ ملازمة العبادة مع ذلك أشد وأدل على غلبة التقوى، وفي حديث سلمان: أفنى شبابه ونشاطه في عبادة الله"[٤]. ومن المفاهيم التي تندرج تحت مفهوم التنشئة وتتعلق بمعنى التربية تعلقًا بينًا: مفهوم (الرعاية)، فعن بن عُمر م أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ غ يَقُولُ: "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ...، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِي مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا.." [٥]؛ فالراعي: الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما اؤتمن على حفظه، فهو مطلوب بالعدل فيه والقيام بمصالحه...، ورعاية الرجل أهله؛ سياسته لأمرهم، وإيصالهم حقوقهم، ورعاية المرأة؛ تدبير أمر البيت والأولاد والخدم والنَّصيحة للزوج في كل ذلك[٦]. وأيضًا مفهوم (الكفالة): عن سهل بن سعد س عَنْ النَّبِي غ قَالَ: "أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الجَنَّةِ..."[٧]، "الكافل: القائم بأمر اليتيم المُربّي له، وهو الكفيل الضَّمين... سواء كان الكافل مِنْ ذوي رحمه وأنسابه أو كان أجنبيًا لغيره تكفَّل به، ومنه الحديث "الرَّابُّ كافلٌ"، الرابُّ أي: زوج أم اليتيم؛ لأنه يَكْفُل تربيته، ويقوم بأمره مع أُمِّه.

---

(١) العسقلاني: **فتح الباري**، مرجع سابق، كتاب بدء الوحي، باب ٥، حديث رقم (٦)، ج١، ص٤٧

(٢) القشيري: **صحيح مسلم** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، حديث (٢٦٩٩)، ص٢٠٧٤

(٣) البخاري: **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الآذان (١٠)، باب ٣٦ من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، وفضل المساجد، حديث رقم (٦) ، ج٢، ص٢٠٤

(٤) العسقلاني: **فتح الباري**، مرجع سابق، كتاب الآذان (١٠)، باب ٣٦ من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، وفضل المساجد، حديث رقم (٦)، ج٢، ص٢٠٥

(٥) البخاري: **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتَّفليس (٤٣)، باب٢٠، حديث رقم (٢٤٠٩) ، ج٥، ص٩٩

(٦) العسقلاني: **فتح الباري**، مرجع سابق، كتاب الأحكام (٩٣)، باب١، حديث رقم (٧١٣٧) ، ج١٣، ص١٦٢، وابن منظور: **مرجع سابق**، ج١٤، ص٣٢٩ .

(٧) البخاري: **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الأدب (٧٨)، باب٢٤ فضل من يعول يتيمًا ، حديث رقم (٦٠٠٥) ، ج١٠، ص٦١٥

وفي حديث وفد هوازن: (وأنت خير المكفولين)؛ يعني الرسول غ خير مَنْ كُفِلَ في صغره، وأُرْضِعَ ورُبِّى حتَّى نشأ.."[١].

- **بمعنى السياسة:**

ما جاء عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ م، قَالَتْ: ... لَقِيَنِي رَسُولُ اللهِ غ، وَعَلَى رَأْسِي النَّوَى، وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَأَنَاخَ لأَرْكَبَ فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ، وَعَرَفْتُ غَيْرَتَكَ فَقَالَ: وَاللهِ لَحَمْلُكِ النَّوَى كَانَ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ رُكُوبِكِ مَعَهُ، قَالَتْ: حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ بِخَادِمٍ تَكْفِينِي سِيَاسَةَ الفَرَسِ فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَنِي[٢]، أي القيام على الشيء بما يصلحه، وهي فعل السائس، يُقال: يسوس الدواب إذا قام عليها وراضها[٣].

- **بمعنى: التهذيب:**

ما جاء عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ س، عَنْ رَسُولِ اللهِ غ قَالَ: "إِذَا خَلُصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاضُونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ..." [٤]. يقول ابن حجر: "نقوا: من التنقية. وهذبوا: أي خلصوا من الآثام بمقاصة بعضها ببعض – وفي موضع آخر– نُقُّوا وَهُذِّبُوا: بمعنى التَّمييز والتَّخليص مِنْ التَّبِعات"[٥]. ومن المفاهيم التي تَنْدَرِجُ تحت دلالة التَّهذيب، مفهوم (الاصْلاح): ما جاء عَنْ سَهْلٍ س قَالَ: خَرَجَ النَّبِي غ يُصْلِحُ بَيْنَ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفِ بْنِ الْحَارِثِ..." [٦]، "الصُّلْحُ أي: تصالح القوم فيما بينهم... وقال الراغب: قوبل الصَّلاح في القرآن تارة بالفساد وتارة بالسيئة، قال تعالى: (خَلَطُواْ عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا) [التوبة:١٠٢]، وقوله: (وَلَا تُفْسِدُواْ فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا) [الأعراف:٥٦]، والصُّلح يختص بإزالة النِّفار بين النَّاس، يُقال: اصطلحوا وتصالحوا..." [٧].

---

(١) ابن منظور: **مرجع سابق**، ج١١، ص٥٩٠

(٢) البخاري: **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب النكاح (٦٧)، باب ١٠٧ الغيرة، حديث رقم (٥٢٢٤) ، ج٩، ص٢٠٧

(٣) ابن منظور: **مرجع سابق**، ج٦، ص١٠٧

(٤) البخاري: **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب المظالم والغصب (٤٦)، باب١ قصاص المظالم، حديث رقم (٢٤٤٠) ، ج٥، ص١٣٦

(٥) العسقلاني: **فتح الباري**، مرجع سابق، كتاب (٤٦)، باب١، حديث رقم (٢٤٤٠) ، ج٥، ص١٣٧، وكتاب (٨١)، باب ٤٨، حديث رقم (٦٥٣٥) ، ج١١، ص٥٥٦

(٦) البخاري: **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب العمل في الصلاة (٢١)، باب٣، حديث رقم (١٢٠١) ، ج٣، ص١١٢، وكتاب الصلح (٥٣)، باب ١، ج٦، ص٤١٩- ٤١٥

(٧) صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون: **موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم**، مرجع سابق، ج٦، ص٥٢٥ مادة (الصلاح).

ومفهوم (النصيحة): ما جاء عن جرير بن عبد الله س: بَايَعْتُ النَّبِي غ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، والنُّصْحِ لِكُلِ مُسْلِمٍ"[١]، ومِنْ ذلك أيضًا ما جاء عن أبي رقية تميم الدَّارِيّ س أنَّ النبي غ قال: "الدين النصيحة"[٢]، فالنّصح مأخوذ مِنْ قولهم: نَصَحْتُ له الودَّ، أي أخلصته...، وكل شيء خَلَصَ فقد نَصَحَ...، فالنَّصيحة كلمة يُعبَّر بها عن جملة هي إرادةُ الخير للمنصوح له[٣]. ومفهوم (الإحسان): ما جاء عَنْ أَبِي مُوسَى س قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ غ: "مَنْ كَانَتْ لَهُ جَارِيَةٌ فَعَلَّمَها فَأَحْسَنَ إِلَيْهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا كَانَ لَهُ أَجْرَانِ"[٤]، الإحسان مُطلقًا: فِعل مَا هو حَسَن، والحَسْن وصف مشتق من الحُسْنِ الذي يُراد به "ما يكون متعلق المدح في العاجل والثواب الآجل"، وقيل: "الإحسان إسلام ظاهر، يقيمه إيمان باطن، يُكَمِّلُهُ إحسانٌ شُهُودِيٌّ"[٥].

- **بمعنى: التزكية:**

ما جاء عن أبي هريرة س يقول: قال رسول الله غ: "ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ..." [٦]، وأيضًا ما جاء عَنْ عَائِشَةَ ل قَالَتْ لِابْنِ الزُّبَيْرِ س ادْفِنِّي مَعَ صَوَاحِبِي، وَلَا تَدْفِنِّي مَعَ النَّبِي غ فِي الْبَيْتِ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُزَكَّى[٧]. قولها: (...أكره أنْ أُزكَّى) أي: أنْ يُثْنِي عَلَيَّ أحد بما ليس فِيّ، بل بمجرد كوني مدفونة عنده دون سائر نسائه، فيظن أنّي خُصصت بذلك مِنْ دونهنْ، لمعنى فِيَّ ليس فيهنَّ وهذا منها في غاية التَّواضع"[٨]. وعليه تكون التزكية بمعنى التَّطهير والتَّنقية، والتَّنمية لروح العطاء والإيثار ووفرة الخصال الكريمة، كما تُحمل على الإطناب في المدح والثناء أو المُمَادحة والتَّكلف المنهي عنها؛ جاء عن ابن أبي بكرة،

---

(١) البخاري: **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الزكاة (٢٤)، باب ٢ البيعة على إيتاء الزكاة، حديث رقم (١٤٠١) ، ج٣، ص٣٨٤

(٢) القشيري: **صحيح مسلم**، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب بيان أنَّ الدين النصيحة، حديث رقم (٨٢)، ج١، ص٧٤

(٣) صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون: **موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم**، مرجع سابق، ج٨، ص ٣٤٦ مادة (النصيحة).

(٤) البخاري: **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب العتق (٤٩)، باب ١٥ فضل من أدَّب جاريته وعلَّمها، حديث رقم (٢٥٤٤) ، ج٥، ص٢٤٤

(٥) صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون: **موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم**، مرجع سابق، ج٢، ص ٦٧ مادة (الإحسان).

(٦) البخاري: **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الشرب والمساقاة (٤٣)، باب ٤ إثم من منع ابن السبيل من الماء، حديث رقم (٢٣٥٨) ، ج٥، ص٤٩

(٧) البخاري: **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنة (٩٦)، باب ١٠٨، حديث رقم (٧٣٢٧) ، ج١٣، ص٤٣٠

(٨) العسقلاني: **فتح الباري**، مرجع سابق، كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنة (٩٦)، باب ١٠٨، حديث رقم (٧٣٢٧) ، ج١٣، ص٤٣٦-٤٣٧

عن أبيه: أنَّ رَسُولَ الله غ قَالَ: "...، إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا لَا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ كَذَا وَكَذَا، إِنْ كَانَ يُرَى أَنَّهُ كَذَلِكَ، وَحَسِيبُهُ اللهُ، وَلَا يُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَدًا"(١)، أي: "لا يقطع على عاقبة أحد ولا على ما في ضميره لكون ذلك مغيبًا عنه"(٢).

- **بمعنى: الولاية – والإيواء:**

ما جاء عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَلِي ش قَالَ: ... مَنْ تَوَلَّى قَوْمًا بِغَيْرِ إِذْنِ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ..." (٣). الولاية هنا: من الرياسة وتقلُّد الأعمال بالتَّدبير والتَّصريف، وأيضًا ما جاء عن عائشة ك قالت: قال رسول الله غ: "... مَنْ يَلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ شَيْئًا فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ"(٤)، قوله (يلي) من الولاية: أي وَلِيَ أمرهن وآواهن ورحمهن وكفلهن وأطعمهن وكساهن وأحسن تأديبهن وعلَّمهن وأنفق عليهن واتقى الله فيهن وزوجهن، كل تلك الألفاظ والمعاني شملتهم لفظة (الإحسان)(٥)، تحت مظلة الولاية بمفهوم التربية.

ومِنْ معاني الإيواء: السَّكن والانضمام واللجوء والدخول أو الاحتماء والمواساة والرحمة.. وغيرها، وقد وردتْ جميعها – على سبيل المثال– ما جاء عن أنس أنَّ غ: "كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، قَالَ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكَفَانَا وَآوَانَا فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِيَ"(٦)، قوله (إذا أوى إلى): إذا انضم إليه ودخل فيه. وقوله (وآوانا) أي: "رَدَّنا إلى مأوى وهو المنزل، ولم يجعلنا مِمَّنْ لا مأوى له كسائر الحيوانات"(٧). ومنها ما جاء عن أبي واقد الليثي، أنَّ رَسُولَ اللهِ غ

---

(١) البخاري: **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الأدب (٧٨)، باب ٥٤ ما يُكره من التمادح، حديث رقم (٦٠٦١) ، ج١٠، ص٦٧١-٦٧٢

(٢) العسقلاني: **فتح الباري**، مرجع سابق، كتاب الأدب (٧٨)، باب ٥٤ ما يُكره من التمادح، حديث رقم (٦٠٦١) ، ج١٠، ص٦٧٣

(٣) البخاري: **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب فضائل المدينة (٢٩)، باب ١ حَرَمِ المدينة، حديث رقم (١٨٧٠) ، ج٤، ص١١٧

(٤) البخاري: **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الأدب (٧٨)، باب١٨ رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، حديث رقم (٥٩٩٥)، ج١٠، ص٦٠١

(٥) العسقلاني: **فتح الباري**، مرجع سابق، كتاب الأدب (٧٨)، باب١٨ رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، حديث رقم (٥٩٩٥)، ج١٠، ص٦٠٤

(٦) القشيري: **صحيح مسلم**، مرجع سابق، كتاب الذكر والدعاء، باب ما يُقال عند النوم، حديث رقم (٢٧١٥)، ج٤، ص٦٤

(٧) محمد بن علي محمد الشوكاني الصنعاني: **تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين** (القاهرة: دار الحديث للطبع والنشر، ١٤١٩هـ) ص١٢٨

قَالَ: ... أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ: أَمَّا أَحَدُهُمَا فَآوَى إِلَى اللهِ فَآوَاهُ اللهُ..." [1]. الإيواء هنا يحمل معنى الانضمام والتوجُّه واللجوء، يقول ابن حجر: "أوى إلى الله: لجأ إلى الله، أو على الحذف: انضم إلى مجلس الرسول غ، ومعنى (فآواه الله): جازاه بنظير فعله بأنْ ضَمَّه إلى رحمته ورضوانه"[2].

يتضح من خلال العرض السابق عدد من النقاط التحليليَّة يمكن الإشارة إليها فيما يلي:

- مفهوم التربية في السُّنَّة النّبويَّة محوريّ، تدور حوله عدد هائل من المفاهيم الفرعيَّة التي تعمل بكفاءة عالية على تحقيق مشروع تكامليّ: (بَنَّاءُ الإنسانِ الخَيِّر)، الذي يُمَثِّل ترجمةً عمليَّةً تطبيقيَّةً على مواصفات (العمل الصَّالح)، يعمل من خلال علاقات تجمعُ بين إنسان التربية الحضاريَّة من ناحيَة وبين الرؤيَّة القرآنيَّة الكونيَّة من ناحية أخرى لإقامة حياة طيبة عمرانيَّة رشيدة وجوديَّة مُسْتَخْلَفَة حقيقيَّةً.
- اشتملت السُّنة النبويَّة على عددٍ من المفاهيم التَّربويَّة وثيقة الصلة على معنى التربية كـ: مفهوم التَّدريس والتَّنشئة والتَّهذيب والولاية والإيواء والتزكيَة والسِّياسة، وما انبثق عنها منْ مفاهيم فرعيَّة أخرى، مثل: الرّعاية، والكفالة، والإصلاح، والنَّصيحة، والإحسان؛ فمن يُعَمِّق النّظر في سيرته غ يجده أعظم نموذج أخلاقيّ يُحْتَذَى به، ومثالًا واقعيًّا يدركه الناس قبل البعثة وبعدها؛ إذ هو الصَّادق الأمين والمُعلم والمُربّي والمُؤدب والمُصلح والمُحسن والنَّاصح والمُهذَّب والمُزكِّي الذي ساس الخَلْقَ بالولاية والرعاية والكفالة والإيواء.. فكان خير نموذج للمَثَل الأعلى.
- مفهوم التّعليم هو أحد المفاهيم الفرعيَّة الذي يرقى إلى المفاهيم المحوريَّة؛ لِمَا يندرج تحته منْ مفاهيم فرعيَّة متنوعة، مثل: القراءة، والتّلاوة، والكتابة، والسَّماع، والانصات، والتَّحدث، والالقاء، والإملاء، والفهم/ الفقه، والنَّظر، والتَّذكر، والحفظ، والاعادة، والسؤال والجواب...إلخ، وتحت هذه المفاهيم مفاهيم أخرى متولدة عنها. بما يمكن القول: مفهوم التّعليم في السُّنة مُساويًا لمفهوم التربية؛ لشهرته الواسعة وتفرعاته المتعددة لفظًا أو معنًى.

---

(١) البخاري: **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب العلم (٣)، باب٨ مَن قعد حيث ينتهي به المجلس ومن رأى فُرجة... فجلس فيها، حديث رقم (٦٦)، ج١، ص٢٢٩

(٢) العسقلاني: **فتح الباري**، مرجع سابق، كتاب العلم (٣)، باب٨ مَن قعد حيث ينتهي به المجلس...، حديث رقم (٦٦)، ج١، ص٢٣٠

- لم يختلف مفهوم التربية في السُّنة عن مفهوم التربية في اللغة والقرآن، بل جاءتْ السُّنة النبويَّة ترجمةً عمليّةً واقعيّةً تُعَضِّدُ ما اشتمل عليه القرآن وتؤكده، بل وحَوَتْ على عددٍ من المفاهيمِ لم ترد في القرآن الكريم كـ: مفهوم التّهذيب، والأدب والتّأدب، والسياسة – والأخيرة من المفاهيم الرحَّالة التي تُستخدم للإنسان ولغيره.

٤. التربية في التراث التربويّ الإسلاميّ:

يقتضي تأصيل مفهوم التربية النظر في التراث الإسلاميّ؛ للتَّعَرُّف كيف تناول علماء المسلمين هذا المفهوم، وكيف فهموه من المصادر الشرعيَّة المعروفة، وكيف عالجوا هذا المفهوم بالنَّظرِ لهذه المصادر، وإلى واقعهم الذي عاشوه، حتى يمكن الاستفادة من هذا الفهم – والذي يتضمن اتساقًا مع ما جاءتْ به المصادر الإسلاميَّة ومع واقعهم المعاش؛ فالتُّراث الإسلاميّ هو كل ما أنتجته قرائح العلماء المسلمين في شتى أنواع المعارف والعلوم (الشرعيَّة والكونيَّة)، كما يُطلق على كل ما كُتِبَ مِنْ مؤلفاتٍ في التَّربية والتَّعليم أو كانت التربية والتعليم جُزءًا مِنْ تلك المؤلفات، ومضى عليه حقبة من الزمن ما بين ٧٠–١٠٠ عام، وعلى الرغم مِنْ أنَّ العلماءَ الذين كتبوا التراث ينتسبون إلى أقوام وأعراق ولغات متعددة، جمعتهم أُمَّة الإسلام، فإنَّ معظم ما كُتب كان بالعربيَّة (لغة العِلم في المجتمع الإسلاميّ)؛ لكن ما كتبتْ مادته بلغات أخرى لم يكن قليلًا كذلك. فـ "القيمة الحقيقيَّة لمثل هذا الماضي تكون بقدر ما يسهم في حاضر جيد ومستقبل أفضل، بقدر ما يُسهم بمزيد من التَّحديث والتقدُّم، يشترط مزيدًا من التفعيل لمفهوم المنهج العلميّ[١]، وفي ذلك يؤكد (سعيد إسماعيل): "أنَّ موروث كل أُمَّةٍ ليس أمرًا شغل فترة من حياتها مضت ولم يعد لها وجود، بل هو داخل في عناصر تكوين ذاتها الحضاريّ، ويصبح من الضروري التبصُّر بكيفيَّة التَّعامل مع هذا الموروث باعتباره مصدرًا مِنْ مصادر تربيتها، بحيث يخضع لعمليَّات فحص وتقويم ونقد وانتقاء، فلا يتحول إلى قوة جذب تشد إلى الوراء، وإنما يصبح معينًا على تفسير الحاضر، ومساهمًا قويًا في الدَّفعِ إلى المستقبل"[٢]. وحتى يمكن التعرُّف على مفهوم التربية، سوف يتناول البحث المفهوم عند: القابسيّ في (الرسالة المُفَصَّلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين)، وابن الجوزي في (صيد الخاطر).

(١) يُمنَى طريف الخولي: **مفهوم المنهج العلمي** (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي للنشر، ط٢، ٢٠٢٠م) ص١٢٧

(٢) سعيد إسماعيل علي: **أصول التربية الإسلامية**، مرجع سابق، ص٢٤٥

(١) التربية عند القابسيّ:

مِنْ أشهر رسائل التُّراث المختصّصة في التَّربية والتَّعليم؛ لاحتوائها على عددٍ وافرٍ مِن المفاهيم التربويَّة، وتقع الرسالة في ثلاثة أجزاء؛ الأول: سؤال سائل عن تفسير الإيمان والإسلام والإحسان، وعن الاستقامة ما هي؟ وكيف صفة الصَّلاح؟ والثاني: جُمْلَتها أسئلة متفرقة ذَكَرَ ما يأخذه المعلِّمون على المتعلمين وسنة ذلك، وما يصلح للصبيان مع القرآن؟ وما على المُعَلِّم أنْ يعلمهم إيَّاه من سائر مصالحهم، وما لا ينبغي له أنْ يأخذ منهم عليه أجرًا. وهل يُعَلِّم المسلم النصرانيّ، أو يترك النصارى يُعلِّمون المسلمين؟ وهل يشترط المُعَلِّم للحِذْقة أجلًا معلومًا؟. والثالث: تناول مجموعة مِن المسائل التهذيبيَّة والقضايا التأديبيَّة المتنوعة، وبذلك تعتبر الرسالة عُمدةً في بابِ التربية كما يأتي:

- **بمعنى التَّعليم:**

مفهوم التَّعليم مِنْ أكثر المفاهيم استعمالًا وشيوعًا عند القابسيّ، مثلًا؛ قوله: "فيكفيك مِنْ فضلِ القرآنِ، معرفتك أنَّ القرآن كلام الله، وكلام الله غير مخلوق، ثم ثناء الله على هذا القرآن في غير موضعٍ مِنْهُ... وأما ما لِمَنْ تَعَلَّمَهُ وعَلَّمَهُ مِن الفضلِ، ففيه حديث مشهور ومنشور: "خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القرآنَ وَعَلَّمَهُ"[١]. وقد اقترن التَّعليم عنده بعددٍ مِن المفاهيم التربويَّة المحوريَّة؛ كاقتران التَّعليم بالعناية، والتعليم بالتأديب، والتعليم بالتَّعَهُّد، والتعليم بالتربية نفسها[٢]. وفي مواضع أخرى؛ اقترن التعليم بالتأديب والتدريب معًا، والتعليم والإصلاح[٣]. فكان التَّعليمَ المقصود: هو طلب الاشتغال بما هو أعلى؛ كتعلُّم القرآن وتعليمه، والتحذير مِنْ خطورة حفظه ثم نسيانه، والعدول عما هو أدنى مِن العلوم.

- **بمعنى: الاستقامة:**

الاستقامة هي أحد معاني التربية، بل قوامها ولُبُّها، إذ لا تربية دون استقامةٍ في العِلم والقول والعمل، وهي تحمل هنا عدة مضامين دلاليَّة، منها؛ (حُسن القيام بأمر الله مع الدَّوام)، يقول: "الاستقامة هي القيام بما أمر الله...، والاستقامة في الدّين هي مداومة المقام فيه، على استوائه واعتداله، لا ينكِّب عنه يمينًا ولا شمالًا، ولا يلتزم منه ما لا يطيقه: (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ولا تطغوا... الآية) [هود:١١٢]. ومنها: (المتابعة واقتفاء أثر المهتدين): يقول:

---

(١) أبو الحسن القابسي: **مرجع سابق**، ص٢٨١-٢٨٤ وما بعدها تكرار للفظ التعليم.
(٢) **المرجع السابق:** ص٢٩٣، ٢٨٩، ٣٢١، ٣٢٤، ٣٢٧-٣٢٨، ٣٢٨، ٢٨٦، ٣٠٥، ٢٨٨
(٣) **المرجع السابق:** ص ٢٩١، ٢٩٥

"قال أبو حُذيفة: "يا معشر القرى إنْ تستقيموا، فقد سبقتم سبقًا بعيدًا..."، يريد بقوله؛ هذا مَنْ لم يُدرك النَّبي غ يأمرهم أنْ يستقيموا في مُتابعة أصحاب النَّبيغ؛ لأنَّ أصحابه هو المتبعون على السبيل الذي دعا إليها الرسول غ (يوسف:١٠٨) ..." [١]، ومنها: (التوازن والاعتدال سمة حياة الصالحين) يقول: "... مَنْ وَفَّى بجميعه وفاءً حسنًا، فقد استكمل صفة الصالحين ومَنْ عجز عن شيء منه فيه، فبمقدار ذلك الذي عجر عنه يكون نزوله عن وصف مَنْ استكمل ذلك كله، قال تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [النحل:٩٧]، فما سَلِمَ العبد مِنْ الخطايا فهو مِن الصَّالحين..."[٢].

- **بمعنى: الرِّعاية، والمُداومة، والمُلازمة، والتأديب، والنَّماء، والتَّبصرة:**

يقول: "ولما ترك أئمة المسلمين النظر في هذا الأمر...، واتخذوا لأولادهم مُعَلِّمًا يختص بهم، ويُداومهم، ويرعاهم، حسب ما يرعى المعلم صبيانه...، صَلُحَ للمسلمين أنْ يستأجروا مَنْ يكفيهم تعليم أولادهم، ويُلازمهم لهم... ويكون هذا المعلم قد حمل عن آباء الصبيان مؤونة تأديبهم، ويبصِّرهم استقامة أحوالهم، وما ينمِّي لهم مِنْ الخير أفهامهم، ويبعد الشر مآلهم"[٣]. وجاء لفظ التَّأديب مُرادفًا لمفهوم التربية في معرض سؤال السَّائل عن تأديب الرجل امرأته وابنه الصَّغير، وهو في هذا يُلخِّصُ التربية في عنصريْن مهميْن: الأول: (التخلية): حيث اعتبر الرجل في بيته مُعَلِّمًا، ومُرْشِدًا، ومُرَبيًا، ومُؤَدبًا، ومُوَجّهًا، ونَاظِرًا، وَقَيِّمًا، على رعيته (أهله) مِنْ باب: "... وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ... الحديث"[٤]، وقوله: (إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ) [هود:٨٨]، وذلك بإبعاد كل ما مِن شأنه يشين خلق المسلم مِن سلوك سيِيء رديئ، أو عادات اجتماعيَّة ضارة سواء مِن الشارع أو صُحبة السُّوء أو الخَدم في البيوت أو أثرة في النُّفوس أو شُحٍ مُطاع أو هوى مُتَّبع أو استهانة في فرض أو تفريط في واجب أو ضياع حق أو إهدار وقت... في نفس المُتَرَبّي، سواء زوجة أو ولد. والثاني: (التحلية): مِنْ باب الرعاية والمسئوليات المكلف بها؛ بغرس المُثل العُليا في نَفْسِ أفراد الأسرة، وتعهدهم بالرعايَّةِ والتَّربية، وحُسن التوجيه، وإحياء الضَّمير على مراقبة الله، والتَّحلي بمكارمِ الأخلاق، والتَّمسك بالفضائل

---

(١) **المرجع السابق:** ص ٢٧٦-٢٧٧

(٢) **المرجع السابق:** ص٢٧٩-٢٨١

(٣) أبو الحسن القابسي: **مرجع سابق**، ص٢٦٩

(٤) البخاري: **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتَّفليس (٤٣)، باب ٢٠، حديث رقم (٢٤٠٩)، ج٥، ص٩٩

والقِيَم، يهديه هدي رشيد عن الرسول غ؛ ليجعل مِنْ بيته المأوى الدافئ، والجو المُشبع بكل معاني المودة والرحمة والعطف والمحبة والألفة والتآلف والإيثار.

يتضح مما سبق: أنَّ مفهوم التربية عند القابسيّ، يتفق مع مفهوم التربية الوارد في اللغة القرآن والسُّنة، ما يعني أنّ مفهوم التربية مفهوم كليّ شامل؛ عندما يُطلق تنبعثُ منه وتُستدعى حوله كل تلك الدّلالات والاشتقاقات على معنى التربية. ومِن الملاحظ أنَّ التركيز على مفهوم التَّعليم جاء في المقام الأول، بدلالته الواسعة، وبذلك يكون مفهوم التعليم – عنده– مُسَاوِيًا لمفهوم التربية جنبًا إلى جنب. وكذلك يقترب مِنْ مفهوم التعليم، مفهوم التأديب بمشتقاته في المرتبة الثانية وكلاهما اقترن ببعض في العديد من المواقع، ثم تواردتْ مفاهيم تربويَّة أخرى على معنى التربية؛ كالاستقامة والالتزام والإصلاح والتَّعهد والرّعاية والتّهذيب والتَّغذية والاعتدال والنَّماء والمشورة والسّياسة، مُتناولًا تلك الألفاظ ببناء الإنسان على معنى التربية، وهي ليست بنفس الزَّخم الواسع كما هو حال مفهوم التَّعليم والتَّأديب معًا.

(٢) التربية عند ابن الجوزي:

يعدُّ كتاب صيد الخاطر مِنْ أقيم كتب التراث الإسلاميّ بصفة عامة؛ بسبب الربط بين (العقيدة والشريعة والأخلاق) و(العقل) الذي لا بد مِنْ مُجاراةِ أحكامه السليمة – رُكنًا مِنْ أركان الإنتاج الفكريّ في هذا العصر، كما يعدُّ ثروة معرفيَّة تربويَّة حقيقيَّة في تهذيب النفس، وتبصير العقل، وتجلية الفهم، وتنمية الذَّات، وذخيرة حضاريَّة عمرانيَّة في النَّظر إلى المَآلات، والتَّبَصُّر في أمور المَعاش والمَعاد، بصفة خاصة في التُّراث التربويّ الإسلاميّ. بقدر ما يتصف هذا الكتاب بالتَّنوع والتعدُّد في مادته؛ كانت الحاجة مُلِحَّة لمثل هذا التنوُّع – كقيمة معرفيَّة مضافة مِنْ حيثُ خصوصيَّات الفكر واللغة والمنهج – وهو موضع عناية مِن البحث الحالي في تأصيل المفهوم. يقع الكتاب في ثلاثٍ وسبعين وثلاثمائة فصلٍ (٣٧٣) مِن القطعِ المتوسط، وبنظرةٍ أوليَّةٍ على فهرست الكتاب، وجد الباحث العناوين ذاخرة بالدَّلالات والاشتقاقات على معنى التربية، ما يُفيد احتواء الكتاب على كم هائلٍ مِن المفاهيم التربويَّة الأصيلة التي أَثْرَتْ مجموعه، فما كان إلا اعتماد جميع فصوله بشكلٍ يَفِي بغرض تأصيل مفهوم التربية على النحو التَّالي:

- **مفهوم التربية:**

وردتْ بلفظها منسوبة إلى الرَّب سبحانه، ومرة تُنْسَبُ للإنسان، وللأرض، وللرّياسة والسُّلطان والجاه، وللعِلم والإنسان طرف فيه[1] – مثلًا– يقول: "... فهو مُحتاج – أي النبات–

(١) ابن الجوزي: **صيد الخاطر** (القاهرة: دار الفجر للتراث، ٢٠٠٣م) ص٢٩٦، وحول أكمل التربيات، انظر: **المرجع السابق**: ص٢٢٤، ٢٧٩.

إلى ما أنا مُحتاج إليه مِنْ حرارةِ الشمسِ، وبرودة الماء، ولطف النَّسيم، وتربية الأرض، فسبحان مَنْ أراني – فيما يربيني به– كيف تربيتي في الأصل"[١]. تربية الأرض أي ما تُنبته تُربتها مِنْ أقواتٍ وحبوبٍ، وثمارٍ، وفواكه ومطعوماتٍ لحاجة الإنسان والكائنات، وقوله: "يربيني به": يتعهده بالتَّغذية والرعاية والنُّمو منذ كان طفلًا صغيرًا، حتى صار شابًّا ثم رجلًا ثم كهلًا ثم شيخًا كبيرًا، وهذه التربية ملازمة للإنسان مدى حياته وفي كل شبكة علاقاته، فهي بمثابة الملح للطعام. وقوله: "كيف تربيتي في الأصل"، يشير للآية: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ...) [المؤمنون:١٢-١٤]؛ فالتربية هنا على معنى التنشئة أي: النشأة الأولى.

- **مفهوم التنشئة والتغذية:**

وهي مِن المفاهيم التربويَّة التي تكررتْ في فقراتٍ عديدة، منها: "فغاية الأمر أنني أشرع في التقلُّل مِن الدنيا، وقد ربيتُ في نعيمها، وغُذيتُ بلبانها..." [٢] أي: نشأتُ وكبرتُ. و(غـذيتُ): مِن التربية الغذائيَّة؛ فمكونات الغذاء تدخل في تركيب جميع خلايا الجسم وعمليات نشاطها. وفي حديثه عن العُزلة التي يُزينها الشيطان في النفس، قوله: "ولقد تاب عندي في بعض الأيام أكثر من مائة...، قد نُشِّئُوا على اللعب والإنهماك في المعاصي"[٣] أي تَرَبُّوا، وفي قوله: "ولـم يـزل الله يُنشئ في هذا الدين من الفقهاء مَنْ يُظْهِر ما أخفاه القاصرون، كما يُنشئ من علماء الحديث مَـنْ يهتك ما أشاعه الوضَّاعون..."[٤]. يُنشِئُ مِن النشأة: أي الخَلْق والإيجاد والحدوث. وقوله: "وقـد كان السلف إذا نشأ لأحدهم ولد، شغلوه بحفظ القرآن وسماع الحديث، فيثبت الإيمان في قلبـه"[٥]. النشأ: مصدر نشأ، ونشأ الغلام إذا كَبُر وشبَّ ونمَا وربَا وأيفع فهو ناشئ، وحقيقته: الذي ارتفـع عن حد الصبا وقرب من الإدراك، ولم يتكامل...[٦].

ومِنْ معاني التَّغذية؛ الاهتمام ومنه (الاعتناء والرعاية والتعهُّد المقترن بالإحسان)، منها الاهتمام بالولد: "ثم جاء الولد فاهتم به وله..."، وبالبدن: "واعلم أنَّ البدن كالمطيَّة، ولا بـد مـن علف المطية، والاهتمام به..."، وفي موضع الذَّم: "واعلم أنَّ الاهتمام بالكَسْبِ يجمع الهمَّ، ويفرغ القلب، ويقطع الطَّمَع في الخَلْق..."[٧]. وقوله: "كل مَنْ يُراعِي جانب الحق والـصَّواب، يرضـى

(١) **المرجع السابق**: ص٩٨
(٢) **المرجع السابق**: ص٤٧، ٢٢٠، ٢٣٢.
(٣) **المرجع السابق**: ص٥٠
(٤) **المرجع السابق**: ص١٢٢، ٤٣٤،٤٧٩.
(٥) **المرجع السابق**: ص٥٤٤
(٦) ابن منظور: **مرجع سابق**، ج١، ص١٧٠-١٧١ (مادة: نشأ).
(٧) ابن الجوزي: **صيد الخاطر**، مرجع سابق، ص٧٤، ٧٦، ٧٨.

عنه مَنْ سَخِط عليه"[١]، وقوله: "إذا اصطفيت صديقًا وخبرته، فلا تخبره بكل ما عندك، بل تعاهده بالإحسان، كما تتعاهد الشجرة، فإنها إنْ كانت جيدة الأصل حسنت ثمرتها بالتَّعاهُد..." [٢].

- **مفهوم التهذيب:**

تعدَّدَ مفهوم التهذيب في مواضع متفرقة من الكتاب، منها ما ورد في فصل "تفاوت الهمم" حيث يقول: "... ولعل تهذيبي في تعذيبي؛ لأنَّ علو الهِمَّة تطلب المعالي المُقربِّة إلى الحق تعالى، وربما كان الخيرة في الطلب دليلًا إلى المقصود..." [٣]. فالتَّهذيب هنا: أي الصَّلاح والنَّقاء والخلوص الذي لا يكون إلا بعلو الهِمَّة والجِد، ومنه: هُذِّبَ الذهبُ: أي خُلِّصَ من الشوائب بامتحانه، وفي هذا المعنى: "ومَنْ صَفَا نَظَرَهُ، وتهذَّب لفظه، ونفع وعظه...، والحالة العالية في هذا إقبال القلب على الله تعالى، والتوكُّل عليه، والنَّظر إليه..." [٤]. ومِنْ معاني التَّهذيب (الإصلاح)، وهو أحد المفاهيم التربويَّة المهمة التي لا تخلو منه كتب التراث التربويّ، منها قوله في أهل مجلسه: "فكان حنيني إلى ما ضاع منّي يوجب انزعاج أهل المجلس، فيتوبون ويُصلحون..."، وقوله في نفسه: "وتوسلتُ لصلاحي، فاجتذبني لطف مولاي بي إلى الخلوة على كراهة منِّي..."، وقوله: "وأصلحتُ حالي على كُرهٍ مِنْ طبعي..."[٥]؛ فالإصلاح أو الصَّلاح هو لون من الاستقامة بإزالة الفساد عن النفس والغير، وعدمه استشراء ضده إلى قسوة القلب، وضياع القِيَم الإنسانيَّة. فالإصلاح هو العهد الذي أُخِذَ على المسلمين. ومن معاني التهذيب (الرياضة): أي التَّدريب وكثرة المِرَان، يقول: "فأما أنْ يكون العالِم جامعًا للمال مِنْ وجوهٍ قبيحةٍ ومِنْ شُبهاتٍ قويَّةٍ...، ثم يأخذ من الزَّكوات ولا تحل له مع الغِنى، ثم يَدَّخِره ولا ينفع به، فهذه بهيمة تخرج مِنْ صفاتِ الآدميَّة، بل البهيمة أعذر؛ لأنها بالرياضة تتغير طباعها، وهؤلاء ما غيَّرتهم رياضة، ولا أفادهم العِلم"، وقوله: "ينبغي لطالب العلم أنْ يُصَحِّحَ قصده...، ولينظر في منهاج الرسول غ والصحابة والتابعينش، وليجتهد في رياضة نفسه والعمل بعلمه، ومَنْ طلب الحقَّ وَفَّقَهُ"[٦]. ومن المفاهيم الفرعيَّة التي تندرج تحت مفهوم التهذيب، عدد كبير من المفاهيم التربويَّة، منها: التَّعبد، والتَّعفُّف، والتَّقرب، والتَّصدق، والتَّرفق، والتَّورع، والتَّدين، والاعتبار، والتَّيَقُّظ إلخ منظومة المفاهيم التربويَّة، وكلها اشتقاقات نبتت في حقل التربية.

---

(١) **المرجع السابق**: ص٣١٨
(٢) **المرجع السابق**: ص٤١٤
(٣) **المرجع السابق**: ص٣٠١
(٤) ابن الجوزي: **صيد الخاطر**، مرجع سابق، ص٥٠٤
(٥) **المرجع السابق**: ص ٩٩-١٠٠
(٦) **المرجع السابق**: ص٣٨١، ٥٠٧

- **مفهوم السياسة:**

استُعمِلَتْ لفظة (سياسة) كثيرًا على معنييْن: الأولى: مجاهدة النفس، في قوله: "أعجب الأشياء مجاهدة النفس؛ لأنها تحتاج إلى صناعة عجيبة، فإنَّ أقوامًا أطلقوها فيما تحب، فأوقعتهم فيما كرهوا" [1] أي سياستها بِكَفِّها عن إرادتها واستعمالها فيما ينفعها. والثانية: بمعنى طلب الرياسة، في قوله: "... متى كان العالِم مُقبلًا على الله مشغولًا بطاعته، كان أصعب الأشياء عنده لقاء الخَلْقِ ومحادثتهم، وأحب الأشياء الخلوة، وكان عنده شغل من القدح في النظراء، أو عن طلب الرياسة...، والنفس لا بَّد لها ممَّا تشاغل به، فَمَن اشتغل لخدمة الخَلْقِ أعرض عن الحقِّ، فإنما يُربي رياسته"[2]؛ فطلب الرياسة، ويربي رياسته: أي التَّشاغُل بطلب الدنيا، والحرص على تنمية هذا الطلب؛ فالرياسة مِن السياسة وهي مِنْ ساس الناس، أي: تولى رياستهم وقيادتهم، فالتشاغل بالخَلْق عن الخَالق، يقطع السير إلى الله.

- **مفهوم التنمية والزيادة:**

جاء لفظ التنمية مقرونة بالزيادة والحفظ، في قوله: "اجتهاد الإنسان فيما يُصلحه لازم له... فَمِنْ ذلك حِفظ ماله، وطلب تنميته، والرغبة في زيادته؛ لأنَّ سبب بقاء الإنسان ماله، فقد نُهِيَ عن التبذير فيه..."، وقوله: "ثم يَدَّعي هؤلاء المتصوفة بُغض الدنيا...، ويرون زيادة الطلب للمال حرصًا وشرهًا..."[3]، وقوله: "كلما زِدْتَّ [علمًا]، زادتْ معرفتك بمحبوبك، وفهمت كيف القُرب منه، ودليل هذا، أنك تعلم غدًا، أنك اليوم في نقصان"[4]. ومن معاني التنمية والزيادة (الجمع والضَّم) وهما هنا في حيز العِلم لبلوغ درجة الكمال، جاء في فصل "الفقر منقصة للعالِم": "ليس في الدنيا أنفع للعلماء مِنْ جمع المال؛ للاستغناء عن النَّاس، فإنه إذا ضُمَّ إلى العِلم حِيزَ الكمال"[5].

- **مفهوم التدريس:**

نال قِسطًا مِن الحضور في عدد مِن الفصول متعدد الصِّيغ والدَّلالات، منها: ما جاء بصيغة (يدرسون) مِن "دَرَسْتُ أي: تعلمتُ وذاكرتُ وذللتُ العلم بكثرة قراءته وتكراره حتى خف حفظه، ومنه درست السورة: حفظتها"[6]، في قوله: "كان هِمَمُ القدماء مِن العلماء عالية، تدل عليها

---

(١) **المرجع السابق**: ص١٩٠
(٢) **المرجع السابق**: ص٤٨٥
(٣) **المرجع السابق**: ص٢٠٠-٢٠٢
(٤) ابن الجوزي: **صيد الخاطر**، مرجع سابق، ص٤٧
(٥) **المرجع السابق**: ص٢١١
(٦) ابن منظور: **مرجع سابق**، ج٦، ص٧٩

تصانيفهم التي هي زُبدة أعمارهم، إلا أنَّ أكثر تصانيفهم دُثِرَتْ؛ لأنَّ هِمَمَ الطلاب ضَعُفَتْ، فصاروا يطلبون المختصرات...، ثم اقتصروا على ما يدرسون به مِنْ بعضها"(١). ومنها بصيغة (التَّدريس) الذي يُحْمَل على القراءة وتكرارها عن طريق المشافهة (المشاهدة والسَّماع) بحضور العالِم أو الفقيه بالمتلقين أو المتعلمين، يقول: "رأيت أكثر العلماء يتشاغلون بصورة العلم، فَهَمُّ الفقيه التَّدريس، وَهَمُّ الواعظ الوعظ. فهذا يرعى درسه فيفرح بكثرة مَنْ يَسْمَعَهُ"(٢)، وجاء بصيغة (درستْ) والدِّرسُ: أي "أثر الدَّراس، ومنه درس الأثر، ودرسته الريح أي: محته وعفت أثره"(٣)، يقول: "ثم ينسى الذَّاكر والمذكور إذا درستْ القلوب"(٤). كذلك ورد لفظ المدرسة: المكان الذي يتم فيه التَّدريس أو التَّعليم: "ولقد نظرتُ في ثَبْتِ الكُتب الموقوفة في المدرسة النظاميَّة"(٥).

- **مفهوم التزكية:**

مِنْ معاني التزكية (التَّنقية والتَّصفية) وكلاهما وردا في معرض الحديث عن حياة الأتقياء وأحوالهم، كما اقترنتا بـ (الاستقامة) التي مِنْ معانيها (الجادَّة)، يقول: "مَنْ أحبَّ تصفية الأحوال، فليجتهد في تصفية الأعمال، قال تعالى: (وأَنْ لَوْ اسْتَقَامُواْ عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا) [الجن:١٦] أي: التزموا جادة الصراط المستقيم وهو طريق الإسلام، ويقول أيضًا: "قال أبو سليمان الدَّاراني: "مَن صَفَّى صُفِّي له، ... ومَنْ أحسن في ليلة كوفئ في نهاره..."، واعلم... إنما يعرف الزيادة من النقصان المُحاسب لنفسه..."(٦).

- **مفهوم الكفالة:**

جاء لفظ الكفالة في موضع واحد، مختصًّا بها الواحد سبحانه، تحمل امتنانًا وحبًا كبيريْن في مناجاته لله جل جلاله، يقول ابن الجوزي: "يا منتهى الآمال أنت .. كفلتني وحفظتني"(٧).

- **مفهوم التَّعليم:**

مِنْ أشمل المفاهيم التربويَّة التي لا تكاد تخلو منها كتب التراث التربويّ الإسلاميّ، ومنها هذا الكتاب – مثلًا– وَرَدَ في فصل "السبب والمسبب"، الحديث عن التَّداوي، وهو مِنْ الأمور الطبيَّة التي تُكتسب عن طريق التَّعليم والتَّدريب والممارسة والملاحظة، يقول: "وكانت

(١) ابن الجوزي: **صيد الخاطر**، مرجع سابق، ص٥٠٨، ٤٨٣
(٢) **المرجع السابق**: ص٤٨٤
(٣) ابن منظور: **مرجع سابق**، ج٦، ص٧٩
(٤) ابن الجوزي: **صيد الخاطر**، مرجع سابق، ص٥٠٨، ٥٢٩.
(٥) **المرجع السابق**: ص٥٠٩
(٦) **المرجع السابق**: ص ٢١-٢٢
(٧) **المرجع السابق**: ص٤٨٤

عائشة ك تقول: "تعلَّمْتُ الطِّب مِنْ كثرة أمراض رسول الله غ وما يُنْعَتُ له"[١]. كما يتضح مِنْ مفهوم التَّعلِيم عند ابن الجوزي أنه اشتمل على العلم والعمل معًا، ودار عليهما حديث الكتاب في العديد مِن الفصول، منها قوله: "وليس العلم بمجرد صورته هو النَّافع، بل معناه، وإنما يُنَال معناه مَنْ تعلَّمه للعمل به، فكلما دلَّه على فضلٍ اجتهدَ في نَيْلِه...، والذي لا يعمل بالعلم لا يُطْلِعُهُ العلم على غروره..."[٢]. كما تعدَّد اقترن العلم بعددٍ مِن المفاهيم تعبيرًا عن التربية بصورةٍ أوسعٍ؛ كاقتران العلم بالهداية: "... فهو الذي علَّمني وخلق لي إدراكًا، وهداني إلى ما أدركته"[٣]. واقترن العلم بالفَهم: "أنَّ الدنيا إنما تُراد لتعبرَ لا لتعمر، وهذا هو الذي يَدُلُّكَ عليه علمك ويبلغه فهمك..." [٤]. واقتران العلم بالمراقبة: "والعلم والمراقبة يعرفانك ما أخللت بِذِكْرِه، ويعُلِّمانك إنْ تلمَّحت بعين البصيرة أثر شؤم فعله"[٥]، واقتران العلم بالصَّلاح، وبالمعرفة، وبالأدب، وبالعقل، وبالحكمة، وبالكمال في مواضع شتى متفرقة[٦]، وكلها مقامات رفيعة تأتي ضمن مفهوم الشَّامل للتربية.

كما عَقَدَ فصلًا أسماه: "الرضا عن الله"، وجعله باب المعرفة، وتعدد تكرارها مجاراة لمفهوم العِلم، كما اقتُرِنَتْ بعددٍ مِن المفاهيم التربويَّة، مثل: الجد والاجتهاد: قوله: "إنَّ الراضي لا يتخيَّر ومَنْ ذاقَ طعم المعرفة، وجد فيه طعم المحبة، فوقع الرضا عنده ضرورة... فينبغي الاجتهاد في طلب المعرفة بالأدلة، ثم العمل بمقتضى المعرفة بالجدِّ في الخدمة..." [٧]. كما أنَّ هناك مفاهيم تربويَّة فرعيَّة مُنضوية تحت مفهوم التَّعليم، وهي كثيرة جدًا، مما يدل وبشكل ملحوظ أنَّ التعليم والتربية كفرسَيّ رِهَان مُتكافآن، ورَبْطُ التَّعليم بالعمل؛ هو تعبير صريح عن تهذيب الإنسان بتعليمه وإصلاح شئونه وتدبير أموره، فمنْ أمثلتها: التفكُّر ومنه التصوُّر، والتَّدبر، والحفظ، والتَّيقن، والفَهْم ومنه الفقه، والضَّبط، والتَّخطيط، والتبصُّر، والاستدلال، والتَّذكر ومنه التذكير، والاستذكار، والاستقصاء ومنه التَّحرّي، والتَّحقُّق، والتَّثبُّت، والحضور، والاختبار، والتَّلاوة، والقراءة، والجودة ومنها الاتقان... إلخ تلك المفاهيم التربويَّة.

---

(١) **المرجع سابق**: ص ١١٥-١١٨
(٢) **المرجع السابق**: ص ٥٢-٥٣، ٦٩-٧٠، ١٤٣.
(٣) **المرجع السابق**: ص٥٤-٥٥.
(٤) **المرجع السابق**: ص٢٨، ١٦٣، ١٧٦
(٥) ابن الجوزي: **صيد الخاطر**، مرجع سابق، ص١٨٢
(٦) **المرجع السابق**: ص٥٠٨،٥٠١،٥٠٠،١٤١،٤٦،٤٢.
(٧) **المرجع السابق**: ص١٢٢-١٢٤.

- **مفهوم الأدب والتأديب:**

هناك علاقة وثيقة في التَّراث التَّربويّ الإسلاميّ بين الأدب والتربية – وتكـراره هنـا باشتقاقاته سِمَةٌ يتفرَّدُ بها هذا الكتاب بشكل ملحوظ، مثلًا: ما جاء في حظر العِلم مع قلة العمـل: "كان أبو مسلم الخُولاني يُعَلِّق سوطًا في المسجد يُؤدب به نفسه إذا فَتَرَ..."، وفي الرد على بعض المتزهِّدين: "... وهذا لو صح إنْ جاز أنْ يكون تأديبًا له، لئلا يقف مع الأسباب ناسيًا للمسبب"(١)، وفي استعاضه عن التَّعليم بالتَّأديب: "... كفى بالذِّهن النَّاظر إلى العواقب، والتَّأمل لكـل ممكـن مؤدبًا"(٢)؛ لأنه في مقام احتراز عن الوقوع في شِراك الحِيَلِ والمكائد، فكان السّياق مقـام تأديـب أقرب منه تعليم، ومِن التأديب: "أنَّ عمرس أراد تأديب أبي عبيدة بحفظ الأصـل، فقـال: "إنَّ الله أعزكم بالإسلام، فمهما طلبتم العِزَّ في غيره أَذَلَّكُم"(٣). وهناك ألفاظ تُحْمَل على معنى التأديب كـ (القهر): وهو التَّصَدِّي لِهَوى النفس: "وفي قوةَ قهرِ الهوى لذةٌ...، ألا ترى إلـى كـل مغلـوب بالهوى كيف يكون ذليلًا؟... وليتذكَّر الإنسان لذة قهر الهوى، مع تأمل فوائد الصَّبر عنـه..."(٤). كما تتعدد المفاهيم التربويَّة على محل التأديب المستخدم في حفظ وتأديب النفس: كـ (الإعطـاء والتَّلطّف والمُداراة ومنها التَّصَنُّع والتَّزين والتَّجمل والفطنة ومنها الكيَاسة، والتَّعنيـف والـوعظ والهجر والضَّرب)(٥)؛ حيث النَّفس أشبه بالطفل المُفْتَقِر لأسباب الإعاشة، فيُتَدَرَّجُ معه في تقـويم اعوجاجه بردّه باللطف ومرة بالعنف ومرة بالوعظ ومرة بالهجر وأخرى بالضَّرب، وكلها مفاهيم تربويَّة مِنْ صميم المنهج التربويّ الإسلاميّ.

- **مفهوم الحكمة:**

هذا المفهوم تحديدًا على قدرٍ كبيرٍ مِن الخصوصيَّة، ورد كثيرًا وكأنه يُريـد أنْ يعكـس طبيعة العلاقة بين الحِكمة والتَّربية؛ لأنَّ الأخيرة تسعى للوصول إلى الحكمـة بجوانبهـا النيّـرة والبصيرة، والحِكمة تسعى إلى تحقيق ما تُنشده التربية في المجتمع الإنسانيّ على كافة المستويات – مثلًا– تكرَّرتْ في موضع واحد ثلاث مرات، الأول: "تأملتُ مبالغة أرباب الدنيا في اتقاء الحر والبرد، فرأيتها تعكس المقصود في باب الحِكمة..."، والثاني والثالث: "... وهذا مِنْ حيث الحِكمة يُضاد ما وضعه الله، فإنه جعل الحر لتحلل الأخلاط، والبرد لجمودها، فيجعلون هُمْ جميع الـسَّنَةِ

(١) **المرجع السابق**: ص٩٠-٩١
(٢) **المرجع السابق**: ص ٣٢٢،٩٧،١٤٦،١٦٠،٤٨٩،٥٣٢.
(٣) **المرجع السابق**: ص ٢٩٤.
(٤) **المرجع السابق**: ص ٢٩٠
(٥) **المرجع السابق**: ص٨٣،٥٥١.

ربيعًا، فتنعكس الحِكمة التي وضعها الحر والبرد لها، ويرجع الأذى على الأبدان"[١]. كما أُضيفتْ المعرفة للحكمة في الرّد على مَنْ يقيسَ أفعال الخالق على أفعال الخَلْق ويقضي بقضاء العقول في هذه المسألة وهو منزَّهٌ سبحانه عن ذلك، يقول: "أنَّ حِكْمَتَه فوقَ العقلِ، فهي تقضي على العقول، والعقول لا تقضي عليها، ومَنْ قاسَ فعله على أفعالنا غلط الغلط الفاحش، وإنما هلكتْ المعتزلة مِنْ هذا الفن... فأمَّا مِنْ أفعاله لا تُعَلَّل ولا تُقَاس بشاهد، فإنَّا لا نصل إلى معرفة حكمته، فإنْ قال قائلٌ: فكيف يُمكنني أنْ أقودَ عقلي إلى ما يُنافيه؟ قلنا: لا منافاة؛ لأنَّ العقل قد قطع بالدَّليل الجليّ أنه حكيم، وأنه مالك، والحكيم لا يفعل شيئًا إلا لحكمة، غير أنَّ تلك الحكمة لا يبلغها العقل"[٢].

يتضح مِنْ خلال العرض السابق، عدد من النقاط التحليليَّة، يمكن الإشارة إليها كما يأتي:

- لفظ التربية وَرَدَ منسوبًا للربِّ سبحانه في أكثر مِنْ موضعٍ، وهذا النوع من التربية (الكماليَّة) لِمَنْ وقع عليه الاختيار والاصطفاء الإلهيّ – وهم رُسُله وأنبياؤه الكِرام – أكمل الناس بِحَسَبِ الدين والدنيا. ومرة تُنسب لغيره والإنسان طرف فيه، كإشارةٍ إلى أنَّ التربية (إنسانيَّة)، ميَّز الله بها الإنسان عن غيره؛ بأنه كائن أخلاقيّ مُدرِك للقِيَم، قادر على الإتيان بها وفعلها، والبناء عليها داخليًا، والسّير فيها على مُقتضى العِلم.
- مفهوم التَّأدب والتَّأديب بمشتقاته كان موضع عناية كبيرة عند ابن الجوزي في كثير مِنْ قَسَمَاتِ الكتاب، غايته؛ الإصلاح والاستقامة والالتزام والدَّوام واليقظة وشحذ الهِمَّة والعزم والحزم والتَّهَيُّؤ للسَّبق طلبًا للمعالي مع الاحتراز بالسَّلامة من الهَوَى بِحُسن القصد، حتى يَسْلُكَ به الإنسان السلوك الرَّشيد الأقرب للسَّداد والتَّوفيق الذي يُعتد به؛ "لأن المُوَفَّق مَنْ كانتْ معاملته باطنة، وأعماله خالصة"[٣]، بغرضِ التزكية والإصلاح؛ ولذلك نال مفهوم الإصلاح بَسْطَةً وشُهرةً، أُرِيدَ به الفرد والمجتمع المسلم معًا؛ للوصول بهما للحياة المتكاملة = (الحياة الطيبة الخَيِّرة).
- مفهوم التَّعليم بما اشتمل عليه مِن العلم والعمل، واقتران العلم بعددٍ من المفاهيم التربوية؛ جعلت مفهوم التَّعليم هو الضلع الأول مِن الكتاب، يليه مفهوم التَّأديب والتَّهذيب والحكمة، حسب حجم تكراراتهم واشتقاقاتهم وما ينضوي تحتهم مِنْ مفاهيمٍ فرعيَّةٍ أخرى، وبذلك "يكون التَّعليم والتَّربية جانبيْن لطريقٍ واحدٍ، يسير فيه الإنسان منذ ولادته حتى مماته،

---

(١) ابن الجوزي: **صيد الخاطر**، مرجع سابق، ص١١٩
(٢) **المرجع السابق**: ص٣٩٥-٣٩٦.
(٣) **المرجع السابق**: ص٤٩٠.

وبذلك أيضًا يكون التَّعليم أشمل مِن التَّدريس (باعتباره هو الوسيلة التي يتلقى بها الطالب التَّعليم والتَّأديب)، والتَّدريس أشمل مِن التَّدريب الذي يخص المهارات والسلوكيات التي تُكتسب للممارسة"[1].

- مفهومُ المعرفةِ ذو دلالةٍ واسعة، وهذا يدل على عموميَّة وشموليَّة العِلم والمعرفة، وأنهما قد يترادفان، وقد يقتربان مِنْ حيثُ اللفظ والمعنى، أو المعنى دون اللفظ والعكس.
- يُعتبر ثلث الكتاب قائم على التربية بالحكمة وهي غاية تروم لها النَّفس الطموحة التي تنشد التَّغيير وتطلبُ التَّزكية لنفسها ولجيلها ولأمَّتِها، والقرآن الكريم أعطاها جانبًا كبيرًا مِن التَّشريف والتَّكريم (البقرة:٢٦٩)، وتَوَّجَ بها بعض أنبيائه، وشُقَّ اسمها مِنْ اسمه "الحكيم"، والحكيم لا يفعل شيئًا إلا لحكمة، غير أنَّ تلك الحكمة، لا يبلغها العقل.
- نالتْ بعض المفاهيم الفرعيَّة زخمًا: كالتَّأمل والتَّدبر والتَّفكر والنَّظر في آيات القرآن والكون، وهي تشير لعِظَمِ دور العقل، وشرف تدبيره، وآلية فهمه واجتهاده وتَقَصِّيه وتحقُّقِه وتثبُّته وتيقُّنه وتبيُّنه وتَبْيِينِه واستدلاله الذي يقود بالتَّالي إلى اقتضاء صراط اليقين؛ بالإذعان والتسليم لحكمة الحكيم العليم المالك المُتَصَرِّف سبحانه.
- مفهوم العَمَلِ غالب على سير الفصول؛ لكي يُحْدِث أثرًا في النفس تستوجب العزم والاستعداد والمبادرة والسَّبق والحث على العمل، إذ لا إيمان بلا عمل، مُتَأثِّرًا بخطاب القرآن الكريم، كما اقْتُرِنَ مفهوم العمل كثيرًا بعددٍ مِن المفاهيم التربويَّة، والتي منها؛ العزم، والمعرفة، والعلم، والفقه... وكلها في المقام الأرفع من التربية.
- يتلخص الكتاب في عمليتي التَّخلية والتَّحلية، فمثال (التَّخلية): القسوة والغفلة والتفريط والجهل والأَثَرَة والتقصير والعجز... إلخ، ومثال (التَّحلية): الرغبة والرهبة والخُلوة والمراقبة وتصحيح النيَّة والتعلُّم والتعبد والاهتداء والاستقامة والحكمة... إلخ؛ تهدف تهذيب النفس وتقويمها ورياضتها وترقيتها بتأديبها ومحاسبتها، وكبح جماح هوى دُونِيَّتِهَا؛ لتخليصها مما قد يَعْلَقُ بها مِنْ أدرانٍ معنويَّةٍ أو مما يَسْتَثْقِلُ خُطاها عن مواصلة السَّير إلى الله.
- مفهوم التنشئة إذا ما اطْلِق دلَّ على التربية في نفسها، وقد ارتبطتْ بمفهوم التَّغذية. والتنشئة أُرِيدَ بها هنا التَّأسيس على المعنى الإسلاميّ التي تحوطها: الرعاية والعناية والاهتمام

(١) بدرية صالح الميمان: **نحو تأصيل إسلامي لمفهومي التربية وأهدافها**، مرجع سابق، ص٥١٥

والسياسة والتدبير والتَّصرف والتَّعهد به حد التَّمام البشري شيئًا فشيئًا، فيكون قد جُمِعَ لـــه ألوان مِن التَّربية، وبذلك تكون التنشئة هنا: تربية (الأم والأرض) معًا.

٥. التربية في الفكر التربويّ الإسلاميّ المعاصر:

الفكر التربويّ الإسلاميّ، اجتهاد فكريّ قائم على منهجيَّة تؤثر في وعي الإنسان بـــالواقع وتلعب دورًا مهمًّا في مسألة إدراك الواقع، فعندما يفكر ويحاول نقل الواقع كما يدركـــه، فإنـــه لا ينقل الواقع ذاته، وإنما يقترب منه بقدر ما يستخدم مِنْ منهجيَّةٍ مناسبةٍ. هذه المنهجيَّة تتأثر بنتيجة التفاعل الذي يكون بين ثلاثة عناصر: الأولى: المدركات القَبْليَّة المستقرة في الذِّهن، المُعبَّر عنها بالقِيَم والمبادئ التي تتصل بالفطرة أو مِنْ خارجها مِن الـــنُّظمِ والمنـــاخِ الاجتمـــاعيّ، والثانيـــة: الأدوات التي يستخدمها والعمليَّات العقليَّة والشعوريَّة ومَلَكات الحِسِّ والخيال. والثالثـــة: الحقـــائق الموضوعيَّة المرتبطة بالواقع. هذه العناصر تتفاعل مجتمعة في العقل الإنسانيّ ويأتي دور العقـــل في تنظيمها وهو ما يُطلق عليها (بالخبرة الإنسانيَّة)؛ التي تمثل الوعي الإنـــسانيّ لفهـــم الواقـــع الاجتماعيّ والطبيعيّ، وإدراك موضوعاته وظواهر الأشياء، وبيان دلالاتها وإمكانات توظيفها في الفهم والسلوك[١]. ومع ذلك قد يكون هذا الوعي وعيًا مُزيفًا؛ لأنَّ الواقـــع الاجتمـــاعيّ بظروفـــه القهريَّة، قد يفرض على الإنسان قيودًا تتطلب مُسايرة الثقافة السائدة والـــوعي الجمعـــي، وهـــذه ظاهرة مَرَضيَّة تتسبب في حالةٍ مِن الركود واللامبالاة ثم التَّوقف عن العطاء الفكريّ والحضاريّ للمجتمعات الإنسانيَّة. وفيما يلي عرض ومناقشة موجزة لبعض التَّعاريف التربويَّة لمفهوم التربية، في محاولةٍ مِن البحث للتَّعرف على طبيعة المفهوم، ومعرفة ما قد يكون قـــد تعـــرّض لتغيـــراتٍ دلاليَّةٍ أو استعماليَّةٍ.

(١) تعريف سعيد إسماعيل علي:

التربية هي "عملية تغيير في الشخصيَّة مرغوب فيه مِنْ قِبل الجماعة، ويتفق مع مقاصـــد الشريعة فمعنى هذا أنَّ التربية عملية نمو"[٢]. الباحث يوضِّح دلالة المفهوم بأنَّها عمليّة تغييـــر... وهذه حقيقة التربية؛ أنها أداةُ المجتمعِ في تشكيل الأفراد الذين لا يمكن لهم أنْ ينمو فـــي عُزْلَـــةٍ، فهي عملية اجتماعيَّة وتختلف مِنْ مجتمعٍ لآخرٍ حسب طبيعة المجتمـــع والقـــوى المـــؤثرة فيـــه بالإضافة إلى القِيَم التي يعيش على أساسها، وأيضًا تيسير سبل اكتساب القِيَم وتوســـيع المـــدارك

(١) فتحي حسن ملكاوي: مفاهيم ومبادئ المنهجيَّة الإسلاميَّة في: أحمد فؤاد باشا وآخرون: **المنهجيَّة الإسلاميَّة** (القاهرة: دار السلام للطبع والنشر، ج١، ٢٠١٠م) ص٤٢

(٢) سعيد إسماعيل علي: **أصول التربية الإسلامية**، مرجع سابق، ص٢١

لتحصيل العلوم والمعارف بشكلٍ علميٍّ؛ ليتفاعل مع معطيات العصر بإيجابيَّة، لا تنفصم مصلحة الفرد فيها عن مصلحة الجماعة، فكل عطاءٍ أو انجازٍ يحققه يعود على المجموع والعكس. وقوله: "... ويتفق مع مقاصد الشريعة" أي تتحقق بوحدةِ تكامليَّةِ الإنسان بتصور إسلاميّ كُلِّي عن الله والكون والحياة؛ لأنَّ الإنسان العنصر المؤثر في حركة الحياة وتتشكل على يديه صورتها المتكاملة والمتوازنة؛ لتحقيق غاياتها الاستخلافيَّة الإعماريَّة.

(٢) تعريف السيد عمر:

التربية "عملية ملازمة للإنسان بكل أنساقه على مدى خلافته في الأرض، غايتها حين يكون مصدرها هو القرآن هي تنشئة الإنسان الرَّبَّانِي، ومنبعها الأصيل هو مِنْ عند الله، ومنبعها التَّابع مِن الإنسان لنفسه ثم مِنْهُ لغيره، فلا يتأهَّل لتربية غيره بالقرآن مَنْ لَمْ يَتَربَّ هو أولًا بالقرآن"[(١)]. الباحث هنا يؤكد أهم مَعْلَم مِنْ معالِم التربية، وهي تلازميَّة التربية – البشريَّة – لكافة الأنساق الإنسانيَّة المجعولة بتعهدها حد التَّمام البشريّ وتكاملها شموليًّا، مدة مراحلها الحياتيَّة على الأرض، وتلك غاية لن تبلغها إلا "حين يكون مصدرها هو القرآن"، أي ربانيَّة المصدر وهو الخالق سبحانه الذي يعلم ما خلق، فتكون "نواة مفهوم الإنسان الرّبَّاني هي: حظ النِّسبيّ من المُطْلَق، بالتالي فإنَّ منبع تلك العائلة هو مفهوم: الربوبيَّة، وقَلْبِهَا هو مفهوم: الإنسان، ووسيلته إليها هي: القرآن وقراءة الكون بالقرآن، وتجلياتها فيه هي: التَّوحيد، والانتساب الإيمانيّ، والتَّخلق بالقرآن"[(٢)]. إذن، "فَلَاحُ الإنسانِ مرهونٌ بتربيته وسياسته بالشّرعة والمنهاج الربَّانيين"[(٣)]؛ فيربو بها وينمو ويسمو على درجات الكمال والكرامة الإنسانيَّة، إذ عرف نِعَمَ ربه عليه، ورحمته به، وحكمته البالغة في تدبيره إياه...، واعتز بإخلاص إنسانيته المعنويَّة وتصفيتها، وتزكيتها بالتأمل والتفكر في الآيات الكونيَّة، والتدبر والفقه، والعمل بالآيات العِلميَّة[(٤)]، وهو ما أطلق الباحث عليها: التربية القرآنيَّة المعرفيَّة الكونيَّة.

---

(١) السيد عمر: النموذج المعرفي التربوي المعياري - **الكتاب رقم (١٣) من سلسلة العلوم التربويَّة الإسلاميَّة** (القاهرة: دار الفكر العربي،٢٠٢٠م) ص٢٥٩

(٢) **المرجع السابق**: ص٢٥٩

(٣) السيد عمر: **النموذج المعرفي التربوي المعياري**، مرجع سابق، ص٢٦٩

(٤) ابن قيم الجوزية: **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، مرجع سابق، ج١، ص١٦ الهامش

(٣) تعريف خالد بن حامد الحازمي:

التربية هي "تنشئة الإنسان شيئًا فشيئًا في جميع جوانبه، ابتغاء سعادة الدَّارِيْن، وفق المنهج الإسلاميّ"[١]. الباحث قَدَّمَ صياغة مُلِمَّة ببعض جوانب عملية التربيَّة ألا وهي التنشئة ودورها في تنشئة جوانب الإنسان، بينما يُفترض أنْ تُذكر هذه الجوانب مع أدوار عمليات التنشئة فيها حيث قزَّم دورها على الرغم مِنْ شموليَّتها وعموميتها وتكامليتها في إعداد الإنسان بكافة أنساقه، فهي وسيلةٌ لغايةٍ هي التنشئة بمضامينها الشَّاملة للتَّجديد والتَّجدد والتَّأليف واستنباط المعاني وتأليفها والتعبير عنها على نحو بليغ، حيث لا موضع للجمود ولا للتقليد، بل سعي دائم إلى الكمال، وإلى تجاوز حد الصغر بالنسبة للفرد وللجماعة والمجتمع والأُمَّة، وترويض النفس والغير على الحركة الهادفة مِنْ منطلق الاختيار والمبادرة الذاتية والتوجيه والتحريك الإلزاميّ. التعريف ينقصه جوانب تفصيليَّة يُبرِز فيه ملامح التربية الإسلاميَّة وأثرها على الشخصيَّة المُسلمة، ودور هذه الشخصيَّة في خدمة المجتمع وحمايته وتطويره، وتفاعلاتها مع المستجدات، وجهودها التي يسهم في تحقيق رسالة الأُمَّة الحضاريَّة، ومدى قدرتها على العطاء الغير مشروط.

(٤) تعريف أنوار محمود علي:

التربية "عملية تضم الأفعال والتأثيرات المختلفة التي تستهدف نمو الفرد في جميع جوانب شخصيته، وتسير به نحو كمال وظائفه عن طريق التكيُّف مع ما يحيط به، ومِنْ حيثُ ما تحتاجه هذه الوظائف من أنماط سلوك وقدرات"[٢]. تحاول الباحثة في هذا التعريف أنْ تعطي مفهومًا شاملًا؛ ولكن المصطلحات يكتنفها شيء مِن الالتباس، فكما هو معروف أنَّ التربية هي عمليَّة مقصودة، فما قصد الباحثة مِن الأفعال التي تضمُّها التربية؟ وما هي التأثيرات المختلفة التي تستهدف هذا الفرد؟ للوقوف على ملامح هذه التربية وتحديد نوعيتها. وما هو دور الفرد الذي يمكن أنْ يؤديه؟ هذه التربية أقرب إلى عمليَّة طبيع اجتماعي أكثر مِنْ كونها عمليَّة شاملة؛ فبعض المصطلحات الواردة وافدة وأثر النقل والترجمة واضح فيها، مثل: التأثيرات المختلفة، التكيف، وظائف، أنماط، قدرات، هذه المفاهيم دخيلة على التربية مِنْ ميادين مختلفة لها صلة بعلم النفس والفلسفة مِنْ منظورٍ غربيّ.. هذا التحوُّل وهذا التغيُّر في المفاهيم يعمل على تغيُّر في أهداف

---

(١) خالد الحازميّ: أصول التربية الإسلامية - **الكتاب رقم (٥) من سلسلة المنظومة التربويَّة** (الرياض: دار عالم الكتب للطباعة والنشر، ١٤٢٠هـ) ص١٩

(٢) أنوار محمود علي: "دور التربية في التغير الاجتماعي" **مجلة كلية العلوم الإسلامية**، جامعة الموصل، العدد الثاني عشر، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص٦

التربية وتغيُّر في غاياتها، بالتالي تتغير الأساليب والوسائل في تحقيق هذه الأهداف المرجوة من عملية التربية، وهذا التَّغريب مدعاةٌ لتشغيل مفهوم التربية الحضاريَّة الإسلاميَّة في حقل التَّربية والتَّعليم.

(٥) تعريف محمد لبيب النجيحي:

التربية "عمليَّة تشكيل وإعداد أفراد إنسانيين، في مجتمع معين، وفي زمان ومكان معين، حتى يستطيعوا أن يكتسبوا المهارات والقِيَم والاتجاهات وأنماط السلوك المختلفة التي تُيَسِّر لهم عملية التعامل مع البيئة الاجتماعيَّة التي يُنشئون أفراد بها، ومع البيئة الماديَّة"(١). يشتمل التعريف على عددٍ من الأبعاد: الأبعاد الإنسانيَّة، والمجتمعيَّة المُعَيَّنة، والزمانيَّة والمكانيَّة المعينيْن، والاجتماعيَّة المُعَبِّرة عن جاهزيَّة الأدوار، والماديَّة البيئيَّة. نعم، التربية ذات قيمة في حياة المجتمعات؛ لأنها تستهدف – الشِّق الأول– المحافظة على الهُوِيَّة الاجتماعيَّة ممثلة في اللغةِ والقِيَم والدينِ والثقافةِ والتاريخِ المشتركِ، – أما الشِّق الثاني– فهو النَّماء الاجتماعيّ المتعدد الجوانب، وهذا يتطلب شكلًا مختلفًا من التربية لا تتوافر في هذا التَّعريف، والتي يُعَوَّل عليها لإحداث عمليَّة صياغة وتكوين الفرد الذي بدوره يُسهم في صياغة المجتمع وبنائه بالشَّكل الذي يرتضيه الأخير، وبما يتفق مع أهدافه التي يُفترض أنها تحافظ على هُوِيَّته وتُمكنه من البقاء مجتمعًا متماسكًا وقويًّا؛ أنْ تكون مَرِنَةً قادرةً على التَّجديد في ذاتها ومكوناتها وفي بيئتها ومضمونها وأساليبها، ولا تقتصر على مرحلة دون أخرى، وتراعي حاجات الفرد، وأهم خصائصها (التلازميَّة والاستمراريَّة)، أي لا زمانية معينة ولا مكانية محددة، أعم وأشمل بكثير من أَنْ تُعِدَّ أفرادها للبيئة الاجتماعيَّة والماديَّة فقط، بل إعداد الإنسان – بمقومات تكامل الشخصيَّة – للحياة المتكاملة، "يتفاعل فيه توجيه ربانيّ وفعل إنسانيّ مِنْ خلال السُّنن الكونيَّة، ويحقق هذا الفعل عزمات البشر، وعقولهم الواعية، واستثمار طاقاتهم المذخورة، وقدراتهم الكامنة"(٢).

يتضح من خلال العرض التحليليّ السابق، الاستنتاجات التحليليَّة الآتية:

- مفهوم التربية هو أحد المفاهيم المحوريَّة التي تنبثق مِنْ المفهوم الكلي (التوحيد)، وفي نفس الوقت مفهوم (مظلة) أي يتسع ليشمل عشرات مِنْ المفاهيم الفرعيَّة الأخرى – كما سبق– فإذا كان الإسلام عقيدة وشريعة فإنَّ التربية هي ترجمة روح الإسلام؛ لارتباطها بثقافة

(١) محمد لبيب النجيحي: **الأسس الاجتماعية للتربية** (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٨م) ص١٨
(٢) بدرية صالح الميمان: **نحو تأصيل إسلامي لمفهومي التربية وأهدافها**، مرجع سابق، ص٥٠٣

الأُمَّة ولغتها وعقيدتها وتاريخها ومبادئها، بالتالي التربيـــة هـــي وجـــه الإســـلام ومرآتـــه الحضاريَّة؛ لأنها تعمل على تشكيل الإطار النظريّ والتَّطبيق العمليّ للشخـــصيَّة المـــسلمة الفاعلة في حركة الحياة، وهذا يفسر حجم التآمر عليها في الدَّاخل والخارج!.

- لم تختلفْ التربية عند بعض الباحثين عن مفهومها المحوريّ الشَّامل فـــي اللغـــة والقـــرآن الكريم والسُّنة النَّبويَّة والتُّراث التربويّ الإسلاميّ؛ لاستنادها القويّ على وحدة مـــصدريتها القائم على (التّوحيد).
- يفتقر مفهوم التربية عند البعض للمرجع الصادق، والصورة الواضـــحة لنوعيـــة التربيـــة ونوعية الإنسان.
- تمايزت بعض التعاريف بالانسجام مع مفهوم التربية في الرؤية الإسلاميَّة، وبعضها يقترب مِن المفهوم الصَّحيح مِنْ جانبٍ وتُقصي جوانب أخرى، وبعضها مختلط يتـــسم بالإســـلاميَّة وطابعها تغريبيّ نتيجة غبش التَّصور المنهجيّ القائم عليه الفكر؛ مما يَدُلُّ علـــى خطـــورةِ المنهج الفكريّ القائم الذي قد يُشَكِّل أخطر أشكال التَّزييف أو الارتباك في الوعي؛ فتنحرف المنهجيَّة عن وظيفتها وتضل طريقها، وتجر مجتمعاتها لمزالق لا تحمد عقباها.

المحور الثاني: التأصيل الإسلاميّ لمفهوم الحضارة:

١. الحضارة في اللغة:

يُعبِّر الجذر اللغوي (حضر) عن ثراء اشتقاقيّ، يقول ابن فارس: "(الحاء والضاد والـــراء) إيراد الشيء، وروده، ومشاهدته، وقد يجيء ما يبعد عن هذا، وإنْ كان الأصل واحدًا"[(١)]، وعليه يمكن سَرد تحليليّ للمَعاني المُعْجَميَّة لمصطلح (الحضارة) ومُشْتَقَّاتِها للوصـــول إلـــى منظومـــة دَّلالات مُتناسِجة، فيما يلي:

- **الحضور والشهادة نقيض المَغيب والغَيْبَة:** (البعد الوجوديّ الاستخلافيّ)

تقول: أَحْضَرَ الشَّيء، وأَحْضَرَهُ إِيَّاهُ، وكلمته بِحَضْرَةِ فلان؛ أي بمشهدٍ منه، وكـــان ذلـــك بِحَضْرَةِ فلان. ومنها: الحضور بخير وذِكر الغائب بخير، تقول: رجلٌ حَاضِـــرٌ، وقـــومٌ حُـــضْرٌ وحُضُورٌ، وإنَّه لحسَنُ الحُضْرَةِ، أي إذا حضر بخير، وفلان حسَنُ المَحْضَرِ، أي مما يذكر الغائب بخير[(٢)].

---

(١) أحمد بن فارس زكريا: **معجم مقاييس اللغة** – تحقيق وضبط: عبد السلام هارون (القاهرة: مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر، ج٢، ط٢، ١٣٩٠هـ) ص٧٥

(٢) ابن منظور: **لسان العرب**، مرجع سابق، ج٤، ص١٩٧، وانظر:

- **القُرب والفناء، والعلل والأسقام، وأطوار الآدمي:** (البعد الزمنيّ التداوليّ والمآليّ)

تقول: كنتُ بِحَضْرَةِ الدَّارِ، ومنه الحديث: "كنا بِحَضْرَةِ ماءٍ" أي عنده. وحَضْرَةُ الرجلِ: أي قُربُه وفَنَاؤُه. فالحَضْرَة: قرب الشيء، ويقال: ضربتُ فلانًا بِحَضْرَةِ فلان وبِمَحْضَرِه. أمَّا حُضِرَ المريضُ واحْتَضَرَ: إذا نزل به الموت. ومنه: حَضَرَنِي الْهَمُّ واحْتَضَرَنِي وَتَحَضَّرَنِي. وفي الحديث: أنَّه غ ذكر الأيام وما في كل منها من الخير والشر: "والسبتُ أَحْضَرُ إلا أنَّ له أَشْطُرًا" أي: هو أكثر شرًا. وهو أفعل مِن الحُضُور. ومنه: حُضِرَ فلان واحْتُضِرَ، أي: إذا دنا موته. والحَضِيرة: ما تلقيه المرأة والناقة بعد الولادة، وانقطاع الدم. ويقال: للرجل يصيبه اللَّمم والجنون: فلان مُحْتَضَرٌ[1].

- **الإقامة والاستقرار والتوطُّن، أو إتيان الحضر للبيع والشراء وغيره:** (البعد الماديّ)

الحضر: خلاف البدو، والحاضر: خلاف البادي، فـ الحاضر: أي المُقِيم في المدن والقرى والريف، والمُحْتَضِرُ: الذي يأتي الحضر. وسميت بذلك؛ لأنَّ أهلها حَضَرُوا الأمصار ومساكن الدّيار التي يكون لهم بها قرار. إذ الإقامة لا تكون إلا في مكان وأرض. والبادية يكون اشتقاق اسمها من بدا يبدو: أي بَرَزَ. وهو اسم لزم ذلك الموضع خاصةً دون سواه. وعن ابن عباس س أنه سئل "لا يبعْ حاضر لِبَادٍ"، لما فيه من الضَّرر بالغير[2].

- **صفة طائفة أو جماعة، أو سيد القوم:** (البعد الاجتماعيّ)

حَضْرَةٌ مثل كافر وكَفَرَةٍ. وفي حديث: "أَنَّى تَحْضُرُنِي مِن اللهِ حَاضِرَةٌ" أي الملائكة الذين يَحْضُرُونَه. وفي حديث الصبح: "فإنها مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ"؛ أي يَحْضُرُهَا ملائكة اللَّيْل والنَّهار. وحُضَيْر الكتائب: رجلٌ مِنْ ساداتِ العربِ[3].

- إبراهيم أنيس وآخرون: **المعجم الوسيط** – إشراف: عبد السلام هارون (القاهرة: مطبعة مصر، ج١، ١٣٩٠هـ) ص١٨٠ مادة (حضر).
- علي بن إسماعيل بن سيده: **المحكم والمحيط الأعظم في اللغة** – تحقيق: عائشة عبد الرحمن: (القاهرة: مطبعة مصطفى الحلبي بمصر، ج٣، ١٣٧٧هـ) ص٨٦

(١) إبراهيم أنيس وآخرون: **المعجم الوسيط**، مرجع سابق، ج١، ص١٨٠ ، وانظر:
- ابن منظور: **لسان العرب**، مرجع سابق، ج٤، ص١٩٧
- ابن فارس: **مقاييس اللغة**، مرجع سابق، ج٢، ص٧٦، ٧٧
- ابن سيده: **المحكم**، مرجع سابق، ج٣، ص٨٧

(٢) ابن منظور: **لسان العرب**، مرجع سابق،ج٤، ص١٩٧، وانظر:
- ابن سيده: **المحكم**، مرجع سابق،ج٣، ص٨٦
- إبراهيم أنيس: **المعجم الوسيط**، مرجع سابق،ج١، ص١٨٠-١٨١

(٣) ابن سيده: **المحكم**، مرجع سابق، ج٣، ص٨٧، وابن منظور: **لسان العرب**، مرجع سابق، ج٤، ص١٩٨

- **الاجتماع على جهة التَّعمير، أو القصد والطلب:** (البعد الإنسانيّ والقيميّ الهادف)

هؤلاء قوم حُضَّارٌ، أي إذا حضروا المياه. قال لبيد: ... وعلى المياه مَحَاضِرٌ وخيام. وحاضِرُوا المياه وحُضَّارُها أي: الكائنون عليها قريب منها؛ لأنهم يحضرونها أبدًا. والحاضِرُون: الذين يرجعون إلى المَحاضِرِ في القَيْظِ (الحر)، وينزلون على الماء ولا يُفارقونه إلى أنْ يقع ربيع بالأرض يملأ الغُدْرانَ فينتجعونه أي: طلب الكلأ. وكل من نزل على ماءٍ ولم يتحول عنه فهو حاضر، سواء نزلوا في القرى أو الأرياف والدور المدرية أو بنو الأخبية على المياه فَقَرُّوا بها ورَعَوْا ما حواليها مِن الكلإِ. ومنه النزول والاجتماع: لحديث: "كنا بِحَاضِرٍ يمر بنا الناس" فالحَاضِرُ: القومُ النُّزُولُ على ماءٍ يقيمون به ولا يرحلون عنه. حَيٌّ حَاضِرٌ: إذ حضروا الدار التي بها مجتمعهم. فالحاضر: الحيّ العظيم(١) .

- **الاجتماع على جهة الإفساد، أو الموضع مِن الأرض:** (البعد المكانيّ)

نزلنا حاضِرَ بني فلان. فهو فاعل بمعنى مفعول. وفي الحديث: "هِجْرَةُ الحَاضِرِ" أي: المكان المحضور. ورجل حَضَر وحَضِر: أي يتحين طعام الناس حتى يحضره"، تقول العرب: اللَّبَنُ مُحْتَضَرُ ومَحْضُورٌ فَغَطِّه، أي: كثير الآفة يعني يَحْتَضِرُه الجن والدواب وغيرها من أهل الأرض. والكُنُفُ مَحْضُورَةٌ. ومنه حديث: "إن هذه الحشوش مُحْتَضَرَةٌ" أي: يحضرها الجن والشياطين. وقوله تعالى: "وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونَ" أي أن تصيبني الشياطين بسوء، والحضيرة: موضع التمر. والحضير: المكان الفسيح أمام الغرفة أو بين بعض الغرف وبعضها(٢).

- **التقدير العدديّ، وطلائع مقدمة الجيش، والشدَّة والمُجالدة والمُغالبة:** (البعد الاستراتيجيّ العسكريّ)

الحَضِيرة تطلق على جماعة القوم، وقيل: الرجال السبعة أو الثمانية، وقيل: الأربعة والخمسة، وقيل: هم النفر يُغْزَى بهم، وقيل: هم العشرة فمن دونهم، يقول الشاعر: مِن الدَّارِ لا

---

(١) ابن منظور: **لسان العرب**، مرجع سابق، ج٤، ص١٩٨، وانظر:
- إبراهيم أنيس: **المعجم الوسيط**، مرجع سابق، ج١، ص١٨٠
- ابن فارس: **مقاييس اللغة**، مرجع سابق، ص٧٦

(٢) ابن سيده: **المحكم**، مرجع سابق، ج٣، ص٨٦، وانظر:
- ابن منظور: **لسان العرب**، مرجع سابق، ج٤، ص١٩٩
- ابن فارس: **مقاييس اللغة**، مرجع سابق، ج٢، ص٧٦
- إبراهيم أنيس وآخرون: **المعجم الوسيط**، مرجع سابق، ج١، ص١٨١

يأتي عليها الحضائِرُ، أي: رجال الحرب. وحضيرة العسكر: أي مقدمتهم. والحَضْرَةُ: الشِّدَّة. والمُحَاضَرَةُ: المُجالدة، وهو أنْ يُغَالِبَكَ على حَقِّكَ فَيَغْلِبُكَ عليه ويذهب به. وحاضَرْتُه: أي جاثيته عند السلطان وهو كالمغالبة والمكاثرة[1].

- **جودة الشيء بدلالةِ وصف فيه، أو تحرك سريع مصحوب بإنجاز:** (البُعد الحركيّ والإنجاز الفعليّ)

الحِضَار من الإبل: البيضاء التي جمعت قوّةً وَرِحْلَةً يعني جودة المشي. وحَضَار: اسم للثور الأبيض. والحَضْر والإحْضَار: ارتفاع الفرس في عَدْوِه. ومنه حديث: "ثم يصدرون عنها بأعمالهم...، ثم كَحُضْرِ الفَرس"، ومنه: أنه أقطع الزبيرس حُضْرَ فرسه بأرض المدينة. وهذا أو هذه فرس محضير، وحاضرته حضارًا: أي عَدَوْتُ معه[2].

- **الأفول والزَّوال، أو اختلاف أحوال الأقطار بالرَّفَهِ والفقر:** (البعد السُّنّيّ العمرانيّ الحضاريّ)

حَضَار أي نجم مخفيّ في بُعدٍ، وأُنشِدَ: أَرَى نَارَ لَيْلَى بِالْعَقِيقِ كَأَنَّهَا .. حَضَارِ، إِذَا مَا أَعْرَضَتْ وَفُرُودُها. فالفُرُودُ أي نجوم تخفى حول حَضَار، بمعنى أنَّ النار تخفى لبعدها كهذا النجم الذي يخفى في بعد. والحَضْرُ: مدينة بُنيت قديمًا بين دجلة والفرات. وحَضْرَ مَوْتُ: اسم بلد وقبيلة والنسبة إليه حَضْرَمِي. والجمع الحَضَارِمة. وحَضُور: اسم جبل باليمن. وفي حديث مصعب: "أنه كان يمشي في الحَضْرَمِي" أي: النَّعل المنسوبة إلى حضر موت المتخذة بها[3].

---

(١) إبراهيم أنيس وآخرون: **المعجم الوسيط**، مرجع سابق، ج١، ص١٨١، وانظر:
- ابن منظور: **لسان العرب**، مرجع سابق، ج٤، ص٢٠٠
- ابن فارس: **مقاييس اللغة**، مرجع سابق، ج٢، ص٧٥
- ابن سيده: **المحكم والمحيط الأعظم في اللغة**، مرجع سابق، ج٣، ص٨٦، ٨٧

(٢) ابن منظور: **لسان العرب**، مرجع سابق،ج٤، ص٢٠١، وانظر:
- إبراهيم أنيس وآخرون: **المعجم الوسيط**، مرجع سابق،ج١، ص١٨١
- ابن سيده: **المحكم والمحيط الأعظم في اللغة**، مرجع سابق، ص٨٧

(٣) ابن سيده: **المحكم**، مرجع سابق، ج٣، ص٨٦، ٨٧، وابن منظور: **لسان العرب**، مرجع سابق، ج٤، ص٢٠٢

من خلال العرض السابق لمفهوم الحضارة لغويًّا؛ يمكن الإشارة لعددٍ مِـن النقـاطِ التحليليَّـة كالآتي:

- أبرز المفهوم العنصر الأساسيّ في حقيقتها وصانعها وهدفها، تأكيدًا للبُعد الإنـسانيّ فيهـا، فـــ"الحضارة تنتهي عندما تفقد مضمونها معنى (الإنسان)، وحيث ينتهي المعنى الإنساني تبدأ الأخلاق الزائفة، والحضارة الزائفة"(١).
- يُعَبِّر الجذر اللغويّ (حضر) عن ثراء وخصوبة اشتقاقيَّة يُفهم مِـنْ خلالهـا أنَّ (الحـضارة) منظومة معرفيَّة ومقاصديَّة كُبرى، وليس مجرد لفظ أو مصطلح؛ فهي تُرادِف العمران الذي يناقض الفساد والخراب والعبث، ويشترك مع التّداول اللغويّ في نـواحي اشـتقاقيَّة مثـل: الإقامة والشُّهود والقصد والجودة والتحرك السريع المُنْجِز.
- تحمل لفظة (الحضارة) بمعناها اللغويّ الأبعاد الأساسيَّة التي يقوم عليها التحضُّر الإسـلاميّ: البُعد الإنسانيّ والقيميّ الهادف، والبُعد الوجوديّ الاسـتخلافيّ، والبُعـد الزمـانيّ التـداوليّ والمآليّ، والبُعد الماديّ، والبُعد الاجتماعيّ، والبُعد المكانيّ، والبُعـد الاسـتراتيجيّ، والبُعـد السُّننيّ الحضاريّ العمرانيّ، والبُعد الحركيّ الإنجازيّ.
- مفهوم الحضارة تشيع عموميته ليشمل غير الإنسان على وجه التَّمييـز والكفـاءة والحركـة الإنجازيَّة .

٢. الحضارة في القرآن الكريم:

إنَّ "الحق سبحانه حدَّد مهمة الإنسان الحضاريَّة في هذا الكون بقوله: (هُـوَ أَنْـشَأَكُمْ مِـنَ الْأَرضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) [هود:٦١]: أي "جَعَلَكُمْ عُمَّارًا"(٢)؛ تكليـف مـن الله للإنـسان بإعمـار الأرض وتحويلها إلى حال يجعلها صالحة للعيش فيها والانتفاع بخيراتها، والاستعمار فـي الآيـة هو طلب العمارة، ولا علاقة لها بالمعنى السَّلبي الذي شُهِد في عهود الاحتلال للعـالَم الإسـلاميّ وغير الإسلاميّ(٣). إنَّ كلمة "ح ض ارة" لم تَرِدْ في القرآن لفظًا؛ ولكن بِطُـرق اشـتقاقيَّة، وقـد تحدث القرآن باستفاضة عن جوانب أهدافها؛ مِنْ خلال الإنسان والعلاقات الأخلاقيَّة والإجتماعيَّـة

---

(١) محمود حمدي زقزوق: **الإنسان والقيم في التصور الإسلامي** (القاهرة: دار الجمهورية للصحافة والنشر، ١٤٣٦هـ) ص٤٨

(٢) البخاري: **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها (٥١)، باب ٣٢ ما قيل في العُمْرَى والرُّقْبَى، ج٥، ص٣٣٧

(٣) محمود زقزوق: **الإنسان والقيم في التصور الإسلامي**، مرجع سابق، ص١٠٦

والسّياسيَّة والعامة والقضائيَّة وتنظيم العلاقات الماليَّة والتّجارة والزّراعة والصّناعة والعلوم والفنون؛ لتكتمل الحضارة بطلب العمارة.

وهكذا ترد باشتقاقات متعددة، وبصياغات متنوعة، مثل: "حَضَرَ"، و"مُحْضَرًا"، و"يَحْضُرُونَ"، و"أُحْضِرَتِ"، و"أَحْضَرَتْ"، و"حَضَرُوهُ"، و"الْمُحْضَرِينْ"، و"لَنَحْضِرَنَّهُمْ"، و"مُحْضَرُونَ"، و"لَمُحْضَرُونَ"، و"حَضِرَتْ"، و"حَاضِرًا"، و"حَاضِرَةً"، و"حَاضِرِي"، و"مُحْتَضَرٌ"، وقد يُعبَّر عن "الحضور" بلفظ الشُّهود والوضع – كما سيأتي، وقد ذُكِرَتْ هذه الألفاظ في ستةَ عشرَ موضعًا في أربعةٍ وعشرين مرةً، توزعتْ على ستَ عشرةَ سورةً من القرآن: أربع سور مدنيّات هي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، واثنتا عشرةَ سورةً مكيّة وهي: الأعراف، والكهف، ومريم، والمؤمنون، والقصص، والروم، وسبأ، ويس، والصافات، والأحقاف، والقمر، والتكوير. وقد وَرَدَ اللفظ حسب المعاني الآتية:

- **مقدمات الموت ودواعيه:**

قال تعالى: (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ ...) [البقرة: ١٣٣]، قوله: (شُهَدَآءَ) أي: حضورًا[١]، لما دخل يعقوب× مصر رآهم يعبدون الأوثان فجمع بَنِيه، وخاف عليهم ذلك فقال لهم: (مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي)، فأنزل الله هذه الآية إعلامًا لنبيه بما وصَّى به يعقوب، وتكذيبًا لليهود... كأنه قيل: حاضري كلامه في وقت حضور الموت، وكنَّى بالموت عن مقدماته؛ لأنه إذا حضر الموت نفسه لا يقول المحتضر شيئًا ومنه (وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ...) [إبراهيم:١٧] أي: ويأتيه دواعيه وأسبابه... وفي قوله: (حَضَرَ) كناية غريبة أنه غائب لا بد أنْ يَقْدُم؛ ولذلك يقال في الدّعاء واجعل الموت خير غائب ننتظره[٢].

- **الإحاطة بقرائن الأدلة والشهود موقع التناظر، أو إنفاذ قدرة الله في خلقه وكمال عدله:**

قال تعالى: (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا...) [آل عمران:٣٠]؛ "يعني يوم القيامة يُحْضِرُ للعبد جميع أعماله مِنْ خيرٍ وشرٍ. فما رأى مِنْ أعماله حسنًا سَرَّه ذلك وأفرحه، وما رأى مِنْ قبيحٍ ساءه وغَصَّهُ، وودَّ لو أنه

(١) تفسير الجلالَيْن: **مرجع سابق**، ص٢٠ = محل الشاهد أيضًا، منها؛ سورة البقرة: آية ١٨٠، سورة النساء: آية ٨، سورة المائدة: آية ١٠٦، سورة النساء: آية ١٨.

(٢) محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي: **تفسير البحر المحيط** (بيروت: دار الكتب العلمية، ج١، ٢٠١٠م) ص٥٧٢-٥٧٣

تبرأ منه، وأنْ يكون بينهما أمد بعيد، كما يقول لشيطانه الذي كان مقروناً به في الدنيا وهو الذي جرَّه على فعل السوء: (يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ)، ثم قال مؤكدًا ومهددًا ومتوعدًا (وَيُحَذِّرُكُمْ اللهَ نَفْسَهُ) ثم قال أ مُرْجيًا لعباده لئلا ييأسوا مِنْ رحمته ويقنطوا مِنْ لطفه (وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) رحيم بخلقه يُحِبُّ لهم أنْ يستقيموا على صراطه المستقيم، ودينه القويم، وأنْ يتبعوا رسوله الكريم"[١].

- **جفاء المودة عن رداءة خُلق، أو حدّة في الطبع تلازمه:**

قال تعالى: (... وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ... الآية) [النساء:١٨]، قوله: (وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ) أي: لا بد للإنسان بحكم خِلْقَتِه وَجِبِلَّتِه مِنْ أنْ يَشِحَّ على إرادته حتى يحمل صاحبه على بعض ما يكره"[٢]؛ فـ "الشُّح: البخل مع الحرص...، وهو في كل أحد ويدل عليه (وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ)، (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ) [الحشر:٩]؛ أثبت لكل نفسٍ شُحًّا"[٣]. ويذهب الجلالين في تفسيرهما إلى القول بشدة البخل أي: جُبلت عليه فكأنها حاضرته لا تغيب عنه، والمعنى: أنَّ المرأة لا تكاد تسمح بنصيبها مِنْ زوجها والرجل لا يكاد يسمح عليها بنفسه إذا أحب غيرها[٤].

- **بمعنى: الإحضار لمعاينة الأهوال أو التَّجاثي عند موافاة شاطئ جهنم:**

قال تعالى: (فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا) [مريم: ٦٨]، يقول ابن كثير: "أقسم الرَّبُّ أ بنفسه الكريمه أنه لا بدَّ أنْ يحشرهم جميعًا، وشياطينهم الذين كانوا يعبدون مِنْ دونه"[٥]، والضمير في قوله: (لَنَحْشُرَنَّهُمْ) عائد على الكفار، ثم أخبر أنه يقرن بهم الشياطين المُغْوِين لهم...، فأخبر سبحانه أنه يحضر هؤلاء المُنْكِرين البعث مع الشياطين المُغْوِين، فيجثون حول جهنم وهو قعود الخائف الذَّليل على ركبتيه كالأسير ونحوه[٦].

---

(١) إسماعيل بن كثير القرشي: **تفسير القرآن العظيم** - تحقيق: أبو إسحاق الحويني (القاهرة: دار ابن الجوزي، ج٢، ١٤٢٧هـ) ص٣٣٥-٣٣٦

(٢) عبد الرحمن بن محمد الثعالبي: **الجواهر الحِسان في تفسير القرآن** (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ج١، د. ت) ص٤٢٠

(٣) أبو حيان الأندلسي: **مرجع سابق**، ج٣، ص٣٧٥

(٤) تفسير الجلالين: **مرجع سابق**، ج٥، ص٩٩

(٥) تفسير ابن كثير: **مرجع سابق**، ج٥، ص٢٤٧

(٦) تفسير الثعالبي: **مرجع سابق**، ج٣، ص١٦

- **أهل الأمصار ومساكن الدّيار أو مَنْ يأتي الحَضر لإبرام عمليَّات تجاريَّة:**

قال تعالى: (وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ... الآية) [الأعراف: ١٦٣]، أي: واسأل هؤلاء اليهود الذين بِحَضْرَتِكَ عن قصة أصحابهم الذين خالفوا أمر الله تعالى، ففاجأتهم نقمته على صنيعهم واعتدائهم واحتيالهم في المخالفة، وحَذَّرَ هؤلاء مِنْ كتمان صفتك التي يجدونها في كُتُبِهِمْ، لئلا يحل بهم ما حلَّ بإخوانهم وسلفهم...، وقوله: (حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) أي بقرب البحر مبنيّة بشاطئه، ويحتمل أن يريد معنى (الحاضرة) على جهة التّعظيم لها، أي هي الحاضرة في قُرى البحر، فالتقدير: "حاضرة قرى البحر" أي: يحضر أهل قرى البحر إليها؛ لبيعهم وشرائهم وحاجاتهم، (إذ يعدون في السبت) أي: يجاوزون أمر الله في العمل يوم السبت، وقد تقدَّم منه تعالى النَّهي عن العمل فيه" [(١)].

- **بمعنى: الحضور والاجتماع:**

قال تعالى: (... وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ) [المؤمنون: ٩٨]، أَمَرَ الله نبيه أنْ يستعيذ مِنْ نخسات الشياطين، والهمز مِن الشيطان عبارة عن حثه على العصيان والإغراب به، كما يهمز الرائض الدَّابة لتسرع، ثم أمره أنْ يستعيذَ بسورة الغضب الذي لا يملك الإنسان فيها نفسه، وقيل الهمز: الجنون، والظاهر أنه أمر بالاستعاذة مِنْ حضور الشياطين في كل وقت، وعن ابن عباس: عند تلاوة القرآن[(٢)].

- **جمع الخلائق لساحة الفصل والجزاء يوم القيامة:**

قال تعالى: (وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنْ الْمُحْضَرِينَ) [الصافات: ٥٧] ، يقول ابن كثير: "يخبر الله عن ذلك المؤمن حين أشرف على صاحبه وهو في الدَّرجات وذاك في الدَّركات يقول: ولولا فضل الله عليَّ لكنتُ مثلك في سواء الجحيم حيث أنت، مُحْضَرٌ معك في العذاب؛ ولكنه تفضَّل عليَّ ورحمني فهداني للإيمان، وأرشدني إلى توحيده" [(٣)]. وقوله: (فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) [الصافات:١٢٧] "أي: للعذاب يوم الحساب"[(٤)].

---

(١) أبو حيّان الأندلسي: **مرجع سابق**، ج٤، ص٤٠٨-٤٠٩، وأيضًا: [البقرة: ١٩٦، ٢٨٢].
(٢) **المرجع السابق**: ج٦، ص٣٨٧
(٣) تفسير ابن كثير: **مرجع سابق**، ج٦، ص٣٣، ٣٧٤
(٤) **المرجع السابق**: ج٦، ص٣٩٥

- **قصديَّة المحل بالغلبة والمُجالدة:**

قال تعالى: (وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ) [القمر:٢٨] أي: "يومٌ لهم ويوم للنَّاقة؛ كقوله: (قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ) [الشعراء:١٥٥]، فكانوا إذا غابتْ حضروا الماء، وإذا جاءتْ حضروا اللَّبن"[١]، أي قصدوا محل الشُّرب (الماء أو اللبن) أي (مُحْتَضَرٌ)، "فتمادوا على ذلك، ثم ملُّوهُ، فَهَمُّوا بالقتل، (فَنَادَوا صَاحِبَهُمْ) وهو قُدَارُ بْنُ سَالِفٍ ليقتلها، (فَتَعَاطَى) تناول السيف (فَعَقَرَ) به الناقة، أي قَتَلَهَا موافقة لهم"[٢].

- **الإدناء في خفاء، أو المُكث في مكان دون إعلام:**

قال تعالى: (... فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ) [الأحقاف:٢٩]، يقول الثعالبي: "أنَّ النَّبِي غ جاءه نفر من الجن دون أنْ يشعر بهم، وهم المُتجسِّسُون المتفرقون مِنْ أجل رجم الشُّهب الذي حلَّ بهم، وهؤلاء هم المراد بقوله: (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ...) [الجن:١]، ثم بعد ذلك وفد عليه وفدهم حسبما ورد في ذلك من الآثار. وقوله (نَفَرًا) يقتضي أنَّ المصروفين كانوا رجالًا لا أنثى فيهم"[٣]، وقوله (فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا) أي: حضروا الرسول غ وهو التفات مِنْ إليك إلى ضمير الغيب، (أَنْصِتُوا) فيه تأديب مع العلم وتعليم كيف يتعلم، فلما فرغ مِنْ تلاوة القرآن ومِنْ استماعهم، تفرقوا على البلاد يُنذِرون الجن، فما أسرع ما عقل القوم[٤].

يتضح مِنْ خلال العرض السابق، عدد من الاستنتاجات التحليليَّة يمكن الإشارة إليها فيما يلي:

- يتميز مفهوم الحضارة في القرآن بحضورٍ رفيع المستوى مِنْ حيثُ اشتقاقاته؛ فبالإضافة إلى وروده في ستةَ عشرَ موضعًا في أربعةٍ وعشرين مرةً، توزعتْ على ستَ عشرةَ سورةً مِن القرآن الكريم؛ فإنَّ النّصوص التي ورد بها تحمل دلالات عقديَّة وشعائريَّة واجتماعيَّة وتاريخيَّة وحضاريَّة، تُمَثِّلُ حقلًا دلاليًا متكامل المعاني.
- نسبة حضور لفظ الحضارة في القرآن المكيّ تفوق نسبة حضوره المدنيّ بـــ ثلاثةِ أضعاف، وهو ما يُفسّر الأبعاد العقديَّة والشعائريَّة والاجتماعيَّة والتاريخيَّة والحضاريَّة لمفهوم الحضارة في القرآن الكريم.

---

(١) تفسير ابن كثير: **مرجع سابق**، ج٧، ص٩٠-٩١
(٢) تفسير الجلالين: **مرجع سابق**، ج٢٧، ص٥٣٠
(٣) تفسير الثعالبي: **مرجع سابق**، ج٨، ص٦٧
(٤) أبو حيَّان الأندلسي: **مرجع سابق**، ج٨، ص٦٨

- مفهوم الحضارة القرآنيّ أعمق دلالة، يدل على الإقامة في المكان والسُّكْنَى، فلا معنى للحضارة دون استقرار وأمن وإقامة دائمة، بالسّعي في الأرض بالتّنقيب واستثمار الظاهر والباطن؛ لـ تهيئتها وتنميتها وجعلها أكثر صلاحيَة تنبض بالحياة؛ بتحريك الفواعل البشريَّة في سبيل ترسيخ قِيَم إنسانيّة مشتركة تُعَبِّر عن لُبِّ الحضارة.
- مفهوم الحضارة القرآنيّ يحمل معنى الكرامة، وهي التي "اختص الله بها الإنسان دون غيره، فهي حماية إلهيّة للإنسان تنطوي على احترام عقله وحريته وإرادته، وتنطوي أيضًا على حقه في الأمن على نفسه وماله وذريته"(١)؛ ولذلك كان الإنسان في قمة أهداف الحضارة في القرآن، تعبيرًا صادقًا عن إنسانيَّة الحضارة يحمل إنسانها دين الإنسانيَّة وقِيَمها؛ سموًّا بذاته ووعيًّا بمسئولياته، بما يليق بمكانته الوجوديَّة في الكون الذي يعيش فيه.
- مِنْ معاني الحضارة في القرآن: ما دلَّ على جمع الخلائق لساحة الفصل والجزاء؛ وهي مِنْ أخطر القضايا على الإطلاق، حيث انقسم البشر فيها على فريقيْن؛ فريق في الجنة بما عملوا وأحسنوا، وفريق في الجحيم ضلَّ سعيه؛ فهي (قضية إنسان المصير الأخرويّ)، وقد تحدَّث عنها القرآن كثيرًا، وتشير في كليتها إلى قضية إسلام الوجه والقلب والروح لله، بإقامة منهج الله في النفس والحياة والكون بموازين شريعته.
- ومِنْ معانيها مقدمات الموت ودواعيه وهي (قضية إنسان المصير الدنيويّ) مُقدِّمة للمعنى السابق؛ فمن منطلق إدراك الإطار المعرفيّ والمنهجيّ لمفهوم الحضارة، وفهم الآيات في وحدتها البنائيّة والموضوعيّة والسياقيّة بعيدًا عن النزعة التجزيئيّة؛ فإنَّ وحدة الإنسان مِن وحدة الأُمَّة، والأُمَّة جسد واحد محصلة مجموع أفرادها أعضاء هذا الكيان، والأُمَّة كالأفراد بين تقلبات الحياة وابتلاءاتها مِنْ صِحَّةٍ وما يعتريها مِنْ عِلَلٍ وأسقامٍ وموتٍ.
- ومن معانيها الإحاطة بقرائن الأدلة والشهود...، حيث تشير الآيات القرآنيَّة إلى أنَّ الله جلَّتْ قدرته قد أحاط بكل شيء علمًا: (لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينَ) [سبأ:٣]، وهذا المعنى يعمل على تربية القلب ورعاية الأخلاق في كَنَفِ الدّين، وهو مِنْ أقوى وسائل الاجتماع.

(١) محمود حمدي زقزوق: **الإنسان والقيم في التصور الإسلامي**، مرجع سابق، ص٢٢-٢٣

- ومن معانيها جفاء المودة عن رداءة خلق...، ما يدل على البُعد الخُلقي في الحضارة؛ لأنَّ الأديان السماويَّة تتفق على الفضائل وتحارب الرذائل، علاوةً أنَّ الإنسان كائن أخلاقيّ لديه بالفطرة ضمير يلزمه بالسلوك الأخلاقيّ.
- مفهوم الحضارة القرآنيّ مفهوم أُمَّتِيّ؛ أي الخطاب الموجّه للفرد هو خطاب للأُمَّة، إلا إذا وُجِدَتْ قرينة تصرفه.
- كما دلَّ مفهوم الحضارة في القرآن الكريم على جملةٍ مِنْ المعاني – سالفة الذِّكر– كلها تحمل دلالات لها أبعاد متنوعة منها: الاجتماعيّة والأخلاقيّة والاسترتيجيّة [العسكريّة] والسياسيّة والتعليميّة والعمرانيّة والحضاريّة والاستخلافيّة والتسخيريّة والعقائديّة والشعائريّة.. وكلها متعلقة بـ (الإنسان) تعلقًا بينًا واضحًا للغاية.

٣. الحضارة في السُّنة النبويَّة:

لفظ "الحضارة" لم تردْ في السُّنة النبويَّة المُطهَّرة؛ ولكن وردتْ اشتقاقاتها بمعانٍ مختلفة على النحو التالي:

- **صدق الطلب مع شدة الالتزام المقرون بالملازمة أو المصاحبة:**

عن أَبِي هُرَيْرَةَ س قَالَ: إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ: أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَلَوْلَا آيَتَانِ فِي كِتَابِ اللهِ مَا حَدَّثْتُ حَدِيثًا ثُمَّ يَتْلُو: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ) إِلَى قَوْلِهِ: (الرَّحِيمُ) [البقرة: ١٥٩–١٦٠]، إِنَّ إِخْوَانَنَا مِنْ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمْ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ، وَإِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلَهُمْ الْعَمَلُ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَإِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَلْزَمُ رَسُولَ اللهِ –س– بِشِبَعِ بَطْنِهِ، وَيَحْضُرُ مَا لَا يَحْضُرُونَ، وَيَحْفَظُ مَا لَا يَحْفَظُونَ[١].

- **أهل الأمصار ومساكن الدّيار، أو مَنْ يأتي الحضر لتعاطي البيع والشراء:**

عن عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ش قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ غ: "لَا تَلَقَّوْا الرُّكْبَانَ، وَلَا يَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ" قَالَ: فَقُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: مَا قَوْلُهُ: لَا يَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ؟ قَالَ: لَا يَكُونُ لَهُ سِمْسَارًا[٢]. قوله: "لَا يَكُونُ لَهُ سِمْسَارًا"؛ هو في الأصل القَيِّم بالأمر والحافظ له، ثم استعمل في مُتَوَلِّي البيع والشراء لغيره... والحديث فُسِّرَ بأنَّ المراد؛ نهي الحاضر أنْ يبيعَ للبادي في زمن

(١) البخاري: **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب العلم (٣)، باب ٤٢، حديث (١١٨، ٢٣٥٠)، ج١، ج٥، ص٣١٣، ٤٠-٤١.

(٢) البخاري: **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب البيوع (٣٤)، باب ٦٨ هل يبيع حاضر لباد بغير أجر، حديث رقم (٢١٥٨، ٢١٥٩...)، ج٤، ص٥٢٧، ٥٢٩

الغلاء شيئًا يحتاج إليه أهل البلد. وصورته أنْ يجيء البلد غريب بسلعته يريد بيعها بسعرِ الوقت في الحال، فيأتيه بلدي فيقول له: ضعه عندي لأبيعه لك على التَّدريج بأغلى مِنْ هذا السعر... [١]. وهو مِن البيوع المحرَّمة في الشريعة لما فيه مِن الاحتكار والاستغلال والإضرار العام بالتَّضييق على الناس.

- **الإقامة الدائمة نقيض التنقل والترحال أو السفر:**

عن عُرْوَةَ س عَنْ عَائِشَةَ ك قَالَتْ: "الصَّلاةُ أَوَّلُ مَا فُرِضَتْ رَكْعَتَيْنِ فَأُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ، وَأُتِمَّتْ صَلَاةُ الْحَضَرِ"[٢]. يقول ابن حجر: "استُدِل بقولها "فُرِضَتْ رَكْعَتَيْنِ" على أنَّ صلاة المسافر لا تجوز إلّا مقصورة، ورُدَّ بأنه مُعارض بقوله: (فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا)، ولأنّه دال على أنَّ الأصل الإتمام، ومنهم مَنْ حمل قولها "فُرِضَتْ" أي قُدِّرتْ. قال الطبري: أنَّ المسافر إذا اختار القَصْرَ فهو فرضه، ومِنْ أدل دليل على تعين تأويل حديث عائشة كونها كانت تتم في السَّفر... يقول ابن حجر: تأولتْ أنَّ القصر رخصة، وأنَّ الإتمام لمن لا يشق عليه أفضل"[٣].

- **اختلاف المذاهب حال التقاضي، أو مشروعية بيان ما استقر عليه الحال:**

عن زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ س قَالَ: كَانَ النَّاسُ فِي عَهْدِ رَسُولُ اللهِ غ يَتَبَايَعُونَ الثِّمَارَ فَإِذَا جَذَّ النَّاسُ وَحَضَرَ تَقَاضِيهِمْ قَالَ الْمُبْتَاعُ: إِنَّهُ أَصَابَ الثَّمَرَ الدُّمَّانُ، أَصَابَهُ مَرَضٌ أَصَابَهُ قُشَامٌ عَاهَاتٌ يَحْتَجُّونَ بِهَا... [٤]، قال ابن حجر: "جذ من الجذاذ، والجذاذ صرام النخل وهو قطع ثمرتها وأخذها مِن الشجر، المعنى: قطعوا ثمرة النخل، أي: استحق الثمر القطع. و(الدُّمَّانُ، وقُشَامٌ، وعَاهَاتٌ) كلها عيوب في الثمر مِنْ فسادِ الطَّلعِ وتعفنه وسواده، أو انتقاص ثمر النخل قبل أنْ يصير بلحًا، أو عيوب وآفات"[٥]. ومنه ما جاء عن الْبَرَاءِ س قَالَ: كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ غ إِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَائِمًا فَحَضَرَ الْإِفْطَارُ فَنَامَ قَبْلَ أَنْ يُفْطِرَ لَمْ يَأْكُلْ لَيْلَتَهُ وَلَا يَوْمُهُ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنَّ قَيْسَ بْنِ صِرْمَةَ

---

(١) العسقلاني: **فتح الباري**، مرجع سابق، كتاب البيوع (٣٤)، باب ٦٨ هل يبيع حاضر لباد بغير أجر وهل يعينه أو ينصحه، حديث (٢١٥٨) ، ج٤، ص٥٢٧

(٢) البخاري: **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب تقصير الصلاة (١٨)، باب ٥ يقصر إذا خرج من موضعه، حديث رقم (١٠٩٠) ، ج٢، ص٨١٠

(٣) العسقلاني: **فتح الباري**، مرجع سابق، كتاب تقصير الصلاة (١٨)، باب ٥ يقصر إذا خرج من موضعه، حديث رقم (١٠٩٠) ، ج٢، ص٨١١

(٤) البخاري: **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب البيوع (٣٤)، باب ٨٥ بيع الثمار قبل أن يبدو صلاحها، حديث رقم (٢١٩٣) ، ج٤، ص٥٦١

(٥) العسقلاني: **فتح الباري**، مرجع سابق، كتاب البيوع (٣٤)، باب ٨٥ بيع الثمار قبل أن يبدو صلاحها، حديث رقم (٢١٩٣) ، ج٤، ص٥٦٢-٥٦٣

صِرْمَةَ الْأَنْصَارِيَّ كَانَ صَائِمًا، فَلَمَّا حَضَرَ الْإِفْطَارُ أَتَى امْرَأَتَهُ فَقَالَ لَهَا: أَعِنْدَكِ طَعَامًا؟ قَالتْ: لَـا، وَلَكِنْ أَنْطَلِقُ فَأَطْلُبُ لَكَ... الحديث[1]. يُؤخَذ مِنْ حاصلِ ما استقر عليه الحال مشروعيَّة السُّحور؛ لأنَّ الحكم كان على وِفْقِ ما كُتِبَ على أهل الكتاب...، أنْ لا يأكلوا ولا يشربوا ولا ينكحوا بعد النوم، وكتب على المسلمين أولًا مثل ذلك حتى أقبل رجل مِن الأنصار" فذكر القصة، ويؤيد هذا ما أخرجه مسلم مرفوعًا "فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السَّحَر"[2].

يتضح من خلال العرض السابق، عدد النقاط التحليليَّة يمكن الإشارة إليها فيما يلي:

- مفهوم الحضارة في السُّنة النبويَّة له حضور مهم مِنْ حيثُ اشتقاقاته؛ ولكنّه حضور محدود ليس كحضوره في اللغة والقرآن الكريم مِنْ حيثُ ثراء المعاني والاستعمالات والتَّوظيفات.
- لفظة الحضارة في السُّنة وردتْ باشتقاقاتها، فجاءتْ على صور المضارع المفرد المذكر والمؤنث والجمع المذكر، مثل: (يَحْضُرُ، تَحْضُرُ، يَحْضُرُونَ)، وعلى اسم المصدر: (الْحَضَرِ)، وعلى اسم الفاعل: (حَاضِرٌ)، وعلى صورة الماضي المفرد المذكر والمؤنث، مثل: (حَضَرَ، فَحَضَرَ، فَحَضَرَتْ، وَحَضَرَتْ).
- دلَّ مفهوم الحضارة في السُّنة النبويَّة على سياقاتٍ متنوعة مثل: السِّياق التّحذيريّ (النّهي عن بيع الحاضر للباديّ، وعن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها)، والتَّعبديَ والشعائريّ، والاجتماعيّ وهو ما يدل عليه البُعد التَّعليميّ والاقتصاديّ، والسّياق الجغرافيّ والتّاريخيّ وهو ما يدل عليه البُعد الزمانيّ والبُعد المكانيّ.
- هناك ألفاظ في السُّنة النبويَّة تأتي على معنى الحضور والشهود الذي ينافي المغيب والغيبة، مثل: ألفاظ الشهود والمشاهدة: (شَاهِدٌ، يَشْهَدُ، شَهِدْتُهُ، شَهِدَهُ)* أي: حَاضِرٌ، يَحْضَرُ، حَضَرْتُهُ، حَضَرَهُ.

---

(١) البخاري: **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الصوم (٣٠)، باب ١٥ قول الله: "أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ"، حديث رقم (١٩١٥) ، ج٤، ص١٨٥

(٢) العسقلاني: **فتح الباري**، مرجع سابق، كتاب الصوم (٣٠)، باب ١٥، حديث رقم (١٩١٥) ، ج٤، ص١٨٧

* على سبيل المثال: عن سَهْلِ أَخِي بَنِي سَاعِدَةَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ جَاءَ إِلَى النَّبِي صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا أَيَقْتُلُهُ؟ فَتَلَاعَنَا فِي الْمَسْجِدِ وَأَنَا **شَاهِدٌ**. أي: حاضر. وحديث آخر، عن عُبَيْدِ بْنِ حُنَيْنٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ عُمَرَ قَالَ: وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ إِذَا غَابَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم **وَشَهِدْتُهُ** أَتَيْتُهُ بِمَا يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَإِذَا غِبْتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، **وَشَهِدَهُ** أَتَانِي بِمَا يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم. فالشهادة هنا: أي الحضور.، يقول ابن حجر: (وَشَهِدَه) أي: "حضر ما يكون عند النَّبي صلى الله عليه وسلم ...". انظر:

- دلَّ مفهوم الحضارة في السُّنة النبويَّة على حضورٍ واضـــحٍ للأبعـــادِ الماديَّـــة، والزمانيَّـــة والمكانيّة، والتّعبديَّة والشّعائريَّة، والقيميَّة والأخلاقيَّة، والاجتماعيَّة، والجغرافيَّة والتاريخيَّـــة – على الرغم من محدوديته – إلا أنَّه عكس طبيعة المفهوم وتشغيله – وأيضًا– أكَّدَ علـــى طبيعته البنائيّة في صورته الكليّة الشّاملة.
- حضور البُعد الإنسانيّ بقوةٍ وفاعليَّةٍ في السُّنّة، إذ جاء على رأس أولويَّاتها كما هو على قمة أهداف القرآن؛ فَرَبْطُ الرؤيَة القرآنيّة بالنَّبويَّة في سياقاتهما وأبعادهمـــا المختلفـــة، تُعطـــي صورة تكامليّة شموليّة تتجاوز البُعد الماديّ البحت إلى فضاءاتٍ أوسع رحبة، تدفع بالعقـــل المسلم دفعًا شديدًا نحو رؤية أوضح وتصوُّر تنظيميّ واقعيّ أشمل.

٤. الحضارة في التراث التربويّ الإسلاميّ:

يقتضي التأصيل الإسلاميّ الانتقال بالبحث للخطوة التالية، وهي دلالة المفهوم في التُّـــراث التَّربويّ الإسلاميّ. مفهوم الحضارة – حسب ما يبدو من مقدمة ابن خلدون – أنها وَرَدَتْ بلفظتها واشتقاقاتها المتنوعة، واشتملتْ على جملةٍ من المعاني والمضامين لم تختلف عما جاء في اللغـــة والقرآن الكريم والسُّنة النبويَّة، فمن دلالتها:

- **الإقامة الدائمة في المكان (مدن وقرى)، أو أهل الأمصار ومساكن الديار:**

تَصَدَّر الكتاب الأول بعنوان: "في طبيعة العمران في الخليقة، وما يعرض فيها من البـــدو، والحضر.."[1] وهذه تفرقة متقدمة تسبق حديثه عن البداوة والحضر والعمران، فالحضر: هم أهل البلدان المقيمين داخل المدن أو القرى، حتى صارت هناك حياة متكاملة وشبكة علاقات مجتمعيّـــة وروابط تقوم على المصالح المشتركة ودفع الضَّرر. هناك ألفاظ اشتقَّتْ مِنْ معنى الحضارة مثل: الحضر، والحاضرة، والحواضر؛ كدلالة على أهل الأمصار والمساكن المقيمين بها، يقـــول: "... فتجد لأهل الأندلس من ذكاء العقول، وخفة الأجسام، وقبول التَّعليم ما لا يوجد لغيرهم، وكذا أهل الضَّواحي مِن المغرب بالجملة مع أهل الحضر والأمصار– وبنفس الموضع– واعلم أنَّ أثر هذا الخصب في البدن وأحواله يظهر حتى في حال الدين، والعبادة فنجد المتقشفين من أهل البادية، أو

- البخاري: **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الأحكام (٣٤)، باب ١٨ من قضى ولاعن في المسجد، حديث رقم (٧١٦٦) ، ج١٣، ص٢٢١
- البخاري: **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب أخبار الآحاد (٩٥)، باب ٩٥ ما جاء في خبر الواحد الصدوق، حديث رقم (٧٢٥٦) ، ج١٣، ص٣٣١.

(١) عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة (القاهرة: مكتبة غرناطة للطبع والنشر بالمنصورة ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م) ص٢٨، والفصل الثلاثون في الباب الخامس: ص٣٢٦، ٣٢٧.

الحاضرة ممن يأخذ نفسه بالجوع، والتجافي عن الملاذ أحسن دينًا، وإقبالًا على العبادة من أهل الترف والخصب..."[١].

- **نزعة التحضُّر الإنسانيّ، أو تفاوت أحوال (الأفراد والمجتمعات) حسب العوائد والتَّرف:**

مشهود لأهل البادية بالسَّبق في أصل العمران، يقول: "البدو أصل للمدن والحضر وسابق عليها؛ لأنَّ أول مطالب الإنسان الضَّروريّ"، وقوله: "كل واحد مِن البدو والحضر مُتفاوت الأحوال مِنْ جِنسه فَرُبَّ حَيٍّ أعظمَ مِنْ حَيٍّ، وقبيلة أعظم مِنْ قبيلة، ومِصر أوسع مِنْ مصر"[٢]، ويقول: "طبيعة المُلك تقتضي الدِّعة، وإذا اتخذوا الدعة والراحة مَألَفًا وخُلقًا، صار لهم طبيعة وجِبِلَّة شأن العوائد... فَتُرَبَّيَ أجيالهم الحادثة في غضارة العيش... وينقلب خلق التوحُّش وينسون عوائد البداوة... فلا يفرق بينهم وبين السُّوقة مِن الحضر إلا في الثقافة والشارة، فتضعف حمايتهم"[٣].

- **العمران بشقيه الماديّ والمعنويّ:**

قد تُطلق لفظ الحضارة ويراد بها العمران، كقوله: "... رجع الناس إلى الحضارة وخلق الانقياد إلى الأحكام، نقصت بذلك سورة البأس فيهم، ولهذا كانت هذه الأحكام السلطانيَّة والتعليميَّة، مما تؤثر في أهل الحواضر في ضعف نفوسهم"[٤]، ومِنْ تضمينات معنى الحضارة في بعدها العمران الماديّ: أنَّ "الحضارة هي التّفنن في التّرف، وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه، ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفُرُش والأبنية..."[٥]، وقوله: "وعلى قدر عِظَم الدولة يكون شأنها في الحضارة؛ إذ أمور الحضارة مِنْ توابعِ التَّرفِ، والتَّرفُ مِنْ توابعِ الثَّروةِ والنِّعمةِ، والثروةُ والنِّعمةُ مِنْ توابعِ المُلكِ... فاعتبره، وتفهمه، وتأمله تجده صحيحًا في العمران"[٦]. ومِنْ آثارها المترتبة على النَّاشِئة، قوله: "... فإذا استفحل العزَّ والغَلَبَ، وتوفرت النِّعم والأرزاق بدرور الجبايات، وزخر بحر التَّرف والحضارة، ونشأتْ الأجيال باعتبار ذلك لطفتْ أخلاق الحامية، ورقتْ حواشيهم، وعاد مِنْ ذلك إلى نفوسهم هيئات الجُبْنِ والكَسلِ، بما

---

(١) ابن خلدون: **مرجع السابق**، ص٧١-٧٢
(٢) **المرجع السابق**: ص٩٧-٩٨
(٣) **المرجع السابق**: ص ١٣٤
(٤) **المرجع السابق**: ص١٠١
(٥) **المرجع السابق**: ص١٣٦-١٣٧
(٦) ابن خلدون: **مرجع السابق**، ص١٣٦، ١٣٩

يُعانونه مِنْ خِنْث الحضارة المؤدي إلى الانسلاخ مِنْ شعار البأس والرُّجولة بمفارقة البداوة وخشونتها" (١).

- **الحضور والشُّهود نقيض المغيب والغيبة، أو الإقدام على أمر حاسم:**

يقول عن الاعتناء بعلوم التَّفسير وتدوينه حتى صار صناعة متخصصة وعلمًا منفردًا له أعلامه، وكذلك القراءات: "... وكان معتنيًا بهذا الفن مِنْ بين فنون القرآن – مُجاهد– لما أخذه به مولاه المنصور بن أبي عامر، واجتهد في تعليمه، وعرضه على مَنْ كان مِنْ أئمةِ القرَّاءِ بحضرته..." أي: بشهوده وشهادته. وفي حديثه عن مرتبة التَّصديق الإيمانيّ بالقلوب والاعتقاد في النفس مع الإقرار وأنه النجاة عند قدوم الموت، قال: "اعلم أنَّ الشَّارع قد أمرنا بالإيمان بهذا الخالِق الذي رد الأفعال كلها إليه، وأفرده به، وعرفنا أنَّ في هذا الإيمان نجاتنا عند الموت إذا حضرنا..."(٢).

- **المدينة التي يقيم فيها رجال السلطان/ الحكومة، أو القريبة منه:**

يقول: "أما في دولة التُّرك بالمشرق فيسمون هذا – أي الحاجب– الذي يقف بالناس على حدود الآداب في اللقاء، والتَّحِية في مجالس السُّلطان، والتقدُّم بالوفود بين يديه الدِّويدار، ويُضيفون إليه استتباع كاتب السِّر، وأصحاب البريد المتصرفين في حاجات السلطان بالقاصية وبالحاضرة..."(٣)، أي المُتصرِّفون بأعمال الدولة – مِنْ جهة السلطان– في أقاصي البلاد البعيدة والقريبة منه، وهذا لن يكون إلا عن إقامةٍ تُمكِّنه مِنْ أداء عمله وفرض سيطرته. وجاءتْ بصيغة حاضرة، أي القريبة مِن البحر، أو المدينة المبنية بمحاذاتها: "أنَّ المدينة إذا كانت حاضرة البحر، ولم يكن بساحتها عمران للقبائل...، وسهل طروقها في الأساطيل البحريَّة على عدوها، وتحيفه لها لما يأمن مِنْ وجود الصّريخ لها"(٤).

- **الوقت وامتداداته، أو أطوار الآدميّ:**

تدل أحد مشتقات لفظ الحضارة على معنى الزمن، في قوله: "... ولا يتشعب النَّسل في أحد عشر من الولد إلى مثل هذا العدد الذي زعموه، اللهم إلا المئين والآلاف، فربما يكون، وإما أنْ يتجاوز إلى ما بعدهما من عقود الأعداد فبعيد، واعتبر ذلك في الحاضر المشاهد، والقريب

---

(١) **المرجع السابق**: ص٢٣١
(٢) **المرجع السابق**: ص٣٦١
(٣) **المرجع السابق**: ص١٨٧
(٤) **المرجع السابق**: ص ٢٧٢

المعروف..." [1]، وقوله في أحد أوجه طور الآدمي: "اعلم أنَّ العالم البشريّ أشرف العوالم مِن الموجودات وأرفعها وهو وإنْ اتحدتْ حقيقة الإنسانيَّة فيه فلَهُ أطوار يُخالف كل واحد منها الآخر بأحوال تختص به حتى كأن الحقائق فيها مختلفة، فالطور الأول: عالمه الجسمانيّ بحسه الظاهر، وفكره المعاشيّ، وسائر تصرفاته التي أعطاه إياها وجوده الحاضر..." [2].

- **الإلهامات الكشفيَّة، أو الحقيقة المدركة في عالم الحِسِّ:**

جاء الفصل السابع عشر في علم التصوف، حيث قدم ابن خلدون تفصيلًا وتحقيقًا طيبًا في عِلم القوم، وبيان مذهب أهل الاستقامة، وقد وردتْ الحضارة بلفظ (الحضرة والحضرات): وهما هنا تختصان بالحقيقة الروحيَّة مِنْ عالَم الغيب، المعبر عنها بكشف حجاب الحس أو الإلهامات الكشفيَّة، عن طريق "إماتة القوى الحِسيَّة، وتغذية الروح العاقل بالذِّكر"[3]، في قوله: "... وهذا الكمال في الايجاد المتنزل في الوجود وتفصيل الحقائق، وهو عندهم عالم المعاني، والحضرة الكماليَّة، والحقيقة المحمديَّة...، ويصدر عنْ هذه الحقائق حقائق أخرى في الحضرة الهبائيَّة، وهى مرتبة المثال....، في عالم الرَّتق، فإذا تجلَّتْ فهي في عالم الفتق، ويسمى هذا المذهب مذهب أهل التَّجلي والمظاهر والحضرات...، وربما أُنكِر بظاهر الشرع"[4]. وقد وردتْ أيضًا بلفظا (حاضر وحضور)، فيمن تكلَّم بلسان الغيبيَّات بكامل القوى الحسيَّة، أو بالحقيقة الواعية المدركة في عالَم الحِسِّ، في قوله: "وأما الألفاظ الموهمة التي يعبرون عنها بالشَّطحات، ويؤاخذهم بها أهل الشرع، فاعلم أنَّ الإنصاف في شأن القوم أنهم أهل غيبة عن الحِسِّ، والواردات تملكهم حتى ينطقوا عنها بما لا يقصدونه...، وأما مَنْ تكلَّمَ بمثلها وهو حاضر في حِسِّه، ولم يملكه فمؤاخذ، ولهذا أفتى الفقهاء وأكابر المتصوفة بقتل الحلاج؛ لأنه تكلم في حضور، وهو مالك لحاله"[5].

- **الاجتماع على غرض ما والتباحث فيه، أو طلب المؤانسة والمسامرة:**

ويعبّر ابن خلدون عما يدور بمجالس القوم وما يتناولونه من ألوان وأغراض وما يدور حوله من مسائل أو مسامرات، قائلًا: "... سمعتُ أبا الحسن بن مالك يقول: إنّه دخل علَيَّ ابن زهر، وقد أسن وعليه زي البادية؛ إذ كان يسكن بحصن سبتة فلم يعرفه فجلس حيث انتهى به

(١) **المرجع السابق**: ص٩
(٢) ابن خلدون: **مرجع السابق**، ص٣١٠،٣٧٣.
(٣) **المرجع السابق**: ص٣٧٧-٣٧٨
(٤) **المرجع السابق**: ص٣٨٢، ٣٨٠، ٤٤٦،٤٣٤،٣٨٦.
(٥) **المرجع السابق**: ص٣٨٤

المجلس، وجرتْ المحاضرة فأنشد لنفسه موشَّحة...، فتحرك ابن زهر، وقال: أنت تقول هذا؟ قال: اختبر! قال: ومَنْ تكون؟ فعرفه..." (١).

يتضح من خلال العرض السابق، عدد من الإشارات الاستنتاجات التحليليَّة، منها ما يلي:

- ارتبط مفهوم الحضارة عند ابن خلدون بالجانب الماديّ، أو صورة الحضارة تميل إلى الجانب السلبيّ بربطها بالتَّرَف والرَّفَه وغاية التأنق، على الرغم أنَّ "العمران الحق سواء كان عمران البادية أو عمران الحضارة هو العمران القائم على طاعة الله تعالى والإخلاص في عبادته، وفعل الإصلاح في الأرض بصوره وحالاته، من حريّة وعدل ومساواة، ولن يدوم عمران يقوم على الفساد والظلم (الأعراف:٩٦)" (٢).
- استطاع ابن خلدون تأسيس علم يقوم على النَّزعة الإنسانيَّة والرؤية المقاصديَّة، وجعل منه ضرورة إنسانيَّة واجتماعيَّة يقوم على المصالح المشتركة والتّعاون وتبادل المنافع ودفع الضَّرر، فيقول: "وكأن هذا علم مستقل بنفسه؛ فإنه ذو موضوع (العمران البشريّ والاجتماع الإنسانيّ)، وذو مسائل؛ وهي بيان ما يلحقه مِنْ العوارض والأحوال لذاته واحدة بعد أخرى..م. وأنَّ الناس محتاجون إلى العبارة عن المقاصد بطبيعة التّعاون والاجتماع، مثل ما يذكره الفقهاء في تعليل الأحكام بالمقاصد في الزنا مخلط للأنساب مفسد للنوع، وأنَّ القتل مفسد للنوع، وأنَّ الظلم مؤذن بخراب العمران المُفضي لفساد النوع...، فإنها كلها مَبْنِيَّة على المحافظة على العمران"(٣).
- ثراء الاشتقاقات دَلَّ على صفوة المفهوم وجوهريَّة المضمون، بأنَّ قيمته الحقيقيَّة في مدى تحقيق الصَّلاح والإصلاح والاجتماع والخير والأمن والاستقرار والنَّماء والكفاية والتكافل والتعاون والمشاركة والفاعليّة والانتاجيّة المجتمعيّة، وليست قيمته باعتبارات أخرى كالانجاز الماديّ كما هو الحال في مقياس الحضارة الغربيَّة المعاصرة.
- فَرَّق بين الحضارة والعمران وجعل مِن الأخيرة نمط حياة يعيشها المجتمع البشريّ، وهذا "أقرب إلى الدلالات المباشرة لآيات الاستخلاف والتَّمكين في القرآن التي تجعل العمران هو المقصد العام مِنْ مقاصدِ الحَقِّ مِن الخَلقِ، يدور مع المجتمع البشريّ حيث دار،

---

(١) **المرجع السابق**: ص٤٩٧

(٢) فتحي حسن ملكاوي: **منظومة القيم العُليَا: التوحيد والتزكية والعمران** (عمّان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠١٣م) ص١٥٨

(٣) ابن خلدون: **مرجع سابق**، ص٣٠-٣١

ويتحقق بصورة مستقلة عن المستوى الحضاريّ، فليس ضروريًّا أنْ يرتبطَ معنى العمران بالتّقدم الماديّ والتطور التِّقانيّ، الذين يترقيان بالمجتمع مع ترقيه في مراتب الحضارة"[١].

- قرَّر ابن خلدون ضرورة البُعد السُّنني والقوانين التي تُسَيِّرُ الطبائع البشريَّة وتحكم الوقائع العمليَّة، وهي سنة الله الإلهيّة التي تتجلى في آيات الله الكونيَّة والتي يخضع لها كل العوالم، وهي أكثر التّعابير تكرارًا، منها: (سنة الله في خلقه، والله يصرف الأمور كيف يشاء)؛ "فمثل هذه العبارات وما شابهها ليست عبارات بركة؛ ولكنها عبارات منهجيَّة تُدرك محدوديَّة الفهم الإنسانيّ على الرغم مِنْ إفراغ الجهد في بيان مقتضياته"[٢].

٥. الحضارة في الفكر التربويّ الإسلاميّ المعاصر:

تباينتْ وِجْهَات النَّظر في تحديد مفهوم الحضارة، ونظرًا لتعدُّدِ مفاهيمها في الكتابات التربويَّة العربيّة وتنوع منطلقاتها ورؤاها الحاكمة الذي ينطلق منها كل باحث، كان مِن العسير تناول جُلَّ ما ورد بها من تعريفات؛ ولكن في الاكتفاء ببعضها، يكفي لتوضيح غرض الفكرة، وتظهر أهمية تأصيل مفهوم الحضارة من المنظور الإسلاميّ.

- **تعريف فتحي حسن ملكاوي:**

الحضارة "هي جملة مِن المبادئ التي تحكم سلوك الناس في المجتمع وإنجازاتهم الثقافيَّة والماديَّة"[٣]. قد استطاع ملكاوي أنْ يضعَ تصورًا عامًّا للحضارة، يُحدد فيه ملامح المجتمعات التي تحكمها مجموعة من القِيَم والمعايير الضّابطة، هذه القِيَم أو المبادئ يظهر أثرها على مستويين: على مستوى ضبط السلوك الفرديّ والإرادة المجتمعيَّة كمؤشر يتجه على معنى الحضارة، وعلى مستوى الفكر النّظريّ والمُنجزات الماديَّة، وهذا يجعل الحضارة تحمل معنى قِيَميًّا أو مكونات معنويَّة قيميَّة في رؤية كلية حول العلاقة بين المباديء والقِيَم وفعاليتها وبين قدراتِ الانجازِ والتَّنافسِ في صناعة الأفعال على متجه الحضارة. هذه هي في مفهومها الاصطلاحي العام المعاصر التي تقوم على إنجازات العقل البشريّ والمنهج العلميّ التَّجريبيّ؛ ولكن دلالات الحضارة في رؤية العالَم الإسلاميّة التي تتصف بالكمال والانسجام، في تحديد ملكاوي – في موضع آخر– "لا بد أنْ تجمعَ بين البُعد المعنويّ الذي يعني بالمبادئ الفكريّة،

---

(١) **المرجع السابق**: ص١٥٧

(٢) مازن هاشم: **مقاصد الشريعة الإسلامية: مدخل عمراني** (هرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤٣٥هـ) ص٢٨٦

(٣) فتحي حسن ملكاوي: **منظومة القيم العليا**، مرجع سابق، ص١٥٤

والنظم الإداريّة، والعلاقات الاجتماعيّة، والقِيَم الأخلاقيّة، من جهة؛ والبُعد الماديّ الذي يعني بالتّقدم العلمي، والتّطور التقاني، والعمران المدني، من جهة أخرى. وهذا يتطلب بالضرورة فقه السُّنن والنواميس والقوانين التي تُسَيّر الطبائع البشريّة وتحكم الوقائع العمليّة، وأنَّ مقياسَ الحضارةِ في الرؤية الإسلاميّة وهو الجمع بين الرؤيتيْن"(١).

- **تعريف محمد البهي:**

الحضارة: "بناء إنسانيّ، يرتفع فوق الأنانية وفوق البيئة الخاصة وفوق الشَّعب وفوق الجيل، ويُعاصر الأزمان كلها، ويُلائم الناس جميعًا فيما لهم مِنْ معانٍ وقِيَم إنسانيَّة"(٢)، وأيضًا هي "كل عمل أو إنتاج تتمثل فيه الخصائص الإنسانيَّة الفكريَّة والوجدانيَّة والسلوكيَّة"(٣). تَمَيَّز المفهوم عند البهي بِبُعْدَيْهِ (المعنويّ والماديّ) المُعَبَّر عنه بالخصائص الإنسانيَّة إجمالًا، والفكريَّة والوجدانيَّة والسلوكيَّة تفصيلًا، جاعلًا نقطة الارتكاز هو البُعد المعنويّ ثم يأتي البُعد الماديّ عاكسًا لطبيعة بعض جوانبها أو يكون نتيجة لجميعها، فيقول: "وبتحديد الحضارة بهذا المفهوم تعتبر الفلسفة والعلم والدين والفن والأدب والأخلاق مِنْ جوانب الحضارة، والمجتمع الحضاريّ، إذن هو ما له هذه الجوانب التي تعبّر عن الحضارة، والإنسان الحضاريّ بالتالي هو الذي له إنتاج في أي مِنْ هذه الجوانب، والحضارة الإنسانيَّة بعد ذلك ليست إنتاجًا ماديًّا؛ ولكن الإنتاج الماديّ قد يكون انعكاسًا أو نتيجة لبعض جوانب الحضارة أو لهما جميعًا"(٤)، أي أنَّ علامةَ حضاريَّةَ هذه الجوانب مِن الإنتاج الإنسانيّ لكي توصف بالحضارة الإنسانيَّة؛ يتوقف عليها أنْ يكون طابعها الإنسانيّ عامًّا وليس نسبيًّا، وهي قِيَم تعلو الأفراد كأفراد، وقوانينها للكل وليست للبعض دون البعض، بأنْ يتحول الإنسان إلى كائن اجتماعيّ بالفعل في تفكيره ووجدانه وسلوكه إلى عضو في المجتمع يسهم بما يملك مِنْ طاقات إنسانيَّة في أهدافه والتزماته، حتى تسود الإنسانيَّة في أوضح صورها في السّلوك العمليّ الفرديّ والجماعيّ.

---

(١) فتحي حسن ملكاوي: **منظومة القيم العليا**، مرجع سابق، ص ١٥٥
(٢) محمد البهي: **الدين والحضارة الإنسانية** (القاهرة: دار الجمهورية للصحافة، ج١، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م) ص ١٩
(٣) **المرجع السابق**: ج١، ص٧
(٤) **نفس المرجع السابق**.

- **تعريف محمود حمدي زقزوق:**

هي "تحقيق المشيئة الإلهيَّة في عمارة الأرض ماديًّا ومعنويًّا"[1]. استطاع زقزوق وضع الحضارة في التَّصور الإسلاميّ بجعلها مرتبطة بالمشيئة الإلهيَّة، التي تقتضي أحكامه القَدَريَّة والتّكوينيَّة التي جرت بها عاداته في تمكين الخَلْقِ مِنْ إقامةِ العمرانِ توحيدًا لله واستخلافًا في الأرض وتسخيرًا للطبيعة، بعقيدة التكريم الإلهيّ له دون سائر المخلوق لِمَا حَبَاهُ عقلًا وحكمةً، وبصفته حامل للأمانة (التوحيد) رعايةً وحفظًا وأداءً وسعيًا وتوظيفًا وإثراءً لحقيقة الإيمان وتوجيهًا لفعاليات السلوك مِنْ أجل بناء خير حضارة إنسانيَّة، وهذه نقلة تقدميَّة يشارك فيها بخصائصه الإنسانيَّة الفكريَّة والوجدانيَّة والتّصوريَّة والفنيَّة والسلوكيَّة وعلاقاته التعامليَّة مع الناس والأشياء مُتَجاوِزًا حَيِّزه الضيّق القَبَلِي الذي يقف عند قبيلة أو شعب أو جنس بعينه، إلى فضاء الإنسانيَّة الأوسع رحبة إلى الإنسان والشعوب أينما وُجِدُوا ومهما كان بينهم مِنْ فوارقِ اللونِ أو المكانِ أو الزمانِ أو العِرقِ أو اللغةِ أو المعتقدِ، تحقيقًا لقوله (هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) [هود:٦١]؛ هو خطاب إيمانيّ عالميّ للبشر يستوعب المسلمين وغيرهم، ويحتويهم لإقامة الحضارة وعمارة الأرض. وهنا يصبح الإسلام أيقونة الحضارة الإنسانيَّة، بقدر ما هو توجيه للبشريَّة كافة.

- **تعريف عبد الكريم بكار:**

الحضارة "تعني نوعًا مِن الامتزاج والتّفاعل بين العقائد، والتّصورات، والأخلاق، والنّظم الاجتماعيَّة، وما توفر من معطيات ثقافيَّة مع الخبرات الفنيَّة والعمليَّة؛ لينتج عن ذلك وفرة في عالم الأشياء، وسيطرة أكثر على الطبيعة، وخروج من حَيِّز الضَّرورات إلى الشعور بالتّأنق وتعدد الخيارات"[2]. يبدو بكار هنا متأثرًا بمفهوم الحضارة عند ابن خلدون حيث جعل الأخير الحضارة غاية العمران، غاية لا مزيد وراءها، وأنَّ التّرف والنِّعمة إذا حصلا لأهل العمران دعاهم بطبعه إلى مذاهب الحضارة بعوائدها، التي هي "التَّفنن في التّرف واستجادة أحواله والكلف بالصنائع التي تؤنق من أصنافه وسائر فنونه مِن الصنائع..."[3]، فالمسألة ليست صراعًا بين عالم الأشياء والأفكار– كما في الرؤية الغربية – بل استخلاف وتسخير؛ فالوسطية في "رؤية العالَم

---

(١) محمود زقزوق: **الإنسان والقيم في التَّصور الإسلامي**، مرجع سابق، ص٤٦

(٢) عبد الكريم بكار: **من أجل انطلاقة حضارية شاملة: أسس وأفكار في التراث والفكر والثقافة والاجتماع** (الرياض: دار المسلم للنشر والتوزيع، د ت) ص١٠

(٣) ابن خلدون: **مرجع سابق**، ص١٣٦، ٣٣٤

الإسلاميّة [إذ] لا تُقلّل مِنْ شأن الأشياء ولا تعاديه؛ لكنها لا تسمح له أنْ يستبد بحياة الإنسان والمجتمع، ويسقط مِنْ حسابه عالم القِيَم والأفكار التي تُسهم في تحقيق القدر المطلوب مِن التَّوازن، ويوظّف فيه الإنسان طاقاته في الإنتاج والبناء وتحقيق الحياة الكريمة، ويُوفر فيه متطلّبات السعادة النفسيَّة للفرد وعلاقات التَّعارف والتَّعاون والتَّكامل بين الأفراد والجماعات"[1].

من خلال العرض السابق، يمكن الإشارة إلى بعض الاستنتاجات التحليليَّة كما يأتي:

- العامل الرئيس والحاضر بفاعليَّة في منظومة الحضارة هو (الإنسان)؛ لأنه صانع الحضارة وهدفها، وأيضًا "المخلوق الوحيد الذي تتحقق فيه إرادة الله لا بالضرورة، بل بموافقة الإنسان الشخصيَّة نفسه، والوظائف الجسديَّة والنفسيَّة عنده مكمِّلة للطبيعة، وهي بهذا المعنى تخضع لما يحكمها مِنْ قوانين بالضَّرورة نفسها التي تخضع بها جميع المخلوقات الأخرى؛ لكن الوظائف الروحيَّة مثل: الفهم والعمل الأخلاقيّ، تقع خارج حدود الطبيعة المقررة، فهي تعتمد على صاحبها وتتبع قراره"[2]، وهذا تأكيد على البُعد الإنسانيّ السِّمة البارزة في التَّعاريف كلها.
- محل اتفاق حول (المجتمع): وهو المجموع الكليّ العام القائم على الأفراد، ومِنْ مظاهره: خُلُوَّهُ مِنْ آفاتِ المجتمعِ الحديث مثل: الفرديَّة والأنانيَّة، والتّخلف القِيَميّ والمُثل العليا، والعصبيَّة الجنسيَّة والعنصريَّة والإقليميَّة، الذي يَنْتُجُ عنه: التفرُّق والخِصام، والعداوة والبغضاء، أمَّا سِمة المجتمع الحضاريّ المنظور: فهو الطّابع الإنسانيّ العام دون أي فروقات، وشيوع روح التَّعاون والعمل والتَّفاعل والانتاج والمُنجزات الثقافيَّة غير الماديَّة والماديَّة، الذي يُعبر عنه بـ (السلوك الحضاريّ) العاكس لمنظومة القِيَم والمبادئ الحاكمة والنَّاظمة لأنماط الحياة البشريَّة.
- هناك اتفاق واضح على منظومةٍ مِن المعايير والمبادئ والقِيَم والضَّوابط التي تحكم نمط الحياة الإنسانيَّة، وأيضًا تعمل على توجيه وترشيد سلوك الفرد والمجموع أبناء المجتمع والمنتسبين إليه، سلوك يعكس دلالة واضحة منظومة المعايير والقِيَم والمبادئ والضَّوابط التي تسود في المجتمع؛ لإنجاز الفعل الحضاريّ.

---

(١) فتحي حسن ملكاوي: **منظومة القيم العليا: التوحيد والتزكية والعمران**، مرجع سابق، ص١٦٠

(٢) إسماعيل الفاروقي ولوس لمياء الفاروقي: **أطلس الحضارة الإسلامية** (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٩هـ) ص١٣٦

- تباين واضح في بناءِ التَّعاريف السابقة؛ هناك تركيز على الجانب المعنويّ أكثر مِن الماديّ عند البهي؛ لأنَّ الجانب الماديّ- عنده- يأتي لاحقًا عاكسًا طبيعة البُعد المعنويّ الذي قد تَأَسَّسَ عليه. وهناك تركيز على الجانب المعنويّ والماديّ إلا أنه يميل إلى الماديّ عند بكار، أبرزته جملة (... وفرة في عالم الأشياء، وسيطرة أكثر على الطبيعة)، وهناك تعاريف تنطلق مِنْ رؤيةِ العالَم الإسلاميّة أي التصور الإيمانيّ الجامع بين البُعديْن في ضوء السُّنة الإلهيَّة النّاظمة، لكِلا الأمريْن: التكوينيّ والتكليفيّ، ومنه "الاجتماع الإنسانيّ المحكوم، بقاعدة ربانيَّة تجري باطّراد وثبات وعموم في حياة البشر وكل حركة الوجود مُتغيرات محكومة بها"(١)، عند ملكاوي وزقزوق.

يتضح مِنْ ذلك أنَّ الهدف العام المشترك الذي يجمع كل التَّعاريف، هدف مقاصديّ (المصالح ودرء المفاسد)؛ والمصلحة قيمة خُلقِيَّة مثلها مثل المَنفعة في التّشريع الإسلاميّ، الذي يُراعي الإنسان وقدراته وعاداته وأعرافه؛ لأنه يقوم على مبدأ خُلقِيّ أصيل وهو (المصلحة)*، وغاية التَّشريع تحقيق المنفعة العامة الموضوعيّة، حتى لقد بلغ بابن عبد السلام أنه أَرْجَعَ الفقه كله إلى هذه القاعدة، كما حكاه السّيوطي في كتابه: (الأشباه والنظائر).

المحور الثالث: بعض التطبيقات التربويَّة للتأصيل الإسلاميّ لمفهوم التربية الحضاريَّة:

بعد العَرض السابق لخطوات التأصيل الإسلاميّ لمفهوم التربية الحضاريَّة، تأتي ضرورة الإشارة إلى بعض التَّطبيقات التربويَّة لهذه الرؤية الشموليَّة المتوازنة المتكاملة للتربية الحضاريَّة، عسى أنْ تُساهم في إيجاد نظام تربويّ متميز، يمكن أنْ ينتج أجيالًا تُساعد في خروج هذه الأُمَّة مِن كبوتها؛ لتشيد حضارة متميزة كتلك التي شيدها الأولون، بفضل النموذج العلميّ المنهجيّ العالميّ بمنابعه ومصادره، عالميًّا بتطوراته وامتداداته في إطار توجُّه أخلاقيّ مثاليّ عام، لم ينفصل العِلم عن القيمة. وفيما يلي إشارة إلى بعض المؤسسات التربويَّة التي ينبغي أنْ تعكس

---

(١) السيد عمر وأحمد فؤاد باشا: السُّنة الإلهيَّة بُنيانها وتجلياتها – **الكتاب رقم (١) من سلسلة العلوم التربويَّة الإسلاميَّة** (القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠١٩م) ص٥٣

* المقصود بـ (المصلحة) في الشريعة هي القائمة على أسس موضوعيّة، التي تحافظ على الضّرورات الخمس: الدّين والنفس والعقل والمال والنسل"، أما (المنفعة) في الشريعة هي القائمة على أسس موضوعيّة تراعي التوفيق بين مصالح الفرد والمجموع وهي عامة ومطلقة، وليست فرديّة وذاتية. انظر:

- محمد عبد المعز بطاوي: **فلسفة الأخلاق في الشريعة الإسلاميَّة: دراسة في علم قواعد الفقه** (عمَّان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠١٨م) ص٧٩-١٠٨

الرؤية الإسلاميَّة لمفهوم التربية الحضاريَّة، تحقيقًا لأهدافها (أهداف الغايات، وأهداف الوسائل) ومِنْ هذه المؤسسات:

(١) مؤسسة الأسرة:

كثيرًا ما يتردد على ألسنة العامة والخاصة مِنْ اجتماعيين وفلاسفة ومؤرخين ومفكِّرين بشكل عام قولهم أنَّ الأسرة هي الزوج والزوجة والأبناء، وقد يُضاف إليهم مَنْ يعولهم الابن مِنْ المقربين؛ كالوالد والوالدة والجد والأخت لظروف خاصة[١]، هذه الأسرة "أسمى مِنْ أنْ تكون مجرد وسيلة للإنجاب؛ كونها الخليَّة الاجتماعيَّة الأولى، تبنى بما تزرعه مِنْ بذورِ الحُبِّ والمودَّةِ بين الزوجيْن والأولاد، وبما تُضْفِي عليه مِنْ وسائل التَّعاون والتَّضامن بين أفرادها، وبما تهدف إليه مِنْ وحدةٍ مُتماسِكَةٍ لبناء المجتمع الكبير على أسس مِن الإخاء والتَّعاطف والنُّظم والقواعد يعرف كل فرد حقوقه وواجباته، إذ بمقدار ما يؤدي عضو الأسرة واجباته يكون استقرارها وثباتها ودوامها، كذلك الدولة التي تُحسِن اختيار نظام الأسرة تضمن لمجتمعها التَّرابط بين أفراده والتَّعاون في سبيل تكوين مجتمع أفضل"[٢]، بالتَّالي التَّعَرُّضَ لبناء الأسرة توهينًا وهدمًا يُصيبُ المجتمع كله؛ لأنَّ قوته مِنْ قوتها والعكس – بالإضافة إلى– دورها الرائد في تشكيل الفِكر والتوجُّه، وأهميتها الاجتماعيَّة الكبيرة في إشباع الإحساس الجماعيّ في الإنسان، ولذلك تقوم الأسرة بثلاث وظائف أساسيَّة: "إنجابهم وإمدادهم بالبِنْيَة الصالحة؛ لتحقيق حاجاتهم البيولوجيَّة والاجتماعيَّة والنفسيَّة، وإعدادهم للمشاركة في الحياة، وفي التعرُّف على قِيَمِها وعاداتها، كذلك إمدادهم بالوسائل التي تُهَيِّئ تكوين ذواتهم داخل المجتمع"[٣]؛ لذا كانت تنشئتهم تتطلب معرفةً نظريَّةً وعمليَّةً عن تطورهم ونموهم، ولأنَّ الآباء الجُدد يفتقرون إلى الخِبرة؛ فهم بحاجةٍ أنْ يتعلَّموا كيف يتعاملون مع الأبناء حتى قبل أنْ يكونوا أجنَّة في بطون أمهاتهم. ومِنْ هنا يتحدد دور مؤسسة الأسرة مِنْ خلال ثلاث مراحل رئيسيَّة، يتفرع عنها أسسًا تأسيسيَّة معياريَّة فيما يلي:

أ– المرحلة الأولى: نواة تأسيس إنسان التربية الحضاريَّة.

ب– المرحلة الثانية: تحقيق نموذج التَّوازن والاعتدال والوسطيَّة.

---

(١) السيد عمر وأحمد فؤاد باشا: **السُّنة الإلهيَّة بُنيانها وتجلياتها**، مرجع سابق، ص١١٤-١١٥

(٢) جمال محمد الهنيدي: **قراءات في علم اجتماعيات التربية** (القاهرة: مؤسسة أم القرى للنشر، ط٧، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م) ص١٤١

(٣) حنان عبد الحليم: "دور بعض الوسائط في تنمية وتأصيل القيم الأخلاقية لدى الشباب في ظل ملامح النظام العالمي" **مجلة كلية التربية**، المنصورة، العدد ٤٨، ٢٠٠٢، ص١١٦

ت- المرحلة الثالثة: الوعي التربويّ المنضبط في الانفتاح عند صناعة المستقبل.

- **المرحلة الأولى: نواة تأسيس إنسان التربية الحضاريَّة:**

تبدأ أُولى أدوار الأسرة مِنْ لحظة التفكير في تربية الأبناء قبل الزَّواج – أي لحظة إعداد الخليَّة الأولى (البيئة الطبيعيَّة الخاصة) التي سوف يترعرع في أحضانها الطفل، ويتغذَّى بعطفها وحنانها، وتمده بأول وأهم مبادئ التربية السليمة أي الأسرة؛ ولذلك وَجَّه الإسلام كُلًّا مِنهما إلى اختيار زواجيّ رشيدٍ على أساس الدين، مع مراعاة الشروط التأسيسيَّة المعياريَّة الأخرى، منها: الاختيار مِن البيئة الصَّالحة، وتفضيل الزوجة الولود، وتفضيل التَّباعد في الزواج، والخلو – لكلا الزوجيْن- مِن العجز أو النَّقص، و"تقارب المستوى الاجتماعيّ والاقتصاديّ والثقافيّ بشكل يُؤدِّي إلى التَّقارب الفكريّ، والتناسق الطَّبقيّ والانسجام لعدم التَّعالي أحد الطرفيْن على الآخر، وقُدرة الطرفيْن على تحقيق حالة مِن الرضا والإشباع المحترم والعادل بينهما، وتحقيق حالة مِن الأمان الزواجيّ"[(١)]، اللذان سيشاركان في مشروع تربية إنسان التربية الحضاريَّة، وبذلك يكون قد أُعِدَ للطفل القادم المُرَبَّى الذي سيُستقبَل عند قدومه، ويُبتدأ معه المرحلة الأولى في التربية، "فإنْ كان الاختيار مُوَفَّقًا مِن الجانبيْن سارت الحياة بينهما على نحو سوي في هدوء واتزان واستطاع الزَّوجان إقامةَ المحضنِ الآمنِ (البيئة الاجتماعيَّة الخاصة) وحمل أمانة تربيته بجدٍ وإخلاصٍ"[(٢)].

يقول (التوحيدي): "يجب على الرجل أنْ يستقبل عمره بولده، ليستمتع كل منهما بصاحبه، وأنْ يُمَهِّدَ له المعيشة، وأنْ يختار أمه واسمه ويُختِّنه ويُؤَدِّبه ولا يستأثر دونه، وأنْ يختارَ له زوجة صالحة ومعيشة جميلة كافية، وأنْ يكفيه العار وسوء الحديث"[(٣)]، وبذلك يكون كل زوج أو زوجة هما مشروع أم أو أب في المستقبل؛ "فالعمل معًا كفريق يتطلب أكثر مِن الحُبِّ والإخلاص، والمعرفة والمهارات والتوجُّهات الإيجابيَّة"[(٤)]. ومِن الطبيعيّ- بعد تَفَهُّم أصول

(١) محمد بيومي خليل: **مرجع سابق**، ج٢، ص١٧، للمزيد من التفصيلات، انظر:
- برنار لاهير: "ما تستطيع المدرسة أن تفعله قليلٌ جدًا: الطفولة مسرحًا للفوارق الطبقيَّة" – حوار: ماريون روسي – ترجمة: حياة لغليمي:، **مجلة الدوحة**، إدارة الإصدارات والترجمة بوزارة الثقافة والرياضة - قطر، السنة ١٢، العدد ١٤٦، ربيع الآخر ١٤٤١هـ/ ديسمبر ٢٠١٩م، ص١٢٦

(٢) أمل الكومي: مدى التزام الأسرة المصرية بالتوجيهات التربوية للقرآن في تربية الطفل (رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية التربية، جامعة المنصورة، ٢٠٠٢م) ص٣٠

(٣) ابن العديم الحلبي: **الدراري في ذِكر الذراري** – حققه علاء عبد الوهاب (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر، ١٤٠٤هـ) ص٥٠.

(٤) هشام الطالب وعبدالحميد أبو سليمان وعمر الطالب: **التربيَة الوالديَّة: رؤية منهجيَّة تطبيقيَّة في التربيَة الأسريَّة** (هرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠١٩م) ص١٣٣

العلاقات الزوجيَّة السليمة – أنْ يبدأ الزوجان التَّفكير في مرحلة (البناء) "وهذه لا تتأتَّى إلا بالمعاشرة الطيبة، والتي ينبغي أنْ تتوافر فيها مظاهر ثلاثة؛ حق قوامة الرجل، إكرام العشير وحسن رعايته، وحسن إتيان الرجل أهله"[١]، هذه المرحلة لها مِن الآثار التربويَّة الكثيرة، إذ هي مرحلة تتهيأ فيها الزوجة كي تصبح أُمًّا، تَتْبَعُهَا مرحلة "تهيئة الأم لحسن استقبال المولود، والإكثار مِنْ ذِكر الله تعالى، والدعاء له، وعقد العزم والنِّيَّة على أنْ تتعاهده بحسن الرعاية والتربية التي تنبثق مِنْ قواعد الدين"[٢]، هذه المرحلة "تعدُّ مِنْ أخطر المراحل التي تسبق نزول الولد؛ كونها تتم فيها تربية الفرد جنينًا مِنْ خلال سبع مراحل حددها القرآن (المؤمنون:١٤، والحج:٥)"[٣]، والتي تستدعى مِن الاهتمام الكثير مِنْ رعايةٍ نفسيَّةٍ وصحيَّةٍ واجتماعيَّةٍ لِمَا لها مِنْ آثارٍ وانعكاساتٍ على الأم وجنينها معًا.

و"لكل مرحلة مِنْ هذه المراحل أسسها التي ترتكز عليها وتستمد منها مبادئها ومقوماتها، كما أنَّ شروطها التي تكفل إذا ما تمَّ الأخذ بها تحقيق تربية صالحة للطفل في المستقبل"[٤]، ثم تأتي مرحلة ما بعد الميلاد (المهد)، وما "ينبغي أنْ تقوم به الأم في لحظة الميلاد ذاتها، وما يفعله المحيطون بها للطفل الوافد في أيامه الأولى؛ ما يتم في سني الرضاع التي قررها الشَّرع الحكيم للمولود مِنْ حيث أهمية الرضاعة، وطريقتها، ومتى الحاجة إلى مرضعة؟ وكيفيَّة تنظيفه وتهيئته للنوم وللمشي، ثم كيفية فطامه، حتى يتهيأ للدخول في مرحلة جديدة مِنْ عمره لها قواعدها التربويَّة والتأديبيَّة والتعليميَّة"[٥]. بالجملة: الإسلام حين يهتم بالحفاظ على حياة الطفل وصحته فهو يعني بقوة المسلمين، فهو يحتاج إلى أجسام فتية تجري في عروقها العافية، وهذا ينعكس بدوره على سلامة التَّفكير ورجاحة العقل، وهو أمانة بين يدي والديْه سيحاسبان عليه؛ فالقرآن حينما عَنِيَ بالتَّوجيهات التأسيسيَّة للوالدين، كان يعني بتمثُّل البناء الفكريّ التَّربويّ الإسلاميّ الذي

---

(١) مجدي صلاح المهدي: **فلسفة تربية الطفل بين الأصالة والمعاصرة** (القاهرة: دار اليمامة للطباعة، ٢٠١٤م) ص١٠٥، ١٠٩، ١١٣

(٢) **المرجع سابق**: ص١٢٠

(٣) **نفس المرجع السابق**.

(٤) **المرجع السابق**: ص١٥٣، للمزيد من التفصيلات، انظر:

- محمد فرحات: أبعاد تمكين المرأة في الفكر التربويّ الإسلاميّ: دراسة تحليلية (ماجستير غير منشورة، كلية التربية: قسم أصول التربية، جامعة المنصورة، ٢٠٠٢م) ص٨٠
- ابن قيم الجوزية: **تحفة المودود بأحكام المولود** (الرياض: مجمع الفقه الإسلامي، ودار عالم الفوائد، د.ت).
- ابن الجزار القيرواني: **سياسة الصبيان وتدبيرهم** (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٤م).

(٥) مجدي صلاح المهدي: **فلسفة تربية الطفل بين الأصالة والمعاصرة**، مرجع سابق، ص١٥٣

يُعِينهما على بدء الطريق في تربيتهم تربية سليمة بقلوبٍ راضيةٍ مُستبشرةٍ مُستبصرةٍ بما يجب وما لا يجب، مؤمنان بِعِظَمِ الأمانةِ المُلقاةِ على عاتقهما؛ ولذلك كانت "جميع الأمراض النفسيَّة – تقريبًا– تنشأ نتيجة لسوء فهم طبيعة هذه المرحلة ومتطلباتها، فالغضب والخوف والانطواء والتبوُّل اللاإرادي والكذب والسَّرقة... وغيرها؛ تنشأ في بداية هذه المرحلة إنْ أُسِيء إلى الطفل فيها ولم يُعامل المعاملة التربويَّة السليمة"(١).

- **المرحلة الثانية: تحقيق نموذج التوازن والاعتدال والوسطيَّة:**

نظرًا لما طرأ على المجتمع المسلم مِنْ تغيراتٍ في سلوك بعض أفراده، فإنَّ منهج الوسطيَّة نموذج حيّ يتم مِنْ خلاله عرض الإسلام على أنَّه مشروعٌ حضاريٌّ عصريٌّ حديثٌ يتصفُ بالتَّكاملِ والشُّمولِ، ويُساهم في تربيةِ جيلٍ يحرص على المحافظة على أمن الأُمَّةِ واستقرارها؛ فسماحة دين الإسلام يُقدِّم منهجًا مُتوازنًا مرتبطًا بالزمانِ والمكانِ والإنسانِ؛ موصولًا بالواقع، مشروحًا بلغة العصر، جامعًا بين النَّقل الصَّحيح والعقل الصَّريح مِنْ غيرِ إفراطٍ أو تفريطٍ، والذي يساعد الشباب المسلم على التَّعامل مع الضُّغوط الحياتيَّة، ويحافظ على توازنه واعتداله مع القدرة على إعادته إلى دائرة (التَّوازن والاعتدال) إذا ما ضعف أمام الضُّغوط ولم يقوَ على مواجهة طغيانها، والذي يتضمن ما يلي:

١- التَّوازن بين العبادة وإعمار الأرض.

٢- التَّوازن والاعتدال في المشاعر والسلوكيَّات والأعمال.

٣- التَّوازن والاعتدال في التربية.

- **التَّوازن بين العبادة وإعمار الأرض:**

إنَّ الحياة المستقرة المُتَّزِنة لا تتحقق إلا بتكامل بين التَّكاليف الدينيَّة وأداء الأعمال الدنيويَّة، وهذا لا يكون إلا مِنْ خلال العمل الجاد مع ترويح هادف عن النَّفس يؤدي إلى تجديد النشاط ويرفع الهِمَّة ويدفع الإنسان لتحقيق أهدافه والقيام بواجباته. والإسلامُ حريصٌ كل الحرصِ على أنْ ينشأ أتباعه في حياة متوازنة حال الالتزام بتعاليمه، أي السَّعي والعمل مِنْ أجل (تحقيق الذَّات الإنسانيَّة) المَقْرونة بقصد الخير والنَّفع، وهو الوجه الآخر لتحقيق غايات الفطرة السليمة الروحيَّة للوجود الإنسانيّ على الأرض؛ سعي إنجاز ونفع وإعمار وإصلاح ونماء ومتعة ورضا وطمأنينة وسلام، لا سعي جشع وطمع وأذى وإفساد وقلق وحيرة وضياع وندامة (القصص:٨٣،

(١) محمد سعيد مرسي: **فن تربية الأولاد في الإسلام** (القاهرة: دار الطباعة والنشر الإسلامي، ج١، د.ت) ص١٣

٨٤)؛ فكامنَ الخطورةِ هو في غياب هذه المفاهيم والقِيَم الإسلاميَّة عن المجتمع وما يحدث فيه بُناءً على ذلك مِنْ آثار سلبيَّة مُدمِّرة، قد ساهم أعداء الأُمَّة بشكلٍ كبيرٍ في تغييبها، وهذا لا يُعْفِي دور المدرسة والإعلام والمسجد في تعريف الناس بهذه القِيَم وتعزيزها.

إنَّ أول ما ينبغي معرفته نحو تحقيق توازن شخصيَّة الإنسان المسلم؛ هو كيفيَّة الاستمتاع بالحياة والتَّأقلم مع واقعه بسلبيَّاته وإيجابيَّاته، وتكييف الواقع بما يخدم ظروفه وينفعه لتجاوز أي مشاعر سلبيَّة وضغوطات تفرضها طبيعة الحياة المعاصرة – أي الأمل الوحيد يكمن في تقدير الذَّات والشعور بالرضا تجاه الحياة هي واحدة مِنْ أهم وسائل الشعور بالمعافاة النفسيَّة. ولعل أهم أسباب السَّعادة وتحقيق الاتزان هو اتباع تعاليم قِيَم الإسلام القويم: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا) [طه:١٢٤]؛ فكلما كان الإنسان بعيدًا عن روحانيَّات الإسلام مُتجاهلًا أوامره ونواهيه؛ كان أكثر عُرضَةً للتأثيرات السلبيَّة وسيطرة مشاعر اليأس والإحباط والقلق والاكتئاب على تصرفاته وحياته، لذا كانت حياة الفرد المسلم (حياة وسطيَّة)؛ لأنَّه يتَّبِع دين وسطيّ أمرًا وتشريعًا؛ فتعاليمه تهدف صلاح الفرد والمجتمع معًا. ولذا كانت الدَّعوة للاعتدال والتَّوازن بهدف تحقيق السعادة للمسلمين في دينهم ودنياهم (القصص:٧٧) دليل على الاعتدال في العبادة. ولمَّا كان الوالديْن هما الدليل الإرشاديّ والتَّوجيهيّ للوصول إلى تنشئة أولاد صالحين، لديهم إحساس بالمسئوليَّة، ويتمتعون بمهارات اجتماعيَّة، ويُمثِّلانِ خيرَ قدوةٍ لأبنائهم؛ كان مِن الحكمة البدء بهما، إذ الفهم الرشيد للتَّعاليم والمُتطلبات الدينيَّة سيكون له تأثير كبير على تنشئة تخلو مِنْ ثقافة الخوف والقلق والضغط والتوتر والاكتئاب وجميع أمراض الحضارة الحديثة؛ لذلك يتوجَّب عليهما تحقيق التَّوازن والاعتدال والوسطيَّة و"النظر بعمقٍ في معتقداتهم الدينيَّة، وإدراك الرؤية الإسلاميَّة الكونيَّة لتعليمها لأولادهم في سن التَّمييز، ويحسن بهما أنْ يُبَيِّنوا لهم أنَّ وظيفةَ البشرِ العمران وفقًا للقِيَم الصَّحيحة والقواعد التي سنَّها الله للبشريَّة، وأنَّ العبادة هي وسيلة تزكية النفس؛ لتحقيق تلك الغايات. ما يمنحهم فهمًا كاملًا للغرض مِنْ الحياة، وهي السَّعي جاهدين للقيام لِمَا هو صحيح"[(١)]. ولمَّا كان أغلب أزمات الجيل ومعاناة الحياة الأسريَّة تنبعُ مِنْ هذه المشكلة، أي مِن الغلو والإفراط أو نتيجة خلخلة التَّوازن بين أفرادها؛ كان التَّركيز شديدًا على وضوح الاتجاه الذي يُشَكِّل شيئًا في غاية الأهميَّة لاستقامة حياتها ونجاحها – وأيضًا– حماية مِنْ مبالغات الشباب واندفاعاتهم، التي تدفع دائمًا في اتجاه التطرُّف والابتعاد عن الوسطيَّة.

(١) هشام الطالب وعبد الحميد أبو سليمان وعمر الطالب: **التربية الوالدية**، مرجع سابق، ص١١٨

- **التوازن والاعتدال في المشاعر والسلوكيَّات والأعمال:**

الناس مفطورون على حب أنفسهم والإعجاب بأعمالهم وكل ما يتصل بهم، كما أنهم مفطورون على رعاية مصالحهم وزيادة ما بين أيديهم مِنْ مكاسبٍ وخيراتٍ؛ لكن الناس جميعًا يُواجهون مشكلاتٍ جمَّةً ومتنوعةً حين يتعاملون مع بعضهم، وحين يصدرون الأحكام على ما يرون مِنْ أحداثٍ ومواقف وأشياءٍ. وإنَّ جُزءًا مِنْ مشكلاتهم يعود إلى تحكم أهوائهم بهم وضعف مقاومتهم لرغباتهم(١)، كما أنَّ "توجيه الفرد إلى عدم الجنوح بارتكاب ما لا يرضاه المرء لنفسه، وذلك بِحُسْنِ التوجيه وحُسْنُ الحوارِ، وأهمية استعمال لغة الاقناع في التربية، وحُسن سياسة المُتعلِّمين، ومعالجة مشاكلهم النفسيَّة.. إلخ؛ مما يُساعد على تكوين شخص معتدل فاعل وعضو إيجابيّ نافع لمجتمعه، ورعاية مشاعر الناس وحقوقهم، كما يحب الإنسان أنْ يُراعِي الناس مشاعره وحقوقه"(٢)؛ لذا كان تكوين الفرد المُتَّزِن نفسيًّا وعاطفيًّا أهم أهداف التربية الحضاريَّة، هذا إنَّ دلَّ على شيء فإنما يدل على قيمة الوعي بمفهومه العام، الذي يستوجب "غرس في نفس الطفل منذ صغره بأنَّ إنسانيته تقتضي أنْ ينظرَ إلى الناسِ كما ينظرُ إلى نفسه...، هذه النَّظرة الإنسانيَّة إلى الناس تقتضي أنْ يُحبَّ الإنسانُ لأخيه ما يُحبُّه لنفسه، كما قال غ؛ لكن لا يمنع ذلك أنْ يرى لأهل الفضل فضلًا، وأنْ يُفَضِّلَ في المعاملة الخيِّر على الشرير بل يجب ذلك"(٣).

ولكن مع التنبُّه إلى أنه يتعين تعليم كُره المنكرات؛ ولكن ليس المرتكبين لها، أي كره الشر لا فاعله، وهي قاعدة تربويَّة مهمة للتَّمييز بين الفعل والفاعل، أو بين السلوك والشخص؛ لذا الذي يُنْتَقَد هو السلوك أو الفعل الخاطيء(٤)، بالإضافة إلى أنَّ المشاعر والسلوكيَّات تجاه الآخرين المطلوب فيها الاعتدال والتَّوازن، فلا إسراف في الحُبِّ ولا في الكُره، ولذلك يَجْمُل بالإنسان أنْ يُظْهِرَ مشاعرَ الحُبِّ تجاه الآخرين؛ كأبنائه ووالديْه وإخوته وأقاربه وأصدقائه، ويشعرهم بالمودة والقُرب لِمَا له مِنْ انعكاسٍ على التَّعامل معهم؛ ولكن الإسراف في الحُبِّ قد يؤدي أحيانًا لعدم العدل، وحتَّى في السلوكيَّات المعاصرة اليوميَّة فالمطلوب هو الاعتدال والتَّوازن؛ فلا يُبالغ في

---

(١) عبد الكريم بكار: **إلى أبنائي وبناتي ٥٠ شمعة لإضاءة درويكم** (القاهرة: دار السلام للنشر والتوزيع، ١٤٣٤هـ) ص١٧١

(٢) محمود عبد المنعم: الأحاديث النبوية الصّحيحة في مجال التربية - **الكتاب رقم (١٥) من سلسلة العلوم التربويَّة الإسلاميَّة** (القاهرة: دار الفكر العربي،٢٠٢١م) ص١٢٧

(٣) مقداد يالجن: **دور التربيَة الأخلاقيَّة الإسلاميَّة في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانيَّة** (القاهرة: دارالشروق، ١٩٨٣م) ص٤٠

(٤) هشام الطالب وعبد الحميد أبو سليمان وعمر الطالب: **التربية الوالدية**، مرجع سابق، ص٣٤٢

قضاء السَّاعات على الأجهزة المحمولة والشاشات ومواقع التَّواصل؛ بإهمال الصَّلاة وحقوق الوالديْن والأبناء وصلة الرحم والواجبات، كذلك لا يُبالَغ بردود الأفعال تجاه المواقف؛ كاستخدام العُنف والصُّراخ وتوجيه الاتهامات عند الانفعال!، ولا يُعاتِب على أصغر السلوكيَّات والأخطاء المقصودة وغير المقصودة!، وحتى في الضحك والكلام والصوت والمشي والتَّفاعل مع النَّاس، كلها تحتاج للاعتدال والتَّوازن، ولا أجمل مِنْ وصايا لقمان الحكيم في هذا الجانب السلوكيّ المعتدل (لقمان:١٨-١٩).

بذلك يتضح أنَّ تعاليم الإسلام تهدف لصلاح الفرد والمجتمع معًا، وأنَّ تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة، تتطلب أنموذجًا حيًّا يُحتذى به فكان الرسول غ هو خير قدوة لخير أُمَّة أُخْرِجَتْ للناس، فعن عائشة قالت: "مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ غ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ... الحديث" [١]. إنَّ مِنْ أهم الاحتياجات التي يجب أنْ يُدرِكَهَا الوالديْن تجاه أبنائهم، أربعة أمور وليست الأوحد تحت مظلة التَّواجد الحقيقيّ في حياتهم؛ (الحب، الاهتمام، الوقت، التقدير) كما لا يفوت أنَّ المرحلة الأولى مِنْ حياتهم هي التي تتكون فيها شخصيته وتتشبع فيها عاطفته وأفكاره التشبُّع الصَّحيح والسَّوي الذي يظهر عليه في كل مراحل حياته، ويكون الدَّافع الأكبر في تكوين فردًا سليمًا قويًّا في مجتمعٍ قويّ. مِن الضَّروريّ التنبه لظاهرة تحيُّز بعض الآباء والأمهات لحماستهم الزائدة عند التحاق أحدهم أو كليهما بعملٍ جديد، إذا هُمْ يُقَدِّمُون أعمالهم على حياتهم الشخصيَّة، ويصبح أكبر اهتماماتهم، فتأتي لحظة يُدرِكوا فيها أنَّ هذا المكان إنما يتبع قوانين وأنظمة معينة لا طموحاتهم الزائدة!، ويكتشفوا أنهم أخطئوا حين بالغوا بالعطاء وبتقدير الجهد، فلا أحد طلب منهم أنْ يُعْطِوا فوق طاقتهم، بل العمل والإنجاز لا التَّضحية!، وبمجرد إدراك هذه الحقيقة؛ ستتحول الحماسة الزائدة لفتور، ويتحوَّل التَّفاني لتقصير وتقاعس؛ ما يعني أنَّ "تنظيم الشأن الشخصيّ والاستفادة مِن الوقت والتزام الدِّقة في المواعيد إلى جانب الحرص على طاعة النُّظُم والقوانين السَّارية؛ يُحقق المصلحة العامة، ويُساعد على وضوح الواجبات وحفظ الحقوق"[٢]. لا بد مِنْ إدراك أهمية الاعتدال وموازنة المشاعر منذ اللحظة الأولى، والسَّير عليه بكل مُجريات الحياة؛ لتجنب الحِصار في دائرة المشاعر السلبيَّة.

---

(١) البخاري: **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب (٧٨) قول النبي: "يَسِّرُوا ولا تُعَسِّروا"، حديث رقم (٦١٢٦) ، ج١٠، ص٧٤٠-٧٤١.

(٢) عبد الكريم بكار: **إلى أبنائي وبناتي ٥٠ شمعة لإضاءة دروبكم**، مرجع سابق، ص١٢٤

- **التوازن والاعتدال في التربية:**

يرى التربويون أنَّ "الكائن الإنسانيّ لا يوجد ولا يمكن له أنْ ينشأ أو يَبْقَى فردًا، بطبيعة قدراته وحاجاته، بسبب طفولته الإنسانيَّة الطويلة؛ إذ لا بدَّ له مِنْ مجتمع ينشأ في حمايته ورعايته، وهو مِنْ خلال علاقاته الاجتماعيَّة يُعبِّر عن إرادته، ويُحقق في مجاله مكنون نفسه مِن المشاعر والقِيَم والغايات، ويُمحِّص بهذا التفاعل معدن نفسه، ويُحقق بنوعيَّة تفاعله ومُدافعته في المجتمع معنى وجوده"[١]. فقَدَرَ الحضارةِ والأسرةِ هما أنْ يَنهضا معًا أو يَسقطا معًا، وتنفرد مجتمعات العالَم الإسلاميّ وبقية العالَم الثالث – حتى الآن– باحتفاظ الأسرة فيها بمكانتها الكريمة...، وتتمتع مؤسسة الأسرة بأفضل فرصة للبقاء لكونها مُعَزَّزة بالشريعة، ومُقرَّرة بعلاقتها الوثيقة بالتوحيد[٢]؛ فالتَّماسُك الأُسَرِي مما يميز الأُمَّة العربيَّة والإسلاميَّة، الذي تفتقده الدول الغربيَّة والتي توصف بالتحضُّر والتقدُّم، هي بالفعل متطورة تكنولوجيًّا وعلميًّا واقتصاديًّا وماديًّا ومعرفيًّا؛ لكنها بالمُقابل تُعاني مِنْ مشاكل اجتماعيَّة ضخمة لا تخفى على عاقل.

إنَّ الإسلام "يُحَمِّل الوالديْن المسئوليَّة الكاملة في تنشئة الأطفال، وتشمل واجباتهما إلى جانب العناية بصحة الأطفال وتغذيتهم، وتثقيفهم بالإسلام وإدخالهم في صفوف (الأُمَّة)، وتهيئة الأجيال لدعم الأنظمة الاجتماعيَّة والثقافيَّة والسياسيَّة والاقتصاديَّة للأُمَّة، وللمساهمة في تحقيق الخير لجميع المواطنين وللدفاع عن الأُمَّة عند الحاجة، وهي بذلك تكون مسئولة بشكل فرديّ وجماعيّ عن (الأُمَّة)..."[٣]. ما يعني أنَّ الإسلامِ يهدف إلى "إحكام بناء الأسرة، بتهيئتها للقيام بالواجب الكبير ألا وهو تربية أجيال مُتفوقة كُفؤة قديرة؛ ليستمر تفوق الأُمَّة وتميزها وعلوها"[٤]؛ ولكن مِن المهم أنْ يَفْهَمَ الوالدانِ طبيعة مراحل النُّمو الجسديَّة والعقليَّة والعاطفيَّة؛ كي يُحقِّقوا الحد الأقصى لإمكانات كل ابن في الوقت المناسب؛ فالكثير مِن الوالديْن يَوَدُّون أنْ يُربُّوا أبناءهم هذه التربية؛ لكنهم يفتقدون الأسس التي يرتكزون عليها في تربيتهم، وقد حرص غ على تأكيد أهم المرتكزات التي تقوم عليها تربية الآباء للأبناء تربية حضاريَّة متفوقة؛ شريطة أنْ يتعهَّد المربُّون نفوس الأبناء والشباب بالعناية والرعاية في هذه المراحل، وبذلك يكونون قد أفلحوا في بناء

---

(١) عبد الحميد أبو سليمان: **انهيار الحضارة الإسلامية وإعادة بنائها: الجذور الثقافية والتربوية** (هرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠١٦م) ص١٢١

(٢) إسماعيل الفاروقي: **التوحيد مضامينه على الفكر والحياة**، مرجع سابق، ص٢١٦

(٣) إسماعيل الفاروقي ولمياء الفاروقي: **أطلس الحضارة الإسلامية**، مرجع سابق، ص٢٣٣

(٤) أحمد رجب الأسمر: **النَّبي المُربّي** (عمان- الأردن: دار الفرقان للنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م) ص١٩٦

سواعد القوة والقدرة والأمانة، وصنعوا سواعد الصَّلاح والإصلاح، وذلك عن طريق التعامل القائم على: (المساواة والعدل – الرِّفق والرَّحمة – النِّظام والانضباط – الألعاب التربويَّة البنَّاءة – التنمية البدنيَّة المستديمة).

- **المرحلة الثالثة: الوعي التربويّ المُنضَبِط في الانفتاح عند صناعة المستقبل:**

لمَّا كانت الأسرة هي "المؤسسة التربويَّة الأولى التي يتلقَّى فيها الفرد معارف وتوجيهات يبدأ بها حياته وتشكِّل أساسيَّات توجيهاته ومعتقداته"(١)، كان الناشئ هو بالتَّأكيد مستقبلُ الأسرةِ والمجتمعِ بل والعالَم. والاهتمام بتنشئته تنشئة سويَّة هو الجانب الأهم في الإرادة الحقيقيَّة لإقامة مجتمع سليم. ربما أكبر العقبات التي تُضْعِفها هو غِياب الوالديْن، وغيابهم لا يعني فقط اختفاء الأب والأم عن حياة أبنائهم، بل ربما يعيشان معهم تحت سقف واحد؛ لكنهم غائبيْن عنهم وعن الحضور في تفاصيل حياتهم بشكلٍ صحيحٍ؛ فـ "الطفل حين ينشأ يتأثر بشخصيَّة والده وعواطفه وأفكاره ومعلوماته، لذا يجب على الآباء أنْ يُقدِّمُوا النَّموذج الطيب والأسوة الحسنة لأطفالهم"(٢)، وهو ما يعني – بشكل واضح – تواجدهم في حياة الأبناء أنْ يسكنوا قلوبهم وعقولهم قبل أنْ يُشاركوهم مسكنًا واحدًا أو يكونوا معًا أسرة واحدة؛ لذا يتعين هنا بعض الضَّرورات المهمة، والتي ينبغي على الآباء والأمهات إدراكها جيدًّا والاتجاه نحوها في تربية أبنائهم تربية حضاريَّة إسلاميَّة صالحة شاملة، عن طريق: تأصيل وتنمية القِيَم الأخلاقيَّة – تنشئة الفتاة تنشئة حضاريَّة على معيار الغاية من خلق الإنسان ورسالتها في الحياة – تنمية ثقافة الحِوار البنَّاء بعيدًا عن روح التسلطيَّة والسيطرة أو الإهمال – تنمية مهارات التعلُّم الذاتيّ والتحصيل العلميّ والثقافيّ بالاهتمام بعنصر الوقت/ ووجود مكتبة في كل بيت / وتنمية ثقافة الإبداع في مجال الاختراعات والابتكارات والعلوم المختلفة بزيارة المكتبات العامَّة والخاصَّة ومعارض الكُتبِ التي تقام سنويًّا / وزيارة الأماكن الأثريَّة المرتبطة بحضارة الأُمَّة الإسلاميَّة / وزيارة معارض العلوم – الزَّاد الثقافيّ العام والزَّاد التربويّ للآباء والأمهات في الحفاظ على تماسك الأسرة وتنمية العلوم والمعارف فيها – تأمين الراحة النفسيَّة والجسميَّة لدى الأبناء – التَّرغيب بالمكافآت – تعزيز حضور اللغة العربيَّة وتحبيبها لديهم.

---

(١) هاشم بن علي الأهدل: **مرجع سابق**، ص٤٦٤

(٢) أمل صبري الكومي: **مرجع سابق**، ص٦٥ نقلًا عن = عباس محجوب: **أصول الفكر التربوي في الإسلام** (دمشق: دار ابن كثير، ١٩٨٧م) ص٢٩٦

(٢) المؤسسة التربويَّة والتعليميَّة:

الإنسان – كما هو معروف – كائن اجتماعيّ، يعيش بحيويَّة وتفاعل مع الآخرين، ويولد وهو بحاجةٍ إليهم والعيش معهم والتعلُّم منهم والانخراط في مواقف اجتماعيَّة تُصْقِلُ شخصيته وتهذيبها وترتقي به مِنْ أجل خوض غِمار الحياة. والإنسان بذلك ليس وليد رحم الأم وكفى، وإنما هو عبارة عن كتلةٍ مِن الخبراتِ والتفاعلاتِ مع مواقف الحياة المختلفة ومع مؤسسات التنشئة الاجتماعيَّة المتنوعة التي تعمل على تكوين شخصيَّته التي يندمج بها في المجتمع. وهنا كانت "المدرسة مؤسسة اجتماعيَّة أنشأها المجتمع لتقابل حاجة مِنْ حاجاته الأساسيَّة، وهي تطبيع أفراده تطبيعًا اجتماعيًّا يجعل منهم أعضاء صالحين فيه"(١)، أي كانت هي "المؤسسة المُتخصِّصَة لتربية وتعليم الصِّغار بالتَّعاون مع الأسرة، فإذا أدَّتْ المدرسة واجبها على أكمل وجه كانت أداةَ تقدُّمٍ للمجتمع، وإلا كانت أداةَ هدمٍ"(٢)، و"لكي تقوم المدرسة بعمليَّة التربية خير قيام يجب أنْ تُخَفِّفَ مِنْ أعبائها، وأنْ تُلْقِي بعض هذا العبء على المؤسسات الاجتماعيَّة الأخرى" (٣). وبما أنَّ "المدارسَ ألصقُ بالبيئةِ المحليَّة؛ ستظلُّ أقربَ إلى الاهتمام بالانسجام مع اهتمامات الأُسَرِ في البيوت وتوجيهاتها"(٤)؛ لذا "يشعر الوالديْن ببعض الطمأنينة والارتياح عندما يكتشفون أنهم ليسوا وحدهم في هذا الكفاح"(٥). ومن ثمَّ أصبح للمدرسة والجامعة دورًا كبيرًا في تحقيق مفهوم التربية الحضاريَّة وتنميتها، ما يجعلها أقدر على تحقيق هذه المطالب والحاجات لدى طلابها. فمتى ما أُريد التَّحديد لأهم المحاور التي مِن المهم أنْ تضطلِعَ بها المدرسة، فيمكن تحديد ذلك طبقًا لمجالات وأهداف العمليَّة التعليميَّة ككل؛ فالعمليَّة التعليميَّة – كما يشير التربويُّون– لها ثلاثة أهداف: الهدف المعرفيّ، الهدف الوجدانيّ، الهدف المهاريّ، ومِنْ هذه الأهداف الثلاثة تتكون أدوار المؤسسة التربويَّة والتعليميَّة نفسها – إضافة إلى– أنها تشمل كلًا مِنْ المُعلِّم، والطالب، والمنهج، والوسائل.

---

(١) حنان عبد الحليم رزق: **مرجع سابق**، ص١٢٠

(٢) جمال محمد الهنيدي: **قراءات في علم اجتماعيات التربية**، مرجع سابق، ص١١٧

(٣) جمال محمد الهنيدي: **قراءات في علم اجتماعيات التربية**، مرجع سابق، ص١١٧

(٤) عبد الكريم بكار: **بناء الأجيال** (الرياض: كتاب مجلة البيان، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م) ص١٨٧

(٥) هشام الطالب وعبد الحميد أبو سليمان وعمر الطالب: **التربية الوالدية: رؤية منهجية تطبيقية في التربية الأسرية**، مرجع سابق، ص١٣٠

- **أولًا: الهدف المعرفيّ أو العقليّ:**

ويشمل: "الأهداف التي تؤكد على نواتج التَّعلُّم الفِكريَّة، مثل: المعرفة ومهارات التفكير. ويتضمن هذا المجال ستة مستويات تبدأ مِن البسيط الذي يحتاج إلى قدرة عقليَّة أقل (تذكر، فهم) إلى المركب الذي يحتاج قدرة عقليَّة أعلى (تطبيق، تحليل، تركيب، تقويم)، وقد تُسَمَّى المستويات الأخيرة بمهارات التفكير، وإجادة أي مستوى منها ضروريّ لإجادة المستوى التالي لها"(١)، ولذلك كان من الدَّلالات المهمة "أنَّ العِلمَ ليس هو الحفظ والتَّحفيظ، بل ولا فهم المحفوظ فحسب؛ ولكنه يمتد ليشمل التطبيق والعمل بالعِلم، فالعلوم التطبيقيَّة لا فائدة منها إذا لم تظهر ثمراتها في النفس والمجتمع"(٢)، لذا يعدُّ هذا الهدف مِنْ أكثر الأهداف التي يُركِّز عليها المدرسون في العمليَّة التعليميَّة؛ لأنه يرتبط بطبيعة المعرفة المتعلقة بالمواد الدراسيَّة. فالمدرسة دورها أساسيّ ومهم في:

- إكمال دور الأسرة في تأسيس النفسيَّة التي تقبل النظام والترتيب وتتعوده "مِنْ خلال تنظيم المدرسة نفسها، وتوعية الطُّلاب بأهمية تنظيم الواحد منهم لحياته الشخصيَّة، وشئون تعلُّمِه وتثقُّفه وإنتاجه"(٣). ولمَّا كان المنهج التَّربويّ مبني على ترتيب الأولويَّات؛ كان "ترتيب المادة العِلميَّة المُعطاة بألَّا تسبق مرحلةٌ مرحلةً، أو يأخذ ما تم أخذه فيكون مِنْ باب تحصيل حاصل. فكانت أهمية الترتيب حتى تكون المعلومات متسلسلة منطقيًّا، وهذا أدعى للاستيعاب واستقرار المعلوم" (٤). فالمدارس المُنظَّمة لا تخلق طلابًا مُنَظَّمِين، بل أجيالًا مُنَظَّمةً.
- تكوين معارف الطلاب، وتشكيل عقولهم، وتحديد طرق تفكيرهم، ومساعدتهم في إدراك ذواتهم ومجتمعهم وبيئتهم بشكل صحيح، وبصورة متماسكة منهجيَّة، فهي مسئوليتها بصورة أساسيَّة.

من الضروري أنْ يتصفَ التَّكوين المعرفيّ بعدةِ صفات، أهمها: أنْ يكون مُتماشيًا مع تطورات المعرفة في كل العلوم، ويتصف بالوضوح والسَّلاسة، ويبتعد عن التَّعقيد والغموض وعدم التَّشويق، ويشمل التَّطبيق إلى جانب النظريَّة حتى يترسخ في عقل الطالب، ويستفيد منه في واقعه، وأنْ تَجْمَع المناهج بين التُّراث والمعاصرة أو بين الهُوِيَّة والاستفادة مِن الآخرين بوعي

---

(١) حنان عبد الحليم رزق: **مرجع سابق**، ص١٢١
(٢) **نفس المرجع السابق**.
(٣) **نفس المرجع السابق**.
(٤) **نفس المرجع السابق**.

حضاريّ بشأن الخصوصيَّات الثقافيَّة لكل مجتمع، حتى تنتج عنها عقليَّة ناضجة مُتفتِّحة، تعتز بأصالتها وتتشابك مع واقعها مِنْ غير ذوبانٍ ولا جمودٍ، وأنْ تهتم بمصادر المعرفة الأخرى مع المنهج (الأنشطة اللاصفيَّة)، وتحرص على تنمية ثقافة الطفل بتوفير مكتبة تضم شتى الكتب والمعارف والعلوم والفنون الملائمة، وتشجعه على القراءة وإجراء المسابقات.. كلها مصادر تشكل الجانب المعرفيّ وتنميه، وتجعل المعرفةَ مُحبَّبةً، وليس مُجبرًا عليها. فمِنْ منطلق الوظيفة الاجتماعيَّة للمدرسة، وهي: "نقل التراث الثقافي وانتقائه وتبسيطه، وتحقيق النمو الشامل للتلاميذ، وتنمية الولاء للمجتمع والوطن، وتنمية روح الإبداع والابتكار، وتنمية أنماط اجتماعيَّة تعمل على التَّماسك الاجتماعيّ وإحداث التَّجانس داخل المجتمع"(١)؛ كان دورها في "توجيه هذه الوظائف لتخدم أهداف الأُمَّة الحضاريَّة، وترفع مِنْ مستوى التفكير والاهتمام كي تحافظ على أبنائها، وتجعلهم يتفاعلون مع قضايا أمتهم وأهدافها، ويحصرون فِعلهم الحضاريّ في حدود مجتمعاتهم الإسلاميَّة"(٢). ومن ثمَّ توسيع آفاق الناشئين يكون بنقل التراث الذي أسهم في بناء الحضارة الأولى، ومِنْ هذا التُّراث يكتسب المعلومات، وتزداد الخبرات التربويَّة التي تُعينهم على مواجهةِ الحياة، والأخذ بأسباب الحضارة، يقول (النَّحلاوي): "إذا كانت الغاية مِن الأخذ بأسباب الحضارة، والأخذ بمبادئ القوة، والتمكُّن في المُلْكِ مِنْ أجل إقامة شعائر الإسلام والدفاع عنه؛ فهذا أعظم المقاصد وأشرفها"(٣).

- **ثانيًا: الهدف الوجداني:**

ويشمل: "الأهداف التي تؤكد على المشاعر والانفعالات، مثل: الميول والاتجاهات والتذُّوق وأوجه التقدير. والأهداف التي تندرج تحت هذا المجال تتصل بدرجة القبول أو الرفض لشيء معين، وهو خمسة مستويات متتابعة مِن البسيط إلى المركب، هذا التدرُّج يتحدد حسب درجة تغلغل القيمة في نفس التلميذ، مثل: (الاستقبال، الاستجابة، التقييم، التنظيم القِيَميّ، تكامل القِيمة مع السلوك)" (٤). لا شك أنَّ جميع المجتمعات لديها بعض العقائد والقِيَم والعادات التي تُريد المحافظة عليها، ولا تجد طريقًا لذلك إلا التربية، وحينما تريد التربية أنْ تقوم بتحقيق بعض أهدافها التي

(١) جمال محمد الهنيدي: **قراءات في علم اجتماعيات التربية**، مرجع سابق، ص١٢٤-١٢٧
(٢) هاشم بن على الأهدل: **مرجع سابق**، ص٤٩٠
(٣) **المرجع السابق**: ص٤٩١
(٤) فادية ديمتري يوسف: **المناهج الدراسية في عصر المعلوماتية** (القاهرة: دار الأصدقاء للطباعة بالمنصورة، ٢٠١٥م) ص١٠١

وضعها لها المجتمع، فهي لا بد أنْ تستخدم وسائل محددة تنبع مِنْ قِيَمِه، بحيث تُراعِي تلك القِيَم أثناء وضع أهدافها، واختيار نشاطاتها وبصفة عامة خبرتها التي تُريد أنْ تكسبها للأجيال فتختار المناهج مراعية الجانب الخُلقِيّ وقِيَم المجتمع، إذ تتحمل المدرسة مسئوليَّة اختيار الخبرة الإنسانيَّة ونقل محتواها ومعناها ونتائجها إلى المُتعلِّمين(١).

وقد "ينظر البعض إلى وظيفتها التربويَّة أنها تُعطِي الجانب الأكبر مِنْ اهتماماتها بالتنمية العقليَّة، وأنَّ عمليَّةَ الفصلِ بين التنشئة العقليَّة والتنمية الخُلقِيَّة، وبين اكتساب المعلومات وتنمية السلوك؛ تعبير عن الفشل في التعرُّف على طبيعتها كمؤسسة اجتماعيَّة خُلقِيَّة، ومِنْ هنا تأتي مسئوليَّتها في التنمية الخُلقِيَّة، وهي في الواقع أخطر مهمة تضطلع بها"(٢). مِن الخطأ عزل الجوانب الوجدانيَّة عن المعرفيَّة؛ "لأنهما متكاملان تكاملًا تامًّا، فالمدخل الأساسيّ إلى المجال الوجدانيّ هو عقل الإنسان الذي يمثل الجانب المعرفيّ، بحيث يمكن القول: إنَّ الطريقَ إلى وجدانِ المُتعلِّمِ هو عقله"(٣)، ويُقصد به "الأهداف المرتبطة بالقِيَم المستمدة مِن العقائد والتقاليد، والتي تجعل المتعلم يسلك سلوكًا وجدانيًّا تجاه الأشخاص والموضوعات مِنْ خلال ما يتعلمه مِنْ معلوماتٍ ومعارف"(٤).

لذا ينبغي أنْ تكون المدرسة صاحبة تأثير في تهذيب أخلاق الطُّلاب، وإيقاظ ضمائرهم؛ لأنَّ دورها اليوم انحصر في (التَّعليم) وغابت عنها (التَّربية)، حتى شوهد انفصامًا حادًّا بين مستوى التَّعلِيم وارتفاع درجاته الأكاديميَّة وبين المستويين الوجدانيّ والأخلاقيّ والتمتُّع بالصفات الحميدة، مع أنَّ العكس الأساس: (إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) [فاطر:٢٨]؛ فالعمل والخشية أي المعرفة والوجدان أمران مرتبطان، وانفصالهما يدل على وضع معكوس. هناك عددٌ مِن الاعتبارات التي على أساسها تتحدد مسئوليَّة المدرسة في تأصيل القِيَم الخُلُقِيَّة لدى طلابها منها: (٥)

(١) جمال محمد الهنيدي: **قراءات في علم اجتماعيات التربية**، مرجع سابق، ص١٢٣

(٢) حنان عبد الحليم: **مرجع سابق**، ص١٢١

(٣) عبد الله صحراوي وشبوح نجاة: "الأهداف الوجدانية: الغائب الأكبر في التدريس"، **مجلة تنمية الموارد البشرية**، جامعة محمد لمين دباغين سطيف٢ وحدة بحث تنمية الموارد البشرية في الجزائر، المجلد٩، العدد٢، ٣١ يوليو/ تموز ٢٠١٨م، ص٢٧، انظر الرابط التالي: Https //:search. Emarefa.net/detail/BIM-880164

(٤) **المرجع السابق**: ص٢١٨

(٥) حنان عبد الحليم: **مرجع سابق**، ص١٢١-١٢٣

- أنَّ التربية الخُلقِيَّة قِوَام العملية التربويَّة، وهي جزء مِنْ رسالة المدرسة تجاه المجتمع عامة وأبنائه مِن الناشئين والشباب الذين تشاركـ في تكوينهم، وهذا لا يُقلل مِنْ دور المؤسسات الأخرى التي تُسهِم في هذا التَّكوين.
- أنَّ العمليَّة التربويَّة في جميع أبعادها خُلقِيَّة، والتربية الخُلقِيَّة منطلق إجراءاتها تخطيطًا وتنسيقًا وتنفيذًا، وهي كذلك معيار فعاليتها في تقدير نتائجها، وهذا يجعل المدرسة في المجتمع قوة خُلقِيَّة وسُلطة توجيهيَّة مختصَّة.
- أنَّ القِيَمَ الأخلاقيَّةَ تؤكدُ العقلانيَّةَ في التفكير وتنمية الحساسيَّة الاجتماعيَّة والأبعاد الخُلقِيَّة والاستبصار بنتائج الأفعال والسلوك. أمَّا المعايير التربويَّة فتعبِّر عن أنواع ومستويات مِن السُّلوك الخُلُقِي، ونجاح المدرسة أنَّ تكون هذه المستويات والمعايير ذات مخزى معين بالنسبة للشخص ذاته، ولها معنى واحد بين جميع الأفراد.
- أنَّ التكوين الخُلقِيّ أمرٌ قابلٌ للنُّمو، والمدرسةَ بوتقةُ انصهارٍ للتَّفاعلاتِ الاجتماعيَّةِ بين سلوك الطلاب، تهدف إلى ضبط السلوك والارتقاء بمستوى التفاعل، بما يتفق وطبيعته الأخلاقيَّة التي تحرص على إكسابها لهم.
- أنَّ القِيَم الأخلاقيَّة مُلازِمةٌ لعمليَّةِ التَّعليمِ والتعلُّمِ وينبع مِن الخبرة التربويَّة التي يواجهها الطلاب. ومهمة المدرسة مساعدة طلابها على التفاعل مع مواقف الخبرة التربويَّة داخل المدرسة...، وأنْ يجعل منها قواعد سلوكيَّة.
- أنَّ العمل مِنْ أجلِ تحقيق السلوك الخُلقِيّ هدفٌ رئيسيٌّ مِنْ أهدافِ المدرسةِ؛ ذلك لأنَّ المدرسةَ الحديثةَ تعمل على تحليل المفاهيم والمعلومات التي تقدمها للطلاب إلى سلوك وعادات في حياتهم الواقعيَّة، وكل ما ترجوه المدرسة هو أنْ تُحَقِّقَ أنواعًا ودرجاتٍ مختلفةٍ مِن السُّلوكِ الخُلقِيِّ لا أنْ تضمنه.

فيما يرى بعض التربويين أنَّ دور الوالديْن في "تنمية القِيَم وبنائها [يكون] قبل تشكيل السلوك بحيث ينطلق سلوكه مِنْ مفاهيم معرفيَّة ونفسيَّة مُحبَّبَه لديه؛ تجعل أداءه السلوكيّ أكثر انتظامًا وأقرب للاتزان والرسوخ"(١)، بما يتفق تمامًا مع "الدور المعرفيّ للمدرسة والمُعلِّم تبعًا ومُكمِّلًا للدور الوجدانيّ التَّربويّ للأبويْن، وإذا ما توفَّر الوعي فإنَّ دور المُعلِّمين يتكامل مع دور

(١) هشام الطالب وعبد الحميد أبو سليمان وعمر الطالب: **التربية الوالدية: رؤية منهجية تطبيقية في التربية الأسرية**، مرجع سابق، ص١٤٥

الآباء؛ لأنَّ المُعلِّمَ يحمل عادةً الرغبةَ في رعايةِ التلميذِ وجعله قادرًا على تحقيقِ النَّجاحِ، وتوظيفُ طاقتِه في مواجهةِ التَّحدياتِ والتغلُّب عليها"[١]؛ كونه الدَّاعم والرَّديف الميدانيّ الأول لدور الأسرة في التَّربية، والعُنصر الذي يَكِلُ إليه المجتمع أمر تعليم الصغار ورعايتهم وتوجيههم وتنمية قدراتهم وصقل مواهبهم. ولثقافة المُعلِّم ومناهجه التربويَّة والوسائل المتاحة لديه؛ أهمية كبرى في تنمية الطفل معرفيًّا ووجدانيًّا، وكُلمَّا توافقتْ مفاهيم الآباء والمُعلِّمين، وتناسقتْ جهودهم، كانت الجهود أكثر فاعليَّة، والنتائج أكثر إيجابيَّة[٢]. ولذلك هناك بعض الوسائل المُعِينَة على تحقيق الأهداف الوجدانيَّة في حُجرة الصَّفِ، ويمكن للمُعلِّم مِنْ خلالها تأصيل القِيَم الأخلاقيَّة لدى طلابه: "أولها: قراءة الأهدافِ العامَّة للمادة التعليميَّة بتمعُّن، ثم تدوينها واستخراج الأهداف الوجدانيَّة منها، وتصنيف الدروس بُنَاءً عليها. ثم تأتي مرحلة جمع النُّصوص – اقتباسات داخليَّة وخارجيَّة يدعم بها الأهداف الوجدانيَّة – ومحاولة فهمها ومعرفة تفسيرها مع ربطها بالواقع، تتأتَّى عن طريق القراءة والإطلاع المستمر.

ثانيها: ضرورة الاهتمامِ بالأهداف الوجدانيَّة كيفًا لا كمًا، بعدم الإكثار منها أو المبالغة في صياغتها عند تحضير كل درس؛ كي يتمكن مِنْ إعدادها ذهنيًّا ثم دعمها مع الإشارة إليها داخل حُجرة الصَّف، ولا يمنع الاستعانة بالوسائل التعليميَّة المختلفة. ثالثها: ضرورة التَّنويعِ في طُرق عرض الدُّروس واستخدام التَّشويق، باعتماد أساليب تدعمها – ويُقترح– عمل بنوك معلومات وتجميع المادة العِلميَّة مِنْ جميع المصادر لتُستخدَم في دعم الأهداف" [٣]، ما يعنى أنه ينبغي على المُعلِّم "أنْ يكون على وعيٍّ تامٍّ بمدى تأثيره النفسيّ والعاطفيّ على الطلاب..، وعلى وعي بطبيعة العوامل السيكولوجيَّة والاجتماعيَّة المؤثرة في السلوك الخُلقِيّ، فكثيرًا مما يتعلق بالتَّعليم الخُلقِي يكتسبه الطالب قبل أنْ يأتي إلى المدرسة، كما أنه يستمر أثناء وجوده في المدرسة أيضًا"[٤]، فهو "حينما يُثير في طلابه السَّعي وراء القِيَم والمُثل الأخلاقيَّة؛ يخلق في ذاته مَثَلًا أعلى ويكون أمامهم نموذجًا للكمال الخُلقِيّ، فحينما يُوحِي لطلابه ببعض الصفات الخُلُقيَّة الفاضلة؛ كالصِّدق في القول، والأمانة في العمل، والعدل في الحُكم، والصَّراحة والشَّجاعة والإخلاص؛

(١) عبد الحميد أبو سليمان: **انهيار الحضارة الإسلامية وإعادة بنائها: الجذور الثقافية والتربوية**، مرجع سابق، ص٢٦٥

(٢) عبد الله صحراوي وشبوح نجاة: **مرجع سابق**، ص٢٢٠-٢٢٣

(٣) حنان عبد الحليم رزق: **مرجع سابق**، ص١٢٣-١٢٤

(٤) **المرجع السابق:** ص١٢٦

فإنَّها تتطبع في أعماق الطلاب بأسرع ما يمكن"[١] – وأيضًا– مِنْ موقعه كقدوة ونموذج؛ بإمكانه تعويد طلابه التَّنظيم والتَّرتيب ويتعشَّقُونه؛ بأنَّ يكون هو نفسه مُنَظِّمٌ لذاته، يَرْسُمُ أهدافًا واقعيَّة قابلة للتَّحقيق، ويُدير وقته بفاعليَّة، ويُسيطر على دوافعه، ويُسَيِّر مهامه بشكلٍ أفضل، وغالبًا ما يرتبط التَّنظيم الذَّاتيّ بأداء المهمة التدريسيَّة بنجاح؛ لأنه يشعر بالإندماج والاستقلاليَّة في فصله. لذا يُعْتَبَر رسم أهداف دقيقة ومُرَكَّبة على نحو فعَّال ومناسب للمتعلِّمين وللدروس، ووضع استراتيجيَّات واضحة لتحقيقها؛ خاصية مِنْ خصائص المُعلِّم الفَعَّال.

- **الهدف المهاريّ الحركيّ:**

ويشمل: "الأهداف التي تؤكد على المهارات الحركيَّة التي تَعنِي بها السُّرعة والدِّقة في أداء عمل ما بأقل جُهدٍ وأقلُّ تكلفة. ويتطلب هذا النوع التَّنسيق وحركات أجزاء الجسم المختلفة. وتُكتسب هذه المهارات في صورة مجموعة مِن الخطوات: (المحاكاة، المعالجة اليدويَّة، الدِّقة، التَّرابط، التَّطبيع)" [٢]، كما يرتبط بهذا الهدف كل مفاهيم التنفيذ والآداب والعمل والنتيجة في جميع مؤسسات المجتمع، وهذه المفاهيم متغيرة وفقًا لما يستجد مِنْ تغيراتٍ، وما يستجد مِنْ حياة الإنسان في نفسه، والبيئة المحيطة به، في صورة آداب وسلوكيات تظللها السُّنة النبويَّة التطبيقيَّة (نموذج أعلى)، والنية الخالصة لله والأخذ بالأسباب والتوكُّل عليه، الميزان العدل، والتَّقوى في جميع الأعمال والمنجزات، والأخلاق السامية، وبذلك تكون النتيجة: إنسان عابد لله – بمفهوم الشامل للعبادة – تربَّى على هدي الله وشرعه القويم[٣]. وللهدف المهاريّ معانٍ متعددة، منها: الأول: أنْ يكتسب الطالب القدرة على تحويل ما يتلقاه مِنْ معلوماتٍ إلى مهاراتٍ عمليَّةٍ تطبيقيَّةٍ. الثاني: أنْ يكون مِنْ أهداف التَّعليم عمومًا تخريج شباب لديهم مهارات عمليَّة في المجتمع يمكن أنْ يبدأوا بها حياتهم أي تطوير التَّعليم الفنيّ. وهناك معنى ثالث مقصود؛ أنْ يَتَعَلَّمَ الطالبُ مهاراتٍ تتعلق بتعامله بالمجتمع – سواء فيما يتعلق بالسلوك الفرديّ للطالب، مثل: تحمُّل المسئوليَّة وإنشاء العلاقات وإدارة الحوار وتنظيم الاختلاف واحترام الرأي والرأي الآخر، والأسلوب الراقي المُهَذَّب والموضوعيّ والمنطقيّ وغير المُتحيِّز في طرح الأفكار ومناقشتها على طاولات الحوار. أو تعريف الطالب دوره في المجتمع، وواجبه نحوه، بما يشمل الخدمة العامَّة وترسيخ قِيَم التطوُّع وعمل الخير النافع...إلخ. وهذا كله يحتاج إلى تدريب منذ الطفولة.

---

(١) حنان عبد الحليم رزق: **مرجع سابق**، ص١٢٦

(٢) جمال محمد الهنيدي: **قراءات في علم اجتماعيات التربية**، مرجع سابق، ص١٠٤

(٣) بدرية صالح الميمان: **نحو تأصيل إسلامي لمفهومي التربية وأهدافها**، مرجع سابق، ص٦٦٧-٦٦٩

ومِنْ هنا يقع العبء عليها في ذلك التَّدريب والتَّعليم، وتحويل نفسها مِنْ بيئة راكدة مغلقة إلى مفتوحة متفاعلة، ومِنْ مكان لتلقين المعلومات إلى إطار تواصل وتفتح ومعارف، وبذلك يزداد وعي الطلاب بالمستقبل. لذا كان دورها في تحقيق التنمية الاقتصاديَّة حقيقة لا شك فيه؛ إذ هي مؤسسة تعليميَّة واقتصاديَّة في صورة تزويد الطالب بمهارات الحياة الأساسيَّة مِنْ خلال المراحل التعليميَّة، التي تجعله قادرًا على التَّعامل مع المجتمع، والالتحاق بالمهنة التي تؤهله قدراته وميوله لها، ومنها قد ينتقل لسوق العمل مباشرة كما في حال التَّعليم الفنيّ والتِّقنيّ والمِهنيّ، أو ينتقل إلى الجامعة؛ ليتخرج فيها إلى سوق العمل، "في إطار يراعي فيه خاصية الاقتصاد في تحصيل الأجيال الجديدة على ما وصلتْ إليه الأجيال السابقة لهم والمجتمعات الأخرى بأقل جُهدٍ ووقتٍ مُمَكَّنين وبأكبر عائد مُمْكِن"(١).

وهكذا تظل المؤسسة التربويَّة والتعليميَّة في تنسيق الجهود التي تبذلها مع باقي المؤسسات لإعداد المواطن الصَّالح المُصْلِح، أي مع سائر النُّظم الاجتماعيَّة في سبيل تربية الأجيال تربية حضاريَّة، وتظل على اتصال دائم بها لترشدها إلى أفضل الأساليب التربويَّة، وتتعاون معها على تنشئة الجيل الجديد أحسن تنشئة؛ لذلك صارتْ المرجع الأساسيّ في كل ما يتعلق بعمليَّة التربية ومساهم رئيسي في الاقتصاد المحليّ للمجتمعات، وفي مدى تحقق المستوى النهائي مِن التربية الحضاريَّة (تحقيق الإرادة الإلهيَّة)، وتلك كانت رؤية واسعة للهدف السلوكيّ المهاريّ، الذي يُراد مِن المؤسسة التربويَّة والتعليميَّة أنْ تشارك في ترسيخه لدى طلابها، خاصة مُنذ الصِّغَرِ، بجانب دورها في إكسابهم القدرات المعرفيَّة والوجدانيَّة؛ فكانت بمثابة مجتمع مُصَغَّر تعكس المجتمع الخارجيّ، وتشخص مختلف بنياته وعلاقاته التركيبيَّة، بما تتضمنه مِنْ تفاعلات نفسيَّة واجتماعيَّة، وهي قبل مؤسسة تعليميَّة وتربويَّة، وفضاء للتربية والتكوين والتَّعليم والتَّهذيب القِيَميّ والخُلُقيّ، وفضاء لتوفير أكبر عددٍ مِن المؤهلين الأكفاء لتحريك التنمية في المجتمع والاقتصاد، وإعداد نخب وظيفيَّة وسياسيَّة واقتصاديَّة، وتكوين رجال الغد (الناشئة) وبناة المستقبل (الشباب المسلم).

(٣) مؤسسة المسجد:

المسجد ركيزة أساسيَّة ودُعَامة قويَّة في بناءِ المجتمع، مذ "كان في صدر الإسلام المكان الذي يتخرَّجُ منه الفقهاء والعلماء والقادة والمُصْلِحُون في شتَّى المجالات؛ كان مدرسةً تُرَبِّي الرجالَ، ومركَز تدور حوله حياة المجتمع، وعلى نور رسالته تسير خُطَى الحياةِ في المجتمع

(١) جمال محمد الهنيدي: **قراءات في علم اجتماعيات التربية**، مرجع سابق، ص١٢٦

(النور:٣٦-٣٨)، ولم تقتصر وظائفه على أداء الصَّلوات، وإنما امتدتْ لتشمل كل جوانب ذِكر الله الذي يدخل فيه تلقِّي العِلم وتعليمه أو مزاولة أعمال البِّر، وكل شئون الطَّاعة التي لا تتم على خير الوجوه إلا بذكْرِه ومراقبته، تضم بناء الإنسان وإعداده وتعليمه مِنْ جميع الجوانب، وتعليم المجتمع وتطويره والعمل على تقدمه ونموه وتحقيق سعادته في شتى المناحي وفي العمل مِنْ أجل رضا الله"[١]، هذه أهم الأدوار التي اضطلع بها عبر التاريخ الإسلاميّ المُشَرِّف؛ كمركزٍ للنشاطات التربويَّة والدينيَّة والاجتماعيَّة والإدرايَّة.

وهو الآن يتطلع – في القرن الواحد والعشرين- في ظل صعوبة الحياة وقسوتها وانفتاحها وتطورها السَّريع، وانفتاح أبناء الأُمَّة وعقولهم على العالَم، في ظل المخاطر والتحديات وما طرأ على المجتمعات العربيَّة والإسلاميَّة مِنْ تغيراتٍ في العديد مِن الجوانب الحياتيَّة، وكذلك في ظل منهج بعض وسائل الإعلام في الترويج لفكرةٍ أو تشويه لمؤسسةٍ أو زعزعة لعقيدة؛ مِنْ شأنِه أنْ يفرضَ عليه أنْ يُقِيمَ عمله على استراتيجيَّةٍ واضحةِ المَعالِم، يتمكَّن بها مِنْ تَحَمُّل مسئوليته تجاه الفرد والمجتمع والأُمَّة – أي تلبية حاجة المجتمع، وتكوين شخصيَّة أفراده وتحصينها بمناعةٍ حضاريَّةٍ وثقافيَّةٍ وروحيَّةٍ وأخلاقيَّةٍ ونفسيَّةٍ ووجدانيَّةٍ وعقليَّةٍ وسلوكيَّةٍ وانفعاليَّةٍ وجسديَّةٍ وجهاديَّةٍ بمفهومه الشَّامل في جميع النواحي البشريَّة – الأمر "الذي يدفع الناس إلى العمل على إصلاح مجتمعهم وتحسين أحوالهم الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والصحيَّة والثقافيَّة"[٢]. ولبيان المعاني التي ينطوي عليها هذا المظهر ما يعني أنَّه "على المُربيِّن والمسئولين أنْ يُؤمنوا بضرورة تحويل المساجد إلى مدارس للدين والدنيا، والتَّأديب والتَّعليم، والنُّصح والمُشاورة، والتَّعارف والتَّآلف، والتَّشاور والتَّفكير؛ لتكون منطلقًا باسم الإسلام، ودافعًا لعمليَّات البناء والتَّطوير"[٣]. ومِنْ هنا يتحدد دور المسجد في تنمية الأجيال المسلمة وبعث حركة الحياة وترقيتها، مِنْ خلال عدةِ مساراتٍ محددةٍ فيما يلي:

أ- تنمية القِيَم الأخلاقيَّة وتأصيل الجوانب الدينيَّة والروحيَّة والسلوكيَّة.

ب- استثمار مركزيَّة الدعوة في تمكين الأجيال مِنْ رسالة المساجد الحضاريَّة.

ت- تطوير لغة الخطاب الدَّعويّ الدينيّ المُوَجَّه للغرب على وجه الخصوص.

ث- توسيع أنشطة وبرامج المساجد في ممارسة فعاليَّات النشاط التَّربويّ العام.

---

(١) حنان عبد الحليم رزق: **مرجع سابق**، ص١٢٨

(٢) حنان عبد الحليم رزق: **مرجع سابق**، ص١٢٩

(٣) هاشم بن على الأهدل: **مرجع سابق**، ص٤٨٢

- **تنمية القِيَم الأخلاقيَّة وتأصيل الجوانب الدينيَّة والروحيَّة والسلوكيَّة:**

إنَّ أول ما ينبغي على التربية الحضاريَّة المسجديَّة التي تهدف إلى إقامة المجتمع المسلم، هو تربية شبابه على غرس القِيَم والعادات الصَّحيحة التي تساعد على تكوين الشخصيَّة السويَّة – في ظل طبيعة انتشار تقنيات العصر وأجهزة البث الفضائيّ المباشر، التي أطاحتْ بكثيرٍ مِن القِيَم الإسلاميَّة، والآداب النبويَّة، وقتلت غَيْرَةَ الرجالِ، وأضاعتْ حياءَ النساءِ – إلا ما رحم– حتى صارتْ المجتمعات الإسلاميَّة لا تفترق كثيرًا عن الغربيَّة – نظرًا لاستهداف الأعداء والخصوم؛ السَّعي للقضاء عليه وتشويهه في صورة تدمير قِيَم الشباب المسلم، بالتالي "إكساب الشباب القِيَم الأخلاقيَّة عن طريق المسجد لن يتأتَّى إلا إذا أَحْسَنَ الأئمة والخطباء خطبة الجمعة وتنوعتْ موضوعاتها وجعلها حَيَّةً تناقش الأمور الدينيَّة والقضايا الفقهيَّة، وتتناول سيرة الرسول غ والصحابة ش وأئمة الفكر الإسلاميّ وقادته؛ كقدوة يُقتدَى بهم، كما تتناول مشكلات وقضايا العصر وعلاقتها بالدين ورأي الدين فيها[١].

هذا المطلب لن يشأ له أنْ يتحقق إلا إذا كان الأئمة على وعي تامٍّ بمتطلبات تجديد الخطاب الدَّعَوِي**، لذا "يحتاج الداعية المعاصر إلى ممارسة الإبداع والتَّجديد في ممارسة دوره الرِّساليّ والإنسانيّ بما يضمن بقاء دعوته حيَّة بين الدَّعوات، وشرط هذا الفعل أنْ يرتفع منسوب الإحساس بالخطر إلى أعلى مستوياته بالتَّحديات التي تواجه رسالته ومبادئ دعوته مِنْ ناحية، والوعي بحقيقة المستجدات التي طرأتْ على موضوع دعوته (الإنسان المعاصر) مِنْ ناحية ثالثة، وكذلك أنْ يُجدِّدَ مِنْ منهجيَّة نظرته إلى مدار دعوته – أي رسالته – التي يدعو الناس إليها، هذا مِنْ ناحية رابعة. وبين كل ذلك إعادة النَّظر في الأدوات والوسائل"[٢] – أي أنَّ متطلبات تجديد الخطاب الدَّعوي يلزم؛ إعادة اكتشاف مبادئ الإسلام (تجديد منهجيَّة النَّظر)، والوعي الكامل بحالة الإنسان المعاصر، وارتفاع منسوب الإحساس بالمخاطر والتَّحديات، وفحص التَّحديات المعاصرة للخطاب الدَّعويّ، وتجديد الوسائل والأدوات، مما يعني:

---

(١) حنان عبد الحليم رزق: **مرجع سابق**، ص١٣٠

** يُقصد بتجديد الخطاب الدعوي: إحياء ما اندرس مِنْ تعاليم الإسلام واستثمار الآليات الحديثة في نشره وإبراز الرأي الديني في الأمور المستحدثة، والتصدي للآراء المتطرفة والمغالية والجامحة. ولذا كان من دواعيه: اندراس بعض معالم التدين في عقول الكثيرين، بسبب طول الزمان، وتصاريفه في الأشخاص والأفكار.

(٢) موقع الصفحة الرسمية: حسان عبد الله حسان على الفيسبوك من خلال الرابط التالي: Hassan.a.nasr https:// www.facebook.com/

- أنَّ الدَّعوة لله تعالى (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) [النحل:١٢٥]، لا لشخص الداعية ولا لقومه، وإنما بقلوبٍ خالصةٍ مُتجردةٍ عاملة لله سبحانه، يقول الرافعيّ: "ما الحِكمة هنا إلَّا السياسة الاجتماعيَّة في العمل، وليست الموعظة الحسنة إلَّا الطريقة النفسيَّة في الدعوة. والعلماء ورثة الأنبياء، وليس النَّبي مِن الأنبياء إلا تاريخ شدائد ومحن، ومجاهدة في هداية الناس، ومُراغمة للوجود الفاسد، ومُكابدة التَّصحيح للحالة النفسيَّة للأُمَّة"(١).
- أنَّ الداعية الحكيم هو الذي يَفْهَمُ الإسلام فهمًا صحيحًا كما فهمه سلف الأُمَّة الصَّالح ثم ينطلق لدعوة الناس إلى الإسلام بشموله لنقلهم مِنْ صورة الإسلام إلى حقيقة الإسلام؛ بدعوتهم إلى الأصول قبل الفروع وإلى الكُليَّات قبل الجُزئيَّات. وهو في ذلك يبذل جهده وفكره وروحه لتهيئة النفوس الشَّاردة والعقول المُشوَّشة لتقبل الحق؛ بالتلطُّف والتدرُّج والفَهْم العميق لحجم شرود هذه النفس وقدر التَّشويش عند هذا العقل، لإعداد الحُجَّة والبلاغ الذي يتناسب مع حال المدعوين مِنْ حيثُ انتهى إليه فهمهم لا مِنْ حيثُ انتهى إليه فهم الدَّاعي.
- أنْ ينظر بوعي ثاقب وبصيرة نيّرة إلى مآلات الأقوال والأفعال مِنْ مصالحٍ ومفاسد...، أنْ تكون الأقوال والأفعال، بل والاجتهادات الحركيَّة المُتجددة بتغير الظروف وتجدد الأحداث، مُنْبَثِقَةً مِنْ خلال منهج مضبوط وفق الأصول الشرعيَّة، ويعرف متى يعدل عن الدعوة بالحكمة والرِّفق واللِّين إلى الشِّدة – أحيانًا– إذا انْتُهِكَتْ حُرْمَةٌ مِنْ حُرُمَاتِ الله؛ ولكن بالقدْر الذي ينبغي مع مراعاة الضوابط الشرعيَّة، وله في غ الأسوة والقدوة والمَثل(٢).

ولكي يكون الدَّاعي مُؤَثِّرًا: يجب أنْ يتسمَ بسِعَةِ الأُفُقِ واتساعُ الفكرِ وحفظُ القرآنِ والإلمامُ بالأحاديثِ وتفسيرها، ويتسمَ بشِيَمٍ وأخلاقٍ شتَّى منها: الثقة في الله والصدق والصبر والشجاعة في الحقِّ والحُكم والتَّواضع والجود والكرم والمروءة والنَّجدة وحُسْنُ المعاشرةِ لأهله ولِمَن يدعوهم والشَّفقة والرحمة وحُسْنُ العهدِ والوفاءِ به، وبالقناعةِ والرضا حتى يُمْكِنُه أنْ يُقْنِعَ الناسَ بالتحلِّي بهذه الصفات والتمسك بالقِيَم الأخلاقيَّة؛ فعن طريق القدوة الواعية تتم التوعية الأخلاقيَّة للشباب في المسجد، فيعرفون الصورة الحقيقيَّة عن الإسلام، وهنا يجب ألا يهتم الداعية بالمظاهر؛

---

(١) مصطفى صادق الرافعي: **وحي القلم** – تحقيق: أحمد جاد (القاهرة: دار الغد الجديد للطبع والنشر بالمنصورة، ج٣، ١٤٣٨هـ) ص٤١

(٢) محمد حسان: **خواطر على طريق الدعوة** (القاهرة: مكتبة الدعوة، ط٢، ١٤١٤هـ) ص١١٣-١١٧

ولكن بالجوهر وبالمضامين الحقيقيَّة للتربية الأخلاقيَّة، ولا يكتم واجبًا أمر الله به، وألا يتغاضى عن منكر نهى الله عنه"[١].

- **استثمار مركزيَّة الدعوة في تمكين الأجيال مِنْ رسالة المساجد الحضاريَّة:**

الرسالةَ المسجديَّة مُرتبطةٌ ارتباطًا وثيقًا برسالة الدَّعوة الإسلاميَّة أو هي بعينها؛ فرسالةُ الإسلامِ غايتها الأولى وَصْلُ الناسِ بالله، والمساجد تُسهِم بالنَّصيب الأوفى في تحقيق تلك الصِّلة وتوثيقها، والعمل على رَوَاجِهَا واستمرارها، ولهذا جاءتْ النُّصوص الكثيرة تُحَبِّبُ في المساجد، وَتُرَغِّبُ في زيارتها والتَّرَدُّدُ عليها؛ لإقامة الصلوات المفروضة، وتَعِدُ المسلمَ على ذلك بالثَّواب الجزيل والأجر العظيم. فكان المسجد مركز إشعاع هذه الدَّعوة، وعليه أنْ يبقَى كما كان – حامل الدَّعوة إلى العالَم وقيادة البشريَّة إلى طريقِ الهُدَى والرَّشادِ – مُتحمِّلًا لتبعات هذه التربية ومسئوليتها، فهو خير مكانٍ يكتسِبُ فيه الفرد القِيَم الأخلاقيَّة البانية لشخصيَّته، المُهذِّبة لسلوكه والمُعدِّلَة له أيضًا إذا حاد عن الطريق[٢]، و"لهذا مِن الواجب الاهتمام بإعداد الدُّعاة وتأهيلهم حتى يكونوا على مستوى المسئوليَّة. كما يجب أنْ تُدقِّقَ الجهات المسئولة عن تعيين الدُّعاة وإعدادهم في الشروط الواجب توافرها عند اختيار مَنْ يتحمَّلون هذه المهمة الخيِّرة"[٣] . بإضافةً إلى أنَّ حلقات العِلم والتَّدريس تزيد مِنْ حصيلة المدعوين؛ تلبيةً لحاجتهم فيتعلمون القرآن ويرتلونه فيجمعون بين النُّمو الفكريّ والحضاريّ بتعلم القراءة التدبريَّة، إلى جانب تعليم الحديث والفقه والمواد المساعدة كاللغة والتَّاريخ وكل ما يحتاجون مِنْ نظم الحياة الاجتماعيَّة كما أراد الله أنْ ينظمها للإنسان؛ كل ذلك يعمل على تعلُّم أفراد المجتمع دينهم، ويتبيَّن لهم أنَّ كلَّ علمٍ مِن العلوم الكونيَّة المعاصرة، مِن العلوم المُرَغَّب في تعلُّمها وإتقانها ما دام أنها لا تتعارض مع أصول الدين وفيها مصلحة للأُمَّة؛ حينها تُواصِلُ النَّفس مسيرة الحضارة، وهي مشدودة إلى رِبَاطِ الهَديِّ الربَّانيّ، وهذه القوة الروحيَّة التي يكتسبها المُتربُّون تجعل منهم أفرادًا صالحين في مواقعهم، ويعملون لبناء حضارة قويَّة تنهض بأمتهم، وتدفعهم إلى مراتب العِزَّةِ والسُّؤددِ؛ لتتبوأ مكانها اللائقة بهم بين الأُمَمِ[٤].

---

(١) حنان عبد الحليم: **مرجع سابق**، ص١٣١

(٢) حنان عبد الحليم رزق: **مرجع سابق**، ص١٣٠

(٣) جمال محمد الهنيدي: **قراءات في علم اجتماعيات التربية**، مرجع سابق، ص١٤٩، وحنان عبد الحليم رزق: **مرجع سابق**، ص١٣٠

(٤) هاشم بن علي الأهدل: **مرجع سابق**، مرجع سابق، ص ٤٨٥، للمزيد من التفصيلات، انظر:
- هشام الطالب وعبدالحميد أبوسليمان وعمر الطالب: **التربية الوالديَّة**، مرجع سابق، ص١١٤، ١١٦.

- **تطوير لغة الخطاب الدَّعوي الدينيّ المُوَجَّه للغرب على وجه الخصوص:**

التربية الحضاريَّة تدعو إلى الاعتدال والتَّوازن والوسطيَّة في سائر شئون الحياة؛ لينشأ المسلم سويًّا، ويتجلى هذا الاعتدال بالتَّوازن على العموم، إذ "يكسبُ الإسلام التربية توازنًا بين النظريَّة والتَّطبيق، وتوازنًا بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة، وتوازنًا بين أشواق الفرد الروحيَّة وتلبية حاجاته الماديَّة والاجتماعيَّة، وهذا التَّوازن في التربية الإسلاميَّة يجعلها أقرب ما تكون إلى طبيعة الأشياء"(١)، وقد جاء الكثير مِن النصوص القرآنيَّة والنبويَّة لتؤكد هذه الحقيقة – الإسلام دين الوسطيَّة، ينبذ الغلو والتطرُّف، والتَّقصير والتَّفريط – وأنَّ "الدعوةَ إلى الله مِنْ أسمى الأعمال التي يقوم بها الإنسان مصداقًا لآية (فُصِّلت:٣٣)؛ ولكن هذه الدَّعوة لا بدَّ وأنْ تقوم على دِرايَةٍ وعلمٍ مُتخذيْن النموذج الأمثل في الدعوة إلى الله، وهو الرسول غ القدوة الطيبة، الذي كان يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة (النحل:١٢٥).

وحين تنكَّبَ المسلمون الطريق الذي رُسِمَ لهم مِن الله ورسوله؛ أصبحتْ الدَّعوة إلى الله ليست خالصة له، بل خاضعة لأهواء شخصيَّة أو رؤى حزبيَّة أحيانًا؛ ما أدَّى إلى تدهور كبير في الدَّعوة الإسلاميَّة، وتشويه صورة الإسلام في الدَّاخل والخارج – خاصةً الغَرب– جعلتهم يتَّهمون الإسلام – وهو خلط بين الإسلام وواقع المسلمين– بالعُنف والإرهاب، وإثارة القلاقل والحروب، ومعاداة الحضارة الغربيَّة، ومعاداة الأخذ بالعلوم والتكنولوجيا الحديثة، ومعاداة المنهجيَّة العلميَّة في التفكير.. هذه الصورة المشوَّهة هي الذَّريعة التي يتخذها أصحاب القرارات الغربيَّة لرسم خرائط جديدة للعالَم الإسلاميّ، خرائط جغرافيَّة مِنْ خلال التَّخطيط لتقسيم بعض الدُّوَل؛ كالعراق والسُّودان وليبيا وسوريا..، وخرائط ثقافيَّة وفكريَّة، مثل: التَّدخلات السَّافرة في النُّظم التعليميَّة والتربويَّة مِنْ خلال تغيير المناهج، وبعض النُّصوص في التربية الدينيَّة"(٢). هذه التُّهم أَسْهَمَ فيها المسلمون لأسباب تتعلق بهم وبواقعهم، وأخرى تتعلق بالغرب وحدهم؛ بالتَّالي لا بد مِنْ رؤيةٍ تَصحيحٍ يتجلَّى فيها الإسلام الحقيقيّ؛ دينًا حضاريًّا يحترم حقوق الإنسان وحريته، والعِلم ويَعُدُّه فريضة، ويُقِرُّ بحق الآخر في الحقوق والواجبات.. ولتحقيق ذلك، فإنَّ الأمر يتطلب مراعاة:

---

(١) محروس إبراهيم غبان وآخرون: **أصول التربية الإسلامية** (الرياض: دار الخريجي للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ) ص١١١

(٢) إبراهيم حسن إبراهيم سعد: تجديد الخطاب الديني في مصر: البواعث – المظاهر - الآثار: دراسة دعوية (رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالي للدراسات الإسلامية، وزارة التعليم العالي، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م) ص٣٤

أولًا: "الاختلاف الكبير بين عقليَّة الغرب وعقليَّة المسلمين: أي لا بد أنْ يكون الخطاب المُوجَّه خطابًا عقلانيًّا يتناسب معهم، مُنْصَبٌّ على القضايا الغربيَّة ذات الأهمية عندهم؛ كالديمقراطيَّة، وحقوق الإنسان، والحُرِّيَّات..، بعيدًا عن مخاطبة العواطف وإثارة المشاعر. ثانيًا: استخدام الوسائل الموجودة والمعتبرة عندهم: إذ لا تقتصر الدَّعوة على المساجد فقط، بل لا بدَّ مِنْ استغلال شغفهم وحبهم للقراءة؛ فتُصاغ المادة الشرعيَّة في صور أدبيَّة، فنيَّة، دراما.. ويستخدم في ذلك كل الوسائل العصريَّة؛ ولكن بضوابطها الشرعيَّة. ثالثًا: يتناول أولويَّات الدَّعوة: وهي قضايا العقيدة قبل الشريعة، والغاية مِنْ الحياة، ودور الإنسان فيها، ثم كيف سيؤثر الإسلام على حياتهم المُعاصرة للأفضل؟ بعيدًا عن الإغراق في جدل أو موضوعات لا تمس واقعهم، مع إظهار قِيَمه الأخلاقيَّة بصورة عَمَلِيَّة مِنْ قدرة على التَّفاهم والتَّسامح واحتواء الآخر واستيعابه. رابعًا: الاهتمام بالقواسم المشتركة: قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ [آل عمران:٦٣].

خامسًا: سياسة إعلاميَّة وثقافيَّة وفكريَّة مُوحَّدة: أي المواجهة العِلميَّة المُتكاملة لصورة الإسلام المُشَوَّهة لدى الغرب؛ تتطلب تكامل كل المؤسسات الحكوميَّة وغير الحكوميَّة العاملة في المجال الثقافيّ والتَّربويّ والإعلاميّ في العالَم العربيّ، ويجب أنْ تُوَظَّفَ وتُنَفَّذَ بكل الإمكانيَّات الماديَّة والبشريَّة للدُّول الإسلاميَّة مُجتمعةً؛ حتى تكون قادرة على ردِّ الحملات الشرسة المسعورة ضد الإسلام. سادسًا: دعم المسلمين وتشجيعهم في الغرب: هذا الدَّعم سواء كانوا مِنْ أصولٍ عربيَّةٍ أو غربيَّة، بأنْ يُشكِّلوا لوبيًّا إسلاميًّا في التَّأثير على الرأي العام، وصُنَّاع السياسات والقرارات، فضلًا عن ربط الأقليَّات هناك بالعالَم الإسلاميّ، وتنسيق السياسات معاهم، وإمدادهم بالمعلومات والبيانات؛ لأنهم الأقدر على مخاطبة مجتمعاتهم. سابعًا: تفعيل دور الأجهزة والمؤسسات: مثل أجهزة جامعة الدول العربيَّة، ورابطة العالَم الإسلاميّ، ومنظمة المؤتمر الإسلاميّ، والندوة العالميَّة لشباب العالَم الإسلاميّ، ورابطة الجامعات الإسلاميَّة؛ للتنسيق ورسم سياسات للإعلام والنشر باللغات الأجنبيَّة، وتصميم برامج للصَّحافة والتليفزيونات الغربيَّة، تكون قادرة على نشر حقائق الإسلام، واستبعاد ما لا يتفق مع كل القِيَم الإسلاميَّة والمسيحيَّة واليهوديَّة

الصحيحة والمبادئ الإنسانيَّة"[1]. يتضح أنَّ الكشف عن الطبيعة المميزة للدين الإسلاميّ يُسهِم إلى حدٍّ كبيرٍ في إزالة اللَّبْس الموجود في الذهنيَّة الغربيَّة تجاهه، ويُصَحِّح المفاهيم المغلوطة التي رسخت في أذهانهم هناك. كما أنه مِن المنطق السَّليم تغيير صورة العالَم الإسلاميّ، الذي يقتضي بالضَّرورة تغيُّر صورة المسلمين، ولن تتغير صورة المسلمين إلا بتغيير واقعهم الصَّعب، وهو ما يقتضي ببساطةٍ شديدةٍ (الالتزام) بتطبيق تعاليم الإسلام الصَّحيح بقِيَمِهِ ونُظُمِهِ وسُلوكيَّاتِهِ في الواقع الاجتماعيّ للشعوب العربيَّة والإسلاميَّة – أي تطبيق ما يُحَاوَل نشره وإفهامه للآخرين بصدد جوهر الإسلام الحنيف.

- **توسيع أنشطة وبرامج المساجد في ممارسة فعاليَّات النشاط التَّربوي العام:**

نظرًا لأهمية وخطورة المؤسسة المسجديَّة التي ترجع إلى كونها المصدر الأقوى بطبيعة الإشباع الدينيّ، والدور المهم الذي يلعبه الدُّعاة والأئمة في تشكيل وعي الشباب والجماهير المسلمة، فالجهود الحاليَّة التي تُبذل – مع عِظَمِ الدور المهم المنوط بتلك المؤسسة في أنها تقف على ثغرةٍ مِنْ ثُغورِ الإسلام – لا تتناسب مع خطر الاتجاهات المتناقضة والضُّغوط التي تتعرض لها المجتمعات الإسلاميَّة في كل مكان. وهذا يتطلب أولًا وقبل كل شيء: وجود مسئول تربويّ بالمسجد، وقد تكون هذه المسئوليَّة على إمام المسجد أو يختار الإمام مَنْ يتفرغ لهذه المسئوليَّة التربويَّة المهمة؛ ولكن السؤال هنا: مَنْ يُختار لهذه المسئوليَّة؟ وما هي مُهِمَّاتِه التربويَّة ووظائفه التي يمكنه القيام بها في المسجد؟ إلى آخره مِن التساؤلات التي لا مناص مِن التَّصدي لها، وتلك مسئوليَّة المنهج؛ فأول خطوات التربية الحضاريَّة المسجديَّة هو اختيار مَنْ يقومون بهذه التربية، ثم الارتقاء بأحوالهم العلميَّة والإيمانيَّة، ويُراعَى في انتقاء مَنْ يقوم بهذه المهمة الصَّعبة مَنْ توفرت فيه شروط أو صفات معينة، منها:

- أنْ يكون مِمَّنْ يتمتع بالعقيدة الصَّحيحة، والفهم المُتكامل للعقيدة والتوحيد، متمثلًا في منهاج النُّبوة (القرآن والسُّنة)، ويَسْلُك طريقَ سلفَ الأُمَّةِ الصَّالح ش، أو عقيدة أهل السُّنة التي حدَّدها المذهب الأشعريّ؛ لوسطيّته في فهم الإسلام، ولكونه يعرض العقيدة صافية خالية مِن الشوائب والأفكار الهدَّامة والمُنحرفة.

---

(١) إبراهيم حسن سعد: **مرجع سابق**، ص٣٧-٣٨ نقلًا عن = محمد ياسر الخواجة: **تجديد الخطاب الديني وتصحيح صورة الإسلام لدى الآخرين** (القاهرة: دار نيوبورك، ٢٠١٧م) ص١٤-١٥، للمزيد من التفصيلات، انظر: نادية محمود مصطفى: خبرتي مع إسلامية المعرفة في: إبراهيم البيومي غانم وآخرون: رؤى في إسلامية المعرفة - **الكتاب رقم (٢) من سلسلة العلوم التربويَّة الإسلاميَّة** (القاهرة: دار الفكر العربي،٢٠٢٠م) ص٢٥٨

- أنْ يكون ممَّن يتمتع بالرؤية الكليَّة الحضاريَّة المشتملة على النِّظام المعرفيّ والتفكير المنهجيّ المستند إلى أصول وقواعد تتصف بالاستقرار والثبات، وعلى قدرٍ مِنْ معرفة المفاهيم الصَّحيحة.
- أنْ يكون "يَقِظًا عالمًا بأنَّ كُلَّ شخصٍ سيُسأل عن أربع، منها: "وعن عمره فيما أفناه"، نفعه مُتعديًّا، صادقًا في أقواله ومخلصًا في أفعاله، لا يرى لنفسه فضيلة تُميزه، ممَّن يعلم أنه لا تتحرك حركة في الكون إلا بإذن الله، ممَّن يعتقد أنَّ الله يُعطِي ويمنع فضلًا وكرمًا ولا يجب عليه شيء، ممَّن يُحَدِّث فيصدق، ويَعِدُ فَيَفِي، ويُؤَمَّنُ فيؤتمَن، سخيًّا حليمًا على كل مَنْ جَنَى عليه وآذاه، مِن الكاظيمن للغيظ والعافين عن الناس..." [(١)].

لا شك أنَّ توفُّر كل هذه الشروط عزيز؛ لذا ينبغي اختيار الأمثل فالأمثل، والارتقاء بأحوالهم العمليَّة والإيمانيَّة بعد الاختيار عن طريق: الدورات المُكَثَّفة، والمعسكرات التربويَّة، والقُرب مِن العلماء والدُّعاة المخلصين للترقِّي الإيمانيّ، وتيسير الكتب والمواد العِلميَّة اللازمة لرقيهم العِلميّ والإيمانيّ – خاصةً الكُتب التي تعتني بالتربية، وعلم النفس والصحة النفسيَّة مِن المنظور التربويّ الإسلاميّ – وكذا كتب العقيدة والفِكر الصَّحيح[(٢)]، أما عن روافد مُهمَّاته ووظائفه ومسئوليَّاته التربويَّة التي يُمكنه القيام بها، مِنْ أهمها: أولًا: التَّقريب بين الأفراد وتقوية الصِّلة بينهم؛ كأنْ يُنْشِئَ علاقاتِ المودَّةِ والمحبَّةِ مع المُتَربِّين بكثرة السؤال عنهم، ومشاركتهم في السَّراء والضَّراء، ومتابعة أحوالهم ومساعدتهم على فهم المشكلات بسماع رأي الدين فيها، وقضاء حوائجهم ومعونتهم قدر المستطاع، وإشعارهم بأهميَّة التَّعاون لرفع شأن المجتمع. ثانيًا: تزويد المُتَربِّين بالكتب التي تُعينهم على فهم دينهم، وتجديد وتعديد اللقاءات الإيمانيَّة التي يزداد فيها هو والمُتربِّين معرفةً وإيمانًا، وتواجد حلقات تلاوة للقرآن بالمسجد يتصدرها مَنْ هو أهل لتعليم التَّجويد سواء مَنْ بالمسجد أو مِنْ خارجه، على أنْ يكون الاهتمام والعناية بحديثي العهد بالالتزام[(٣)].

---

(١) حسن بن أحمد سبط الدسوقي الدمشقي: **نبذة لطيفة ونصيحة شريفة** (الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ١٤٤١هـ) ص١٢-١٤

(٢) أحمد فريد: **التربية على منهج أهل السنة والجماعة** (القاهرة: مكتبة فياض للطباعة والنشر بالمنصورة، ١٤٣٢هـ) ص٢٨١-٢٨٢

(٣) **المرجع السابق**: ص٢٩٢

ثالثًا: إرشاد المُتَرَبِّين إلى الاهتمام بحضور دروس العلم بالمسجد وبالمساجد الأخرى؛ حتى تَتَرَبَّى عندهم الهِمَّة في طلب العلم...، وذلك بإعداد ندواتٍ عامةٍ في المسجد والدَّعوة إليها، كذا مِنْ مسئولياته أنْ يقوم هو أو يُكَلِّفُ مَنْ يقوم بتدريس كتاب تربويّ إسلاميّ عقب بعد الصلوات ولو لدقائق معدودة[١]، رابعًا: المسجد هو المجال الذي تذوب فيه الفوارق الطَّبَقِيَّة بمفهومها الاقتصاديّ والاجتماعيّ؛ لدعمه الإحساس بالتَّضامن والتَّآخي والتَّآزر في المِحَنِ، حيث يساعد على تكوين الضَّمير ليعمل كدستور أخلاقيّ يُحَدِّدُ التصرفات دون الخوف مِن السُّلطة الخارجيَّة[٢]. خامسًا: الاهتمام بجيران المسجد، وتذكيرهم بفضل الجماعة، وفضل حضور دروس العلم والمشاركة في الخير، وتهنئتهم في المناسبات، ومواساتهم في المُلِمَّاتِ. ومِن مسئولياته: تنظيم المسابقات الرياضيَّة المباحة بين أفراد المسجد، فيكون ترفيهًا مباحًا لهم، وتدريبًا عليها، كذا تنظيم زيارات للمستشفيات لعيادة المرضى ودعوتهم إلى الطاعة والخير، وتعليمهم صلاة وطهارة أصحاب الأعذار، ومساعدة المحتاجين منهم، وتقديم الهدايا مِن الكتب والأطعمة لهم، وزيارة المقابر كما كان يفعل غ[٣]. جدير بالتذكير هنا أنَّ المسلمَ مأمورٌ بأنْ لا يخلط بين منهج الله وبين أي منهج آخر، لا في التصوُّر الاعتقاديّ ولا في نظامه الاجتماعيّ، ولا في كل شأن مِنْ شئون حياته؛ لذلك لا بدَّ للدعوة مِن التَّمايُزِ والمُفارقةِ والتَّجاوزِ لكل ما هو مُتغيّر مُتحيّز مشوبًا بهوى، بالتالي لا بدَّ للتربية مِنْ منهجٍ عامٍّ تقوم به الدَّعوة للوصول إلى الهدف التَّربويّ المنشود، وهو تربية الجيل تربية حضاريَّة إسلاميَّة، ولتحقيق ذلك، فإنَّ الأمر يتطلب:

- أنْ تتبنى الدَّعوة منهجًا علميًّا يُدَرَّس في المساجد؛ لأنَّ المنهج العلميّ مِنْ صميم المنهج التَّربويّ- علاوة على- أنَّ "مفهوم المنهج أصلًا متوطِّن في ماضي الأُمَّة أو في تراثها الذي امتلك رصيدًا منهجيًّا هائلًا في مسيرته التاريخيَّة، فمِنْ حصاده أنه أفْضَى إلى النَّقلة الحضاريَّة الكبرى، وهي العلم الحديث"[٤].

---

(١) أحمد فريد: **مرجع سابق**، ص٢٩٢-٢٩٣

(٢) جمال محمد الهنيدي: **قراءات في علم اجتماعيات التربية**، مرجع سابق، ص١٤٩

(٣) أحمد فريد: **مرجع سابق**، ص٢٩٣-٢٩٤

(٤) يُمنى الخولي: **مرجع سابق**، ص١٢٧، وللمزيد حول قضية العلم وتوطين منهجيته، ومعالجتها معالجة تفصيلية ومستجدة، انظر:

- يُمنى الخولي: "نحو توطين المنهجية العلمية في العالم الإسلامي: رؤية فلسفية" **مجلة عالم الفكر**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، العدد الثاني، من المجلد الثالث والأربعين، أكتوبر – ديسمبر ٢٠١٤م، ص١١٩-١٧٨.

- أنْ يُرَبَّى الجيل المسلم على صحيح العقيدة والفهم السليم للكتاب والسُّنة؛ وذلك بانتقاء كتب بعينها ذات صلة بالمنهج لمن يُنسب إلى الفهم الصَّحيح والعقيدة السَّليمة على مستوى الدَّعوة، وأنْ تكون أكثر مِنْ مستوى أو طبقة، فمَنْ يَدرِس منهج المستوى الأول يترقى إلى الثاني ثم الثالث حتى يتأهل بعد لممارسة الدَّعوة[١].
- أنْ تغرِس الدعوة المفاهيم الصَّحيحة وما تتبناه مِنْ فكرٍ ومعتقدٍ ومواقف تجاه الواقع والأحداث الجارية في قلوب أبنائها المُتَرَبِّين، وأنْ تُوَحِّدَ فِكْرَهُمْ، فيتربَّى الصِّغار على ما تربى عليه الكِبار، فهي لـ "ضبط الوظيفة الاتصاليَّة لتكوين العقل الجمعيّ، أو التَّفكير المُوَحَّد المنبثق عن المنهج الإسلاميّ، حيث تلتف الأُمَّة حول هُوِيَّتها وعقيدتها، ويتكون الشعور بالأخوة والمساواة والعدالة والتعاون من أجل بناء مجتمع متماسك قوي البنيان...، ويكون قوةً فعَّالةً لمواجهة الغزو الحضاريّ، ويقفُ صفًّا واحدًا أمام المخاطر والتَّحديات"[٢].

يتضح أنَّ الرسالة المسجديَّة الحضاريَّة تشمل جوانب الحياة الإسلاميَّة بكل روافدها المتعددة ومجالاتها المختلفة، مِن الحياة الدينيَّة والروحيَّة والوجدانيَّة والقيميَّة والخُلقيَّة، والعقليَّة والفكريَّة والسلوكيَّة، كما تُمثِّل الجانب الاجتماعيّ والقضائيّ والتعليميّ والثقافيّ والتربويّ والعسكريّ والوقائيّ وغيرها، أي بمثابة قلعة حصينة تحفظُ أمنَ الدِّينِ والهُوِيَّةِ والوطنِ.

(٤) مؤسسة الثقافة والإعلام:

لطالما شَكَّلتْ الثقافةُ جُزءًا مِنَ القِوَى النَّاعمة، كونها أحد أبرز الأسس التي تدعم توجُّهات التَّطوير البشريّ، ومدُّ جسورُ التَّعاونِ والتَّفاهمِ والتَّرويحِ والحوارِ والتَّواصلِ بين الدُّولِ والشُّعوبِ مِنْ أجلِ حاضرٍ مزدهرٍ ومستقبلٍ أفضلٍ للأجيالِ القادمةِ. بمعنى أنَّ الإنسان هو الكائن الوحيد على وجه الأرض الذي يملك الثَّقافة وهي نتاج له، وهو الوحيد القادر على نقل ما تعلَّمه وما اكتسبه مِنْ عاداتٍ وتقاليدٍ واتجاهاتٍ واستعداداتٍ ومعارفٍ وعقائدٍ وأخلاقٍ وفنونٍ وقوانينٍ للأبناءِ والأجيالِ. مما يُستنتج أنَّ للثقافة وظيفتيْن أساسيتيْن في تربية الأجيال تربية حضاريَّة: أحدهما اجتماعيَّة، وثانيهما: نفسيَّة**، أي أنَّ "الثقافة هي التي تقوم بتسيير الفرد فـ تُمْلِي عليه سلوكًا

---

(١) أحمد فريد: **مرجع سابق**، ص٢٩٥-٢٩٧

(٢) هاشم بن علي الأهدل: **مرجع سابق**، ص٤٨٧

** الوظيفة الاجتماعيَّة بمعنى أنها "لا تنتقل بطريقة فطريَّة موروثة من الآباء إلى الأبناء، فالطفل يولد دون شخصيته، ثم تتكون شخصيته خلال تفاعله مع المحيط الخارجيّ في الأسرة والمدرسة والمجتمع، ويؤدي التعليم والتقليد إلى خلق مركَّب ثقافيّ في شخصيته، وهذا المركب يتكون من القِيَم والعادات وأنماط السلوك، التي تعني الأفكار والمشاعر والتصرف في المواقف المختلفة". أما وظيفتها النفسيَّة بمعنى أنها "تكسِبُ الأفراد أساليب التفكير

معيناً وتُلزِمه بمعايير خاصة يصنعها المجتمع؛ لضبط سلوك أفراده، ويكون هذا الالتزام طبيعيًّا بالنسبة للإنسان، وهذا الالتزام هو الذي يؤدِّي بالفرد إلى كسب شخصيَّةٍ معينةٍ يكون المركب الرئيسيّ فيها للثقافة، بما قد يعني أنَّ سلوك الأفراد هو نتاج ثقافيّ"[1].

ومِن هنا كان بناء مستقبل الأُمَّة وصناعة حضارتها ودعم أمنها واستقرارها؛ ثقافة عقليَّة قبل أنْ تكون إنجازًا ماديًّا – في الوقت نفسه – تمايزتْ الثقافة بخصائصها المتعددة، إذ تُعطِي طابعها النَّوعيّ كهُوِيَّة اجتماعيَّة تعمل على تماسك المجتمع في توجُّهاته الكبرى وقولبة أفراده كأعضاء فيه، بالتَّالي فهي تدخل كعامل مؤسس للحضارة وللقوميَّة؛ فتصبح عنصرًا مِنْ عناصر الهُوِيَّة أساسًا، وعنصرًا مِنْ عناصر بلورة القوميَّة التي هي بدورها عنصر أساسيّ لتكوين الهُوِيَّة والحفاظ عليها؛ لذا كان التَّركيز على القوة الناعمة مِنْ أولويَّات المرحلة الراهنة. ومِنْ فقه المرحلة التنُّبه الشديد لقضية الهُوِيَّة كقيمة؛ لأنَّها قد أصبحتْ تشترك في تحديد مفهومها كل القِيَم الكبرى مِن الإنسانيَّة حتى القوميَّة والوطنيَّة والعقل والفكر واللُّغة والدِّين والتَّاريخ؛ فلا ثقافة لغة بدون أساسٍ، حيث تكون وسيلة التَّفكير ومنطلقه، وتُميِّز الأُمَّة بقوميَّتها الواضحة. كما أنَّ الوطن نفسه أساس لتحديد الهُوِيَّة، قد يكون متعدد الدُّول أو المجموعات الدوليَّة؛ ولكن يجمع المنتمين إلى القوميَّة الواحدة، ويمنحهم هُوِيَّة مُوحَّدة، بالتَّالي: لا هُوِيَّة بدون انتماء وطنيّ وإلى اللُّغة والدِّين– هذا الأخير له أثر كبير في بلورة الهُوِيَّة، فهو منظومة فكريَّة تُوحِّد المُنتمين إليه في عقيدة واحدة، وبعقليَّة مُتقاربة، تساهم في بلورة الوحدة التي تمزقها القَبَليَّة والأيديولوجيَّة أو السياسيَّة أو الحزبيَّة. ومِنْ هنا كان للدِّين الأثر الأكبر في تحديد الهُوِيَّة العربيَّة وبلورتها؛ فالعروب قدمته كأساس للهُوِيَّة، والذين آمنوا به مِن العرب ازدادوا تعلقًا بالعروبة كلغة – يضمنها القرآن – وثقافة – أسهم القرآن في انطلاقاتها الفكريَّة والفلسفيَّة والفقهيَّة؛ فكانت اللغةُ مجاورةً للدِّين كأساسٍ للهُوِيَّة، خدمتْ الإسلام وخدمها بما قدم لها مِنْ قِيَم، في مقدمتها القرآن المجيد.

والمعرفة وقنوات التعبير عن العواطف والأحاسيس ووسائل إشباع الحاجات (الفيسيولوجيَّة)، فيصبحوا أعضاء في ذلك المجتمع، يعيشون ويتصرفون تبعًا لتلك التوجهات [القوليَّة]، وهو ما أصبح يدل عليه بمصطلح (التدامج الاجتماعي) أو (التنشئة الاجتماعيَّة)". إذن لكل شعب ثقافة، بمعنى له أنماط معينة من السلوك والتنظيم الداخلي لحياته والتفكير والمعاملات التي اصطلحت عليها الجماعة، وتناقلتها الأجيال عن طريق الاتصال والتفاعل الاجتماعي. انظر: رضا المصري: **مشروع الابن المحبوب** (القاهرة: الأقلام الهادفة للنشر، ودار الفضيلة للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م) ص٢٠٣-٢٠٤

(١) جمال محمد الهنيدي: **قراءات في علم اجتماعيات التربية**، مرجع سابق، ص٥٨

وبصفةٍ عامَّةٍ إنَّ "كُلًّا مِن الثقافة والإعلام يوحي إلى المعرفة والإطلاع، ويسعى إلى إرضاء الطُّموح، ويتخذ كل منهما الاتصال والتَّخاطب طريقة أساسيَّة لبلوغ الأهداف، ولا يمكن تصوُّر الثقافة بدون تعبير أو إبلاغ"(١)، فمن المُلاحَظ أنَّ هناك علاقة تكامليَّة قويَّة بين التربية والثقافة، والثقافة والإعلام، والتربية والإعلام، والمشتركَ بين تلك العلاقيَّات جميعها (اللُّغة)، ومِنْ هذا المنطلق كان اعتبار اللغة جُزءًا أصيلًا مِنْ كيان المجتمع وحضارته، بمعنى أنَّ رؤية المرء للعالَم محددة بالبِنْيَةِ النحويَّةِ والمُعْجَميَّةِ للسانِ الأولِ الذي تعلَّمه في طفولته، وهو ما "يجعل الإبداعَ الفكريَّ والفنِّيَّ المُدَوَّنَ أو المنطُوقَ مرهونًا بوجودها، وقائمًا في نموه وارتقائه واتساعه على نموها واتساعها، وعلى ما يكتسب مِنْ مهاراتٍ عاليةٍ فيه وما يستحيل مِنْ رصيدٍ ثَريٍّ مِنْ مفرداتها وصيغها"(٢). يتبيَّن الآن: أنه لا وجود لحضارةٍ في أُمَّةٍ ما لم تكن لها ذخيرةً وافيةً مِن الأعمال الإبداعيَّة والنِّتاجات الفكريَّة المتميزة المُدَوَّنة؛ فالمقياس هو فيما تبدعه عقول أبنائها وتُنْتِجُه أفكارهم بلغتهم لا بلغة الأغيار، يقول (السافي): "الإبداع والتعبير يجب أنْ يكون معبِّرًا عن الذَّاتِ أي معبرًا عن الشخصيَّة الثقافيَّة التي ينتمي إليها، ويكون بذلك مُساهمًا حقيقةً في تدعيم ثقافة أُمَّته، وتلك هي عظمةُ المسلمين قديمًا لَمَّا عبَّروا عن ذواتهم فكانوا مُبدعين، ولمَّا تَعَلَّموا جمعوا في ذواتهم علوم العالمين"(٣). إذن الإبداع الفِكريّ- بمدخل اللُّغة- قاعدةٌ أساسيَّةٌ للنَّهضةِ الحقيقيَّةِ في الإصلاح الفِكريّ. ومِنْ هنا كانت أهميَّة تقصِّي أهم أدوار أجهزة الثقافة والإعلام في تأصيل مفهوم التربية الحضاريَّة، والبحث عن آليات العمل التربويّ الإسلاميّ لرعاية الأجيال المسلمة وحسن توجيهها؛ ولتحقيق ذلك، فإنَّ الأمر يتطلب ما يأتي:

أ- التوعية المجتمعيَّة لبناء الإنسان الحضاريّ المثقف الواعي بأحوال أمته ومجتمعه.

ب- بناء العلاقات الإنسانيَّة والتواصل الحضاريّ الرشيد بين الأمم والشعوب: تكامل لا تصادم.

---

(١) عبد المجيد بن شاوية: "الطفولة بين الماضي البسيط والحاضر الإشكالي" **المجلة العربية**، الرياض، العدد ٥٤٩، ذو القعدة ١٤٤٣هـ/ يونيو ٢٠٢٢م، ص٩٨، للمزيد انظر:
- عبد الكريم بكار: **بناء الأجيال**، مرجع سابق، ص٢١-٢٢

(٢) أحمد المعتوق: الحصيلة اللغوية أهميتها، مصادرها، وتنميتها – **الكتاب رقم (٢١٢) من سلسلة عالم المعرفة** (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والآداب، ١٩٩٦م) ص٢٠

(٣) نور الدين السافي: **نقد العقل: منزلة العقل النظري والعقل العملي في فلسفة الغزالي** (تونس: مكتبة علاء الدين - صفاقس، ٢٠٠٣م) ص٢٥٢

- **التوعية المجتمعيَّة لبناء الإنسان الحضاريّ المثقف الواعي بأحوال أمته ومجتمعه:**

يمثِّل أداءَ الأفرادِ واتجاهاتهم انعكاس درجة الوعي في إدراكهم وتقديرهم وتوقُّعهم؛ كون الوعي هو صانع الأمم ونهضتها؛ لتشكيله الفكر والتصوُّرات وتحديد الأسس والقواعد التي تنظم حياتهم وتحديد علاقاتهم بالآخر والكون وما فيه، فكان هو النُّقطة الفارقة في بناء الأُمَمِ ونهضتها وقيام حضارتها وازدهارها. إنَّ الأُمَّة الإسلاميَّة "تعيش مرحلةً ليست على مثال سابق، فعصور التَّردي التي مَرَّت بالأُمَّة لم تصل إلى حد أنْ تُسقِط الحواجز بين الأُمَّة وأعدائها، فتصبح تابعة لهم، مستوردة لمناهجهم...، والتي أسهمتْ – بلا شك– إسهامًا فعالًا في تشكيل وصياغة عقليَّة مسلم العصر؛ ليخرج خليطًا متنافرًا مِنْ ثقافاتِ الشرقِ والغربِ!؛ فالمشكلة أبعد مِنْ أنْ تكون مجرد انتشار لمعاصي وإخلالًا بأحكام ظاهرة – وإنْ كان ما يُذكر نذير خطر! – فالمشروع الإسلاميّ ما لم يأخذ على عاتقه إعادة صياغة متكاملة للفرد والمجتمعات الإسلاميَّة في التفكير والتصورات والقِيَم والموازين فهو عاجز عن تحقيق الهدف الذي يسعى إليه"[1]. لذا وجب التَّدقيق في كيفيَّة توحيد الرُّؤى الإعلاميَّة في أولويَّات الطَّرح والمُناقشة، التي تؤثر في توجهات الرأي العام، وتعزيز المِهَنيَّة أثناء تناول القضايا محل الاهتمام العام، منها:

- التوثيق في النَّقل: في مقدمتها التَّسلُّح بالحقائق وهو ما يسميه القرآن (التَّثَبُّت/ التَّبَيُّن) (الحجرات:٦)، مع لين القول (طه:٤٣-٤٤)، واحترام مبدأ الأمانة ويقترن فيها القول السَّديد بتقوى الله (الأحزاب:٧٠-٧١)، مع تَجَنُّب كل ما نهى الله عنه مِن الكذب وافتراء الزُّور(النحل:١٠٥) (الحج:٣٠)، وكل ما يحذِّر الإسلام منه.
- التنوُّع في المحتوى: بحيث يحقق الفائدة والمتعة مِنْ خلال أدواره الوظيفيَّة (التثقيفيَّة والتربويَّة والترفيهيَّة)؛ فالتثقيفيَّة تتمثل في "بث الثقافة – خاصةً في المجتمعات التي تشيع فيها (الأُميَّة) بمعناها الضيق (الجهل بالقراءة والكتابة)، وبمعناها الواسع (الجهل بأي جانب مِن الجوانب الأساسيَّة للحياة)، والبعد عن عَرض المواد الإعلاميَّة التي تتضمن ما يخدش الحياء، ويثير الغرائز، ويحرك الشهوات بشكل حيوانيّ. والاهتمام بما يسمو بالعواطف والغرائز، ويدعم قِيَم (الحياء/العيب/ الحرام/ الخشية مِن الله) – ونشر المعارف في جميع

(١) أحمد فريد: **مرجع سابق**، ص٣٦ نقلًا عن = محمد بن عبد الله الدويش: **التربية الجادة** (الرياض: دار الصفوة للطبع والنشر، د.ت) ص٧-٨

المجالات، ونقل ثقافة الأمم والتَّواصل معهم وفق القِيَم الإسلاميَّة"[١]، أما وظيفته التربويَّة فمِنْ خلال "العمل على تكثيف البرامج التربويَّة بالتَّعاون بين وسائل الإعلام والجهات التربويَّة، وتحقيق التكامليَّة بين الطرفيْن"[٢]، وشرط وظيفته الترفيهيَّة هو "الالتزام بضوابطه وقواعده ونظمه وفق التَّوجيه النَّبوي: "... وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ، وَفِي طُرُقِكُمْ؛ وَلَكِنْ سَاعَةً وَسَاعَةً"[٣].

- الامتداد في التَّغطية: بحيث "تتنوع مجالات الإعلام – موضوعيًّا – بحسب مجالات الحياة، وتتطور وسائله تبعًا لتطور الحياة؛ فمن مجالاته: الإعلام الاجتماعيّ والسياسيّ والاقتصاديّ والدِّينيّ والثقافيّ والتاريخيّ والعلميّ والتّقنيّ والرياضيّ. ثم إنَّ هناك مجالات بحسب وظيفتها، سلبًا وإيجابًا؛ مثل: الإعلام التَّوجيهيّ والإخباريّ والاستهلاكيّ والتَّضليليّ والتَّخريبيّ والإحباطيّ"[٤]، إلى جانب أنه يلعب دورًا مُهمًا كـ (وظيفة تضامنيَّة اجتماعيَّة)، "تساعد على توحُّد الأُمَّة وتماسكها وتكاملها ونبذ الفُرقةِ والخلافِ وفق التَّوجُّه الربَّانيّ: (آل عمران:١٠٣-١٠٥)" [٥]
- الهُويَّة في الانطلاق: من خلال المنهج التَّربوي الإسلاميّ الذي امتاز به في استصلاح أمته اجتماعيًّا، فكان "مردُّ تناغم المجتمع الإسلاميّ هو كونه مجتمعًا عقديًّا يسعى إلى تحقيق صورته بنفسه، وبواسطة الدولة، ومن ثمَّ، فإنَّ كلية الاختصاص لا تمثل أُمنية المجتمع فحسب، بل تقوم عليها السياسة الإداريَّة للدولة"[٦]. وبالتالي مردُّ تناغم الإعلام الإسلاميّ هو كونه إعلامًا عَقَديًّا، يقول (كمال حامد): "الإعلامَ الإسلاميّ إعلامٌ عَقَديٌّ، قاعدته العقيدة، ومنطلقه كتاب الله؛ فأول آية أُنْزِلَتْ فيه وُجِّهَتْ إلى العالمين كان الأمرُ

---

(١) كمال المصري: بناء مفهوم الإعلام في: **مشروع بناء المفاهيم الأصيلة لعلوم الأمة**، مرجع سابق، ج٢، ص١٧١، للمزيد انظر:
- محمد بيومي خليل: **التربية وجودة السكان: المدخل السلوكي للصحة الإنجابية** (القاهرة: دار قباء، ط٢، ج٢، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م) ص٢٩٥

(٢) كمال المصري: بناء مفهوم الإعلام في: **مشروع بناء المفاهيم الأصيلة لعلوم الأمة**، مرجع سابق، ج٢، ص١٧١

(٣) **نفس المرجع السابق**.

(٤) **المرجع السابق**: ج٢، ص١٣٣

(٥) **المرجع السابق**: ج٢، ص١٧٠-١٧١

(٦) إسماعيل الفاروقي: **التوحيد مضامينه على الفكر والحياة** (القاهرة: مدارات للأبحاث والنشر، ١٤٣٥هـ) ص١٧٥

بالقراءةِ باسم الله ^العلق:١%، والقراءة أول منطلقات الإعلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو مِنْ أبرز مظاهر العمليَّة الإعلاميَّة"[١].

- الصدق في المضمون: ما "يُعَابُ على الإعلام الجديد فوضويَّته في كل شيء تقريبًا في: صدق المعلومة، صياغة المعلومة، وسيلة الإرسال، طريقة الإرسال"[٢]؛ فما أسهل أنْ يُخادِعَ ويُلوِّن الحقائقَ، مما لا يتشكَّل معه وعي صحيح ناضج؛ لكن الكلمةَ أمانةٌ، والإعلامُ سلاحٌ حادٌّ بأثمنِ ما في المرء (عقله ووعيه)، وإذا كان الصِّدقُ مطلوبًا في كل حالٍ ونشاطٍ، فهو في الإعلام أشدُّ طلبًا وأكثر أهميةً؛ لقدرته على قلب الحقائق.

يتضح مما سبق: أنَّ الإعلامُ الإسلاميّ نظامٌ مُتكاملٌ، يعمل كموجِّه عقائديّ وتشريعيّ وأخلاقيّ لبناء الأُمَّة وفق قِيَم الإسلام ومبادئه ونظامه العام، ويتبنَّى الدَّعوة إلى الله بهدف نشر رسالة الإسلام، وتنمية الوعي، وبناء المنظومة الاجتماعيَّة، ومواجهة التحديات الداخليَّة والخارجيَّة، والانفتاح على الآخر؛ فلا يُعادي حضارةً ولا يرفضُ خيرًا مِنْ أحَدٍ، والانتقاء الحضاريّ فلا يؤاخي إلا المدنيَّة الراشدة، ولا يستقي إلا التَّطور المُفيد، والتصدِّي لأي غزو فكريّ أو حضاريّ يُهدِّد المنظومة الإسلاميَّة، مُلتزمٌ بتعاليم الإسلام ويَفِي بالتزاماته، قائمٌ على الإقناع لا الإكراه، متوازنٌ ينطلق مِنْ فكرةِ الوسطيَّة، ويُبلِّغُها إلى الناس كافة[٣]. بالجملة: ما لم تتهيَّأ الأرض الخصبة لذلك عبر الالتحام الفكريّ بعالَم التَّقَنيَّة، وليس بمجرد الاستفادة مِنْ منتجاتها بعيدًا عن التفكير بواسطتها ومِنْ خلالها؛ لن يُحقِّقَ جدواه.

- **بناء العلاقات الإنسانيَّة والتواصل الحضاريّ الرشيد بين الأمم والشعوب: تكامل لا تصادم:**

لقد احترم الإسلام عادات الشُّعوب وتقاليدهم ما دامتْ لا تُخالف أصول الشريعة وأركان الدين، وآيةُ (الحجرات:١٣) دليلٌ كافٍ على أنَّ الأصل في العلاقة بين البشر هو التعدُّد والتنوُّع سواء في أديانهم أو أفكارهم وطبائعهم وألوانهم ولغاتهم وأصولهم ونوعهم – والمسلمون ترجموا منذ بداية الدَّعوة في مكة مبادئ التَّواصل الحضاريّ، فكانوا منهجًا يُحتذَى به في التواصل البنَّاء، والتعامل بالنِّديَّة مع رءوس تلك الحضارات. وهكذا تابع المسلمون تواصلهم الحضاريّ في

(١) كمال حامد المصري: بناء مفهوم الإعلام في: **مشروع بناء المفاهيم الأصيلة لعلوم الأمة**، مرجع سابق، ج٢، ص١٦٣

(٢) **المرجع السابق**: ج٢، ص١٣٨

(٣) كمال حامد المصري: بناء مفهوم الإعلام في: **مشروع بناء المفاهيم الأصيلة لعلوم الأمة**، مرجع سابق، ج٢، ص١٥٥

الاستفادة والإفادة وتشهد لهذا مختلف المحطَّات التاريخيَّة التي تُعَدُّ نِقاطَ تـلاقٍ بـين المـسلمين وغيرهم، واليوم تقف "المؤسسات الإعلاميَّة لتُؤَدِّي أدوارًا مُهِمَّةً في تشكيل اتجاهـات ومـشاعر الجماهير حول العالَم، وهي المسئولة عن خلق حالة الوعي أو اللاوعي في أحيان كثيرة خاصـةً تلك القنوات والمنَصَّات الإعلاميَّة التي يُتابعها الملايـين،...، ومِـن الملاحـظ أنَّ المؤسـسات (التقليديَّة والرقميَّة) التي يمكن وصفها بالملياريَّة غالبًا ما تكون غربيَّة المنـشأ والمُحتـوى؛ لـذا الحديث عن هذه المؤسسات هو حديث عن مؤسسات تأثير هائل في المـستخدمين والمُتَلَقِّـين"(١).

والسؤال: فيم تكون مجالات التَّواصل الحضاريّ الرشيد، تعزيزًا لثقافة التَّكامل لا التَّصادم؟

خاصةً وأنَّ هذا السؤال لا ينبع مِنْ أهمية التَّواصل والتَّقارب الحضاريّ بـين الأُمَـمِ فـي الاطلاع على ثقافاتهم والتَّعرف على أحوالهم وطبائعهم فقط، وإنما اعتباره سلوك إسلاميّ وركيزة مِنْ ركائز الدعوة، كما أنه لا يقف عند الحد النَّظريّ مِن المسألة، وإنما هو محاولة نحو التعمُّـق في جانبها التَّطبيقيّ – خاصةً وأنَّ البشريَّة تتجه إلى رقمنة جُلَّ مناشطَ الحياة، وهنا تتجلَّـى قـوة مجالات التَّواصل الحضاريّ الإنسانيّ المشترك من خـلال: (المـشترك الإنـسانيّ – التَّكـريم الإنسانيّ– الشَّراكة في الحياة – التَّواصل الحضاريّ)؛ فالمسلمون اليـوم أمـام فرصـة سـانحة للتعريف بالإسلام والمسلمين تاريخًا وحضارةً وواقعًا، وتلك مهمة كُبرى – إلا أنه يجبُ أنْ يكون مُنْضَبِطًا بضوابط الشَّرع، ومعلوم المجالات المُتاحة والمَمْنُوعة، ولا يتـصادم مـع ثقافتـه، ولا ينمحي أمامه ويكون لديه اعتزاز بثقافته وحضارته، منها:

- "وجوب التَّمَايُز في أصل العقيدة: فليست محلًا للتَّنازل أو التَّقـارب؛ لأنَّ العقيـدة لله ولـيس للبشر، وهذا التَّمايز فرضه الله على رسوله وعلى أُمَّتِـهِ مِـنْ بعـده ^الكـافرون:١-٦%؛ فمحاولات التَّقريب في أصول العقائد، وإذابة العقائد في عقيدة تشمل الجميـع ضـربٌ مِـن الخَبَل، وهذا التمايز سُنة كونيَّة واجتماعيَّة؛ مَرْعِيَّة في كل عصر.
- التواصل في القواسم الدينيَّة المشتركة: فكل الأديان السماويَّة، بل والأرضيَّة منها تدعو إلـى مكارم الأخلاق والقِيَم الإنسانيَّة، وتلك المنظومة الأخلاقيَّة أضحتْ ثقافة عامة يجب تعظيمها ^النحل: ٩٠-٩١%، وما ينبغي ضمانه فيما يتصل بالجوانب الاجتماعيَّة، مثل: الحفاظ علـى

(١) رضا عبد الواجد: "المؤسسات الإعلامية الغربية وتنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا" **الوعي الإسلامي**، الكويت، السنة ٥٩، العدد٦٤٨، شعبان ١٤٤٣هـ، ص٢٢

حقوق الطفل وكيان الأسرة، ومنع محاولات الانسلاخ عن الفطرة والخروج عن قِيَمها، والوقوف أمام موجات الإلحاد والتَّشكيك والعبث بعقول الشباب باتجاه العدميَّة والشهوانيَّة.

- التواصل في مصالح الحياة: الأرض هي القاسم المشترك، والمصالح الدنيويَّة تجمع الناس جميعًا في الوطن والقارة والكون الواحد؛ لذا كان التواصل الحضاريّ في مجالات الحياة مجالًا رحبًا للتواصل بين الناس كافة"(١).

يتضح مما سبق: أنَّ الأُمَّةَ بحاجةٍ ضروريَّةٍ – في ضوء سنن اختلاف وتنوع الوجود البشريّ– إلى رسم خريطة للتَّواصل الحضاريّ بين الناس في القُطْرِ الواحد والقارة الواحدة والعالَم كله، وأنْ تعرفَ ما يَصلُحُ فيه للتواصل وكيف تُنَميِّه وتُغذِّيه بما يحفظ الأجيال كرامتها، وبين ما يكون فيه التَّمايز الذي يحفظ الهُوِيَّة لكل فريق، فيحصل التَّناغم الذي يحقق مصالح الجميع، "المهم هو ترشيد الاختلاف بين البشر، وتحويله إلى قوة إيجابيَّة، وإيجاد أطر لكيانات ورابطات غير قوميَّة، والتَّعايش بين الأمم على ضوء ما بينها من قواسم مشتركة"(٢)، وتلك كانت هي رؤية العالَم الإسلاميَّة الحضاريَّة التي يجب على المسلمين الانتباه إليها، وأخذهم زمام المبادرة بتفعيلها (تسويقها عالميًّا).

وأخيرًا: يكاد يكون الدورَ الأساسيّ الذي يجب أنْ يَحْسِمَ الأمورَ، ويُعيد الأمور إلى نِصَابها الصَّحيح، والحياة إلى اتزانها واعتدالها الرشيد، والثَّقافيّ الإبداعيّ إلى التسيُّد مِنْ جديدٍ، لن يكون سوى (الأُسرة الواعيَة المُثقَّفة والمُلتزمة) باعتبارها النَّواة؛ شريطة التزام أهلها إرجاع الأمور إلى صوابها، وإعطاء الثقافة الحقيقيَّة مكانها الحق، وتتويج الفكر والإبداع رافعتيْن نحو الرُّقي بالمجتمع، وتحقيق تقدمه لسعادة الفرد ونيله ما يستحق مِنْ رفاهيةٍ مُنتجةٍ، وعلم يَبْنِي، يُعْلِي، ويُغْنِي، وهذا ما تفرضه الرسالة السماويَّة الإلهيَّة الخاتمة استتباعًا لمفهوم خلافة الله في أرضه؛ لحمل الأمانة الثقيلة. كما يتطلب "تحسين الأداء الإعلاميّ والتربويّ ليكون أصيلًا ومعاصرًا في آن واحد؛ للحفاظ على الهُوِيَّة من انطماسها في أذهان الناشئة والأجيال، وألا يضيع الكثير مِنْ معالمها في ظل انعدام التكافؤ الإعلاميّ بين الدَّاعين إلى ترسيخ الهُوِيَّة الإسلاميَّة وبين المُطَبِّلين

---

(١) مسعود صبري: "فقه التواصل الحضاري بين الأمم" **الوعي الإسلامي**، الكويت، السنة ٥٩، العدد٦٤٨، شعبان ١٤٤٣هـ، ص٣١، والسنوسي محمد السنوسي: "التواصل الحضاري ضرورة يُمليها التنوع" **الوعي الإسلامي**، الكويت، السنة ٥٩، العدد٦٤٨، أبريل ٢٠٢٢م، ص٢٧

(٢) السيد عمر: في ظلال بناء مفهوم الأمة في: **مشروع بناء المفاهيم الأصيلة لعلوم الأمة**، مرجع سابق، ص٧٣

للعولمة والحالبين في إنائها!!"[1]. وهو ما يعني أنه على المُفكِّرين والتَّربويين والإصلاحيين أشد العناية بالاتجاهات والأدبيَّات والمؤسسات التي تعني بأبحاث التربية العلميَّة الحضاريَّة الوالديَّة وأدبياتها، وإيصالها إليهم، خاصةً في عهد الإلكترونيَّات التي يصعب منعها والتحكُّم فيها[2].

المحور الرابع: نتائج البحث وتوصيته:

بعد العَرض السابق لمفهوم التربية الحضاريَّة، كما اتضح في معاجم اللُّغة والقرآن والسُّنة وفي التُّراث والفكر التَّربويّ الإسلاميّ المعاصر، ثم عرض بعض التَّطبيقات التَّربويَّة التي تعكس الرؤية الإسلاميَّة للمفهوم، منها: مؤسسة الأسرة، والمؤسسة التربويَّة والتعليميَّة، ومؤسسة المسجد، ومؤسسة الثقافة والإعلام، يتضح ما يأتي:

- تحليل المفاهيم مِن أهمِّ الركائز في دراسةِ الموضوعات أي أساس الدراسات وانطلاق الرُّؤى، وعلى استقامتها تتوقف حالة البِنْيَة المَعرفيَّة أو الفروع المعرفيَّة المنتمية إليها، فضلًا عن عقل الأُمَّة في تحديد الأهداف وتقدير الغايات؛ فهي تعكس كوامن فلسفة الأُمَّة، ودفائن تراكماتها الفكريَّة والمعرفيَّة، وما استنبطته ذاكرتها، بل والأخطر عندما تتحول إلى نُظُمٍ ومؤسساتٍ وهياكلِ إداريّةٍ وتشريعيّةٍ في المجتمعات، تُصْلِحُ حياةَ الشعوبِ أو تُفْسِدُهَا.
- المفاهيم النَّابعة مِنْ رؤية العالَم الإسلاميَّة بالعموم، هي المفاهيم المُثْلَى لجميع العلوم، وتشغيلها في الواقع العملي يعدُّ ضرورة شرعيَّة منهجيَّة معرفيَّة بل وجوديَّة وحضاريَّة؛ لأنها منبثقة مِنْ تصور إسلاميّ صحيح، مِنْ منظورٍ يتصف بالتَّكامل والشُّمول والوضوح في الله والحياة والكون والإنسان والمعرفة والأخلاق والمجتمع.
- الله أ هو المصدر المعرفيّ الأول للمفاهيم والرموز، بدلالةِ آياتٍ تشير إلى رمزيَّة كونه تعالى مصدرًا للمفاهيم مباشرة، منها آية (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَآءَ كُلَّهَا...) [البقرة:٣١]، حيث لا يُمْنَح العقل الإنسانيّ شرف أنْ يكون المصدر الأول للمفاهيم؛ إذ تأتيه مِن الله تعالى، وهو الذي يربط الرموز بمتغيراتها، ورمزيّة ذلك في آية (مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لله) [يوسف:٤٠]، بالتَّالي سبحانه هو المصدر الأول للعِلم، وتعليمه لبعض خَلْقه هو أكمل تّعليم على الإطلاق، فرَبْطُ العِلْمِ والتَّعْلِيم

(١) عبد الكريم بكار: **إلى أبنائي وبناتي ٥٠ شمعة لإضاءة دروبكم**، مرجع سابق، ص٢٠

(٢) عبد الحميد أبو سليمان: الرؤية الكونية الحضارية القرآنية في: أحمد فؤاد باشا وآخرون: **المنهجية الإسلامية**، مرجع سابق، ج١، ص٢٨٨

بـــالله مَعْلَمٌ بارزٌ مِن معالم التربية الحضاريَّة الإسلاميَّة، التي لها انعكاساتها علـــى المفهـــوم تأصيلًا وتطبيقًا.

- تنوعتْ الدَّلالات الاشتقاقيَّة لمفهوم التربية لغويًّا، متعلقًا بجذرين: (ربَّبَ) ويرتبط به عدد من المفاهيم التربويَّة على معنى التربية، مثل: (التَّنْشِئَة والاعتِنَاء والتَّغذِيَة والرِّعَايَة والحَـــضانة. والتَّهذيب والتَّأديب والتَّزكيَة والنَّزاهة والتَّنزيه. والإصلاح والتَّحـــسين والتَّثقيـــف. المَالِـــك والمُستَحِق والمُنْعِم، والسَّيِّد والمُدبِّر والمُربِّي والقَيِّم، والسِّيَادة والمُلْك والسِّيَاسَة. والاجتِّمَـــاع والتَّحَالُف والتَّعاهُد وإبرام المواثيق. والإقامَة ولِزُوم الشَّيء والجَماعة). الثاني: (رَبَا) ويرتبط به عدد آخر، مثل: (الزِّيادة والنَّماء ومنها: التَّزكية مِن الفعـــل (زكـــا)، والعُلـــو والرِّفعَـــة، والمَكَانَة أو المَنْزِلة).
- دلَّ مفهوم التربية في القرآن والسُّنة والتُّراث على مفهوم الشَّامل للتربية، ويـــستجمع عـــددًا كبيرًا مِن المفاهيم والصِّيَغ، منها: الولاية والكفالة والتَّعليم والتَّـــدريس والهِدايَـــة والتَّزكِيَـــة والإيواء والسِّيَاسَة والإصلاح والتَّنْشِئَة والاعتِنَاء والتَّغذِيَة والرِّعَايَة والتَّدبير والحِفْظ والقَوامَة والنَّماء والزيادة والتّهذيب والتأديب والنَّصيحة والإحسان... إلخ، وتحت هذه المفاهيم ينـــدرج عدد هائل لا حصر له مِن الألفاظ والمعاني والصِّيَغ والدَّلالات الفرعيَّة المُتنوعة.
- مفهوم الشامل للتربية يجمع جوانب الشخصيَّة الإنسانيَّة النفسيَّة والعقليَّة والوجدانيَّة والإدراكيَّة والروحيَّة والصحيَّة والجسميَّة والإنفعاليَّة والسلوكيَّة.. في توازن وتكامل وترابط عجيب حد التَّمام والكمال البشريّ النسبيّ، وهي كنوزٌ مفاهيميَّة يستمدها المسلم، يُغنـــي بهـــا حـــصيلته اللغويَّة ويُنمِّيها ويجعلها مَرِنة طَيِّعة في مجالي الأخذ والعطاء، وفي مجال الاستيعاب والفهم، والتَّوسع الفِكريّ، والنُّمو العقليّ والمعرفيّ، وفي مجال التعبير والعمل الإبـــداعيّ والإنتـــاج الثقافيّ، بتتبع ألفاظها والبحث عن معانيها، ما يدل على أصالةِ ومكانة مفهوم التربيـــة فـــي الإسلام.
- لم يختلفْ مفهوم التربية لدى بعض الكتابات التربويَّة المعاصـــرة عـــن مفهومهـــا الـــشَّامل؛ لاستنادها القويّ على وحدة مصدريتها القائم على (التّوحيد)، في حين يفتقـــر المفهـــوم عنـــد البعض للمرجع الصادق، والصورة الواضحة لنوعية التربية والإنسان الذي تنشدها – منهـــا ما يقترب مِن المفهوم الصَّحيح مِنْ جانبٍ ويُقصِي جوانب أخـــرى، ومنهـــا مخـــتلط يتـــسم بالإسلاميَّة وطابعها تغريبيّ لغبش التَّصور المنهجيّ القائم عليه الفِكر؛ ما يَدُلُّ على خطـــورةِ

المنهج الفكريّ القائم الذي قد يُشَكِّل أخطر أشكال التَّزييف أو الارتباك في الوعي؛ فتنحرف المنهجيَّة عن وظيفتها.

- قضية التَّربيةِ هي أمُّ القضايا الكُبرى لكلِّ عصرٍ؛ بها تُشَكَّل الهُويَّة التي يُنْظَرُ إليها على أنها نوع مِنْ الشَّرف الثقافيّ والحضاريّ، وبها تتقرر مصائر الأُمَمِ والشعوب، وتُقاس مدى تقدُّم أو تحضر أو إنجاز ملموس في أي مجتمع؛ فكما هي ميدان للتَّنافس لمزيدٍ نحو التقدُّم والتطور، فهي ساحة للمعارك أيضًا للمزيدِ مِن الانتصارات للحفاظ على مكتسباتها؛ بالتَّالي هي البُعد الإنسانيّ والثقافيّ والقِيَميّ والأخلاقيّ والتاريخيّ في صرح أي بناء حضاريّ حقيقيّ؛ لأنها هي التي تقود سفينة المجتمع نحو إرساء قواعد المجد في عالم الغد.
- مفهوم (الحضارة) يشير لغويًّا للأبعاد الأساسيَّة التي يقوم عليها التحضُّر الإسلاميّ وهي: البُعد الإنسانيّ والقِيَمي الهادف، والبُعد الوجوديّ الاستخلافيّ، والبُعد الزمانيّ التداوليّ والمآليّ، والبُعد الماديّ، والبُعد الاجتماعيّ، والبُعد المكانيّ، والبُعد الاستراتيجيّ، والبُعد السُّننيّ الحضاريّ العمرانيّ، والبُعد الحركيّ الإنجازيّ.
- مفهوم الحضارة ليس مجرد لفظ أو مصطلح، بل منظومة معرفيَّة ومقاصديَّة كُبرى، يُرادف العمران الذي يُناقِض الفساد والخراب والعبث، ويشترك مع التّداول اللُّغوي في نواحي اشتقاقيَّة مثل: الإقامة والشُّهود والقصد والجودة والتحرُّك السريع المصحوب بإنجاز فِعليّ.
- مفهوم الحضارة في القرآن الكريم والسُّنة النبويَّة المطهَّرة له طابع خاص وموقع فريد بامتياز، على الرغم أنها لم تَرِد فيهما بلفظها؛ ولكن بِطُرقِهِ الاشتقاقيَّة المختلفة؛ فالقرآن الكريم يفيض عن جوانب مجالاتها المتنوعة؛ مِن خلال علاقية الإنسان بمجالاتها المتعددة، منها؛ العلاقات الأخلاقيَّة، والعلاقات الاجتماعيَّة، وتنظيم العلاقات الماليَّة، والعلاقات القضائيَّة، والعلاقات السّياسيَّة والعامة، والتّجارة والزّراعة والصّناعة، والعلوم والفنون؛ لتكتمل الحضارة بطلب العمارة، بدلالة الآية القرآنيَّة الكريمة (هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) [هود:٦١].
- مفهوم الحضارة في السُّنة النبويَّة له حضورٌ واضحٌ في أبعاده الماديَّة، والزمانيَّة والمكانيَّة، والتّعبديَّة والشّعائريَّة، والقِيَميَّة والأخلاقيَّة، والاجتماعيَّة، والجغرافيَّة والتاريخيَّة – على الرغم مِن محدوديته وليس كحضوره في اللغة والقرآن – إلا أنَّه عكس طبيعة المفهوم وتشغيله، مؤكدًا على طبيعته البنائيّة في صورته الكليّة والمتعلقة بالإنسان؛ فالبُعد الإنسانيّ

حاضر وبقوة في مفهوم الحضارة في القرآن والسُّنّة؛ فَرَبْطُ الرؤيَة القرآنيّة بالرؤيَة النَّبويَّة في سياقاتهما وأبعادهما؛ تُعطي صورة تكامليّة شموليّة تتجاوز البُعد المادي البحت.

- الرؤية الكليَّة للحضارة في القرآن والسُّنة؛ كانتْ تأكيدًا على البُعد الإنسانيّ بأنه على رأس أولويّاتها وقمة أهدافها، تتخذُ مِن الفرد الإنسانيّ قاعدة انطلاق نحو البشريَّة الذي جعل الإسلام الاعتداء على فردٍ واحدٍ مِنْ أفرادها بمثابة الاعتداءعلى المجموع البشري كله، وإحياء نفس واحدة منه فكأنما أحيا الناس جميعًا، وتقديم الخير لفردٍ واحدٍ بمثابة تقديم الخير للبشريَّة كلها، مما يعني وحدة الإنسان مِنْ وحدة الأُمَّة، وفطرة الوجود الإنسانيّ تتكامل فيه الوجود الفرديّ. مما يعني وضعية الإنسان في مكانه الصّحيح، مُنتسِبًا إلى حضارة دينها دين الإنسانيَّة.
- مفهوم الحضارة في التراث التربويّ الإسلاميّ – المختار في هذا البحث – يرادف مفهوم العمران، إلا أنَّ العمران أعم مِن الحضارة التي هي حال مِنْ أحوال العمران، والأخير على اختلاف عوائده متعلق بالاستقرار (استقرار في النفوس لمبادئ الرحمة والمحبة والتعاون) المُفضي لتَّساكن نحو إقامة روابط ومصالح وعلاقات اجتماعيّة تقوم على التّشارك والحركة التفاعليّة والانتاجيّة لكل مكونات المجتمع البشريّ؛ لتتكامل فيه صور الأبعاد المعنويّة والماديّة والعقديّة والإنسانيّة والقِيميّة والجغرافيّة والتاريخيّة والاستخلافيّة والتسخيريّة مع الطبيعة والوجود وما يحكمهما من سُنَّةٍ إلهيَّةٍ واحدةٍ لا تتغير وسُنَنٌ كونيَّةٌ ناظمةٌ منتظمةٌ لظواهرِه وأحواله؛ ليبقى مفهوما الحضارة والعمران، يحملان معنى قِيَميًّا أو مكونات معنويَّة قِيَميَّة (أفكار ومبادئ تحكم نمط الحياة)، ما يجعل مفهوم الحضارة يتفق تمامًا مع ما جاء في اللغة والقرآن الكريم والسُّنة النبويَّة في سياقاتهم وأبعادهم.
- اتَّفق مفهوم الحضارة في الفكر التربويّ الإسلاميّ المعاصر مع ما جاء في القرآن والسُّنة والتراث، فكان تَعَاطِيه أقرب إلى سماحة الرُّوح الإسلاميَّة، ما أكَّد على عُمْقِ تَّجَذُّرِه وأصَالتِه وحُضورِه، وأنَّ تلك الأصول والجذور نابعة مِن مبادئ الدين الإسلاميّ الشامل لكل ميادين الدين والدنيا، والفرد والمجموع، والروح والمادة، والأُمَّة والدولة، والآخرة والأولى، الرابط بين المنفعة والمصلحة الدنيويَّة وبين الدين والجزاء الأخروي.
- تعريف الحضارة في رؤية العالَم: هي الاستجابة للإرادة الإلهيَّة في تحقيق الهدف الاستخلافيّ بالعمارة والإقبال على مُقَدَّرَاتِ الكون باستثماره في ضوء منهج الله، تحقيقًا يُفضِي إلى كمال الذّات الإنسانيَّة، وتَوازُنها روحيًّا وماديًّا، في إطار تكامليَّة القناعات

الإيمانيَّة والاستقامة الأخلاقيَّة، يقوم على إدراك معالم التَّصور الإسلاميّ في الله والكون والحياة والإنسان والقِيَم والمعرفة والمجتمع، بخصوصيَّة السّلوك الاسلاميّ في صُنع الحضارة.

- يُقصد بالتربية الحضاريَّة: إعداد الجيل المسلم إعدادًا يُؤكد عِزّته ويُعَزِّزُ كرامته المستمَد مقوّماته من دين الإسلام، دليلًا على صدق الإيمان، والمستوى العلميّ الجيّد المتمثّل في تفكير أصيل وعلم صحيح، يُمَكِّنُه مِنْ إدراك العلاقات الارتباطيَّة الدَّافعة لمزيدِ إحداث الفعل الحضاريّ المُؤسَّس على الفعليَّة الاستخلافيَّة والتّسخيريَّة، المحكومة بِسُنَنٍ ناظمةٍ وقِيَمٍ مُوجَّهةٍ وفْق السُّنة الإلهيَّة النّاظمة للوجود؛ انطلاقًا لإعادة اعتبار الإنسان لدينه وعقله وضميره وحريته وإرادته في اعتدال وتوازن بين مطالبه الروحيَّة والماديَّة في اتجاه العبوديَّة الحَقَّة لله تعالى.
- تَكَوَّن مفهوم التربية الحضاريَّة في معامل التربية ومعامل الحضارة بِمُرشَّحاتٍ حضاريَّةٍ أصيلةٍ؛ لتتقيَّة الرؤية للأنا والآخر، انطلاقًا مِنْ طبيعة الإسلام (الوسطيَّة)، ومن ناحية الخبرات التاريخيَّة للأُمَّة الإسلاميَّة سواء في وقت القوة أو الضعف، تستلهم عبرة الماضي ودرس الحاضر ورجاء المستقبل – أي من خلال الرؤية العامة لمنهجيَّة الإسلام في بناء الإنسان والمجتمع معًا، بِناء يستطيع مِنْ خلاله امتلاك الأدوات والوسائل المطلوبة لتسخير مكونات الكون من أجل بناء المجتمع الذي يتمثل أفراده مقاصد الشريعة الربانيَّة والقِياديَّة.
- التربية الحضاريَّة جوهرها توظيف إنسانيّ بِمَدَدٍ ربانيّ، مؤسسةٌ على تصورٍ صحيحٍ للعقيدةِ السَّليمةِ في الله والكون والحياة والإنسان والقيم والأخلاق والمعرفة والمجتمع، تعمل بكفاءةٍ عاليَةٍ على تحقيق مشروعها التَّكامليّ (بناءُ الإنسانِ الخَيِّر)؛ ترجمةً عمليَّةً تطبيقيَّةً على مواصفات (العمل الصَّالح) مِنْ خلال علاقاتٍ تجمعُ بين إنسان التربية الحضاريَّة والرؤيَّة القرآنيَّة الكونيَّة لإقامة حياةٍ طيبةٍ عمرانيَّةٍ رشيدةٍ وجوديَّةٍ مُستَخلَفَةٍ.
- التربية الحضاريَّة ليس لها مؤسسة تربويَّة بعينها، وإنما مؤسساتها كافة المجتمع بوسائطه: من أسرةٍ ومدرسةٍ ودور عبادةٍ وأجهزة إعلامٍ ونوادٍ ومنتدياتٍ ودور فنٍّ وسينما وقصور ثقافةٍ وجمعيَّات أهليَّةٍ وتنظيمات حكوميَّةٍ رسميةٍ وغير رسميَّةٍ وأحزاب... إلخ، كل هذه المؤسسات مُطالبةٌ بأنْ تؤدي أدوارها في تكوين شخصيَّة تتمتع بمناعةٍ ثقافيَّةٍ لا يسهل اختراقها، عن طريق تربيةٍ حضاريَّةٍ إسلاميَّةٍ أصيلةٍ.

- المؤسسات التربويَّة النظاميَّة واللانظاميَّة موضع اهتمام المجتمع، والعلاقة بينهما متبادلة والتأثير ينتقل من المؤسسات التربويَّة وهي تستقبله في ذات الوقت، وتعمل عن طريق التنشئة الاجتماعيَّة على ترسيخ القِيَم الأخلاقيَّة والسلوكيَّات القويمة والشعور بالمسئوليَّة والانتماء والولاء للمجتمع من المراحل الأولى، مِنْ أجل معرفة طبيعة الخلل والأساليب الفعَّالة؛ لإعادة بناء الشخصيَّة والمفاهيم وتعديل مسار توجيهاتها، وتقوية الجانب الجمعيّ الخيِّر فيها بتربية النشء على ثقافة المجتمع السَّوي، ومن ثمَّ قادرةٌ على صُنْعِ التغيير المنشود؛ بإعادة صياغة شخصيَّة الأُمَّة وعقليتها وبنائها النفسيّ بشكل طبيعيّ بإدراك مراحل الطفولة المبكرة.
- حياة الأسرة هى أسمى وأبدع ثمرات الحضارة الإنسانيَّة، وأعظم قوةً في تكوين العقل والأخلاق، ودورها مهم – كمؤسسة للتربية والتعليم – في تحقيق الإصلاح التربويّ والتغيير الاجتماعيّ والحضاريّ، التي لا تستطيع أيَّة هيئةٍ أو مؤسسةً أنْ تُغْنِي غَنَاءها أو حتى تُضاهِيهَا في هذا الشأن؛ فكان الوالِدَان هما المفتاح والأساس لتحرير الأُمَّة وبناء طاقاتها ومستقبل أجيالها، وبدون جهدهم في الاتجاه الصَّحيح لا سبيل إلى القدرة والعزة والتحرُّك.
- تعددت الأسباب التي قد تحرم الطفل مِن الرعاية الكافية والاهتمامات المطلوبة اللازمة، نتيجة التأثير السلبيّ المباشر في بنية الشخصيَّة ما يعمل على تشويهها وتكوين ميول انحرافيه لديها، ما تدفعه لارتكاب الجرائم واعتياد ممارستها، ويرجع ذلك إلى فشل عمليات التنشئة الاجتماعيَّة، منها: المناخ الأسري الفاسد الذي يسوده المجون والفسق، أو الاختلال الأسري العاطفيّ أو فقدان التَّرابط والتَّواصل بين أفرادها أو شقاق الزوجيْن أو انفصالهما أو تعدد الزوجات أو انعدام القِيَم الروحيَّة والأخلاقيَّة أو ضعفها... إلخ. وللوقاية من بوادر الانحراف – بناءً على ما كشف عنه البحث الحالي – ولتحقيق ذلك، فإنَّ الأمر يتطلب الخروج بالتَّطبيقات التربويَّة والنفسيَّة الآتية:

أ. إعداد مسبق مِن الجهاتِ المسئولة الرشيدةِ تثقيفَ المُقبلين على الزَّواجِ وتأهيلهم عن طريق عقد دورات تأهيليَّة مُتخصصة للشباب والشابَّات، تُعَرِّفُهُم مُتطلبات المرحلة المقبلة المستقبليَّة في بناء الأسرة وإدارتها.

ب. توافر الأخلاق الإسلاميَّة والمثل العليا الوالديَّة، وتوجيه المنظمات المجتمعية المدنية والشبابية للأُسَر بضرورة الاهتمام بالأبناء وشمولهم بالرعاية الكافية، مع تعاون مجالس

الآباء والمعلمين مع إدارات المدارس مِنْ قِبَل ما يُكشفه أعضاء الهيئة التعليميَّة عن وجود خلل.

ت. ضرورة الاهتمام بما يلي: (تقبل ذات الأبناء كما هي كائنة، لا كما ينبغي أنْ يكون/ توفير مناخ أسريّ جيد يدعم الحُبَّ والتفاهم والتقبُّل والتفاعل الإيجابيّ المتبادل بين أعضاء الأسرة/ اتباع أساليب تنشئة تقوم على التقبُّل والاهتمام والمرونة والحزم/ توفير فرص الترويح والاستمتاع البريء البعيد عن الضر والإضرار/ تحقيق نموذج التَّوازن والاعتدال والوسطيَّة/ تدعيم الجانب الإيمانيّ مراتبه المعرفيَّة والاعتقاديَّة والسلوكية بما يرقي (الوجدان)، ويدعم (الوازع الدينيّ)، ويؤكد (الرقابة الذاتيَّة للضمير الخلقيّ)/ الوعي التربويّ المُنضبَط في الانفتاح عند صناعة مستقبل الأبناء/ الاعتراف بخصوصية كل فرد وتقديسها/ عدم المبالغة في مواجهة السلوك الخاطئ والتفريق بين الخطأ والخطيئة مع التعرف على الأساليب التي تؤدي إلى الخطأ والعمل على تلافيها، ووضع خطة للعلاج يُشارك فيها صاحب المشكلة في وضعها/ عدم إبداء أي تصرُّف تَلَصُّصِيّ سواء بصريّ أو لفظيّ أمام الأبناء ما يؤدي لتقليده/ مُصَادقة الأبناء والتقرُّب منهم/ تَدعيم قِيَم الصِّدق والأمانة والعِرض/ تدعيم خُلق (حِبْ لأخيك ما تُحِبُّ لنفسك) خاصة عند ارتكاب السلوك الخاطئ ضد الآخر/ العمل على خفض التوتُّر والقلق والكآبة، وتخفيف الضُّغوطات الحياتيَّة التي يتعرض لها الأبناء.

- تركَّزَ دور المؤسسة التربويَّة والتعليميَّة في تأكيدها على دور الأسرة في تأسيس النفسيَّة وتتجاوز حد التَّعليم إلى الإسهام بنصيب أكبر في بناء شخصيَّة الأجيال بناءً سليمًا؛ لدور "المؤسسة العلميَّة والثقافيَّة في توجيه الخطاب والقرَّاء نحو نماذج وأنساق وتصورات يتأسس معها الذَّوق العام وتتخلق بها الصياغة الذهنيَّة والفنيَّة، فتصبح قيمًا معتمدة يُقاس عليها، وتحتذى في الحكم والتذُّوق"[1] عن طريق:

أ. الاهتمام بإشباع الحاجات النفسيَّة والاجتماعيَّة/ تدعيم مفاهيم الحلال والحرام في العلاقات الإنسانيَّة/ التربية الاجتماعيَّة وتدعيم دور مكاتب الخدمة الاجتماعيَّة بما يُساعد على حل المشكلات النفسيَّة والاجتماعيَّة/ التعريف بحسن استعمال الحواس العضويَّة من

(١) آرثر إيزابرجر: **النقد الثقافي: تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية** – ترجمة: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويس (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣م) ص١٢

منظور أخلاقيّ إسلاميّ (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) [الإسراء:٣٦]/ اتباع أساليب الثواب والعقاب بشكلٍ تربويّ سليم دون تهويل أو تهوين أو تسلُّط أو إهمال/ غرس الأخلاقيَّات السلوكيَّة المرتبطة بالتعامل مع الآخرين من خلال أخلاقيَّات استخدام الأجهزة/ نشر أخلاقيات الاختلاط (ضمن إطار حدود الزَّمالة) حتى لا يُساء ويخرج عن أهدافه/ توفير فرص النشاط التي تساعد على تفريغ الطاقات الكامنة، بتقوية وتدعيم: دور التربية الرياضيَّة والفنون بما يرقى الذَّوق والإحساس الإنسانيّ، وتدعيم الذَّوق الإنسانيّ العام عن طريق المناهج، ونشاط الإذاعة والصَّحافة والسلوك/ قيام الآباء والمعلمين بإكمال نقص الدور الأسريّ خاصةً فيما يتعلق بالأمور الشخصيَّة والتي لا تبيح بعض الأسر لأبنائهم فرص مناقشتها أو الحياء مِنْ مناقشة الآباء فيها/ قيام مجالس الآباء والمعلمين بتقوية الرابطة بين المؤسسات التعليميَّة التربويَّة والأسرة في تقديم الحلول والمشاركة في حل المشكلات.. إلخ.

ب. قيام المؤسسات التعليميَّة التربويَّة على توجيه وظائفها الاجتماعيَّة بما يخدم أهداف الأُمَّة الحضاريَّة، وترفع مِنْ مستوى التفكير والاهتمام كي تحافظ على أبنائها، وتجعلهم يتفاعلون مع قضايا أمتهم وأهدافها، ويحصرون فِعلهم الحضاريّ في حدود مجتمعاتهم الإسلاميَّة مِنْ منظورٍ عِمرانيّ حضاريّ، ينعكس في وضع مناهج تعليميَّة تتناسب مع مستوى التَّسارع المعرفيّ الحاصل وقدرة الأبناء على زيادة الرغبة لديهم في العِلم والاستزادة والاستعداد لمتابعة الدُّروس، وتحثُّ الأجيال على خوض غمار البحث العِلميّ.

- يتأكد دور المسجد في التأكيد على دور الأسرة، ويتجاوز تقزيم مفهوم العبادة إلى تأصيل مفهوم العمل الصَّالح الشامل لكل جوانب الحياة الإسلاميَّة وبعث حركتها وترقيتها، وهو المقرون في القرآن بالإيمانِ والعِلم والحِكمة والجهد المتواصل والتعاون الجماعيّ على البر والتقوى، مشتملًا على جميع مظاهره على المستويين الفرديّ والجماعيّ، متضمنًا التَّكامل والفاعليَّة بين أهداف الحياة ومقاصدها (العمل الدينيّ)، والوسائل المناسبة لتحقيق هذه الأهداف ومقاصدها (العمل الاجتماعيّ والكونيّ)، بل ويتعداه إلى محاربة الشر ومنع أسباب الفساد والتخلُّف والانحطاط، وهو مِنْ أَجْلَى صور استخلاف الأرض وإعمارها، وهذا مطلب شرعيّ معتبر ومقصد سماويّ أصيل.

- التَّركيز على القوة النَّاعمة مِنْ أولويَّات المرحلة الحاليَّة في بناء مستقبل الأُمَّة وصناعة حضارتها ودعم أمنها واستقرارها، وجاء دور الثقافة والإعلام كونهما أحد أبرز الأسس التي تدعم توجُّهات التَّطوير البشريّ، وتجسير التَّعاونِ والتَّفاهمِ والتَّرويحِ والحوارِ والتَّواصلِ بين الدُّولِ والشُّعوبِ مِنْ أجلِ حاضرٍ مزدهرٍ ومستقبلٍ أفضلٍ للأجيالِ القادمةِ، وتأكيدهما على دور الأسرة، ويتجاوزا التَّثقيف والتوعيَّة وفتح القنوات المعرفيَّة أمام الأجيال المسلمة إلى وضع الخطط للتَّصدي لأشكال الغزو الفكريّ والثقافيّ والقِيَميّ والأخلاقيّ، الذي مِنْ شأنِه:

أ. أنْ يُدعم الإعلام الإسلاميّ بكل أنواعه وأشكاله ومُنتجاته بكل قوةٍ، مِنْ واقع دعوات الرُّسل والأنبياء، وإحياء الإعلام التَّنمويّ عبر الاهتمام بمشروعات التنمية، والارتقاء بمعيشة الأفراد، وتحسين البِنْيَة في المجتمعات المسلمة، ودعم روح التَّوافق، والتَّركيز على الإيجابيَّات والنَّماذج النَّاجحة، وتشجيع كل ما يبعث على التَّفاؤل والأمل، وتوجيه طاقات الأُمَّة إلى حيث ينبغي أنْ توجَّه، وبناء العلاقات الإنسانيَّة والتَّواصل الحضاري الرشيد بين الأُمَمِ المتباينة والشُّعوب المختلفة، ينطلق من مبدأ الدعوة إلى الله تعالى.

ب. أنْ يُدعم الانتقاء والاقتباس الفكريّ والحضاريّ الواعي والنافع، دون مساس بالقِيَم والعقائد والمبادئ والهُوِيَّة، تأكيدًا للرؤية الحضاريَّة للمنهج الإسلاميّ الذي يحتوي على أسس النظر في الجوانب الحياتيَّة، وهذا مِنْ خصائص التَّجديد والتَّنوير الثقافيّ الحقيقيّ، الذي لا بد منه في استيعاب جُلِّ العناصر في الحضارة الإسلاميَّة، ما يُمكِّنه مِنْ بناء أسس حضاريَّة راشدة، تنطلق مِنْ مقومات التراث الإسلاميّ والإنسانيّ.

وفي ضوء ما أبرزته المعالجة الفكريَّة لمحاور البحث، يوصي البحث الحالي:

- ضرورة تنبُّه الآباء والأمهات لخطر الغزو الثقافيّ على أطفالهم في تعرضهم اللامحدود له بالكلمة المكتوبة، والآراء المسموعة، والفكرة المصورة، والتقاليد الممقوتة، كما في الروايات التي تملأ الأسواق بأرخص الأثمان.. بأنْ يملئوا فراغهم بما هو جذَّاب ومفيد من وسائل الثقافة، حتى لا يتركوا أطفالهم نهبًا للفكر الهدَّام، ما يعني:

أ. الرقابة على الهواتف الذكيَّة وألعاب الأطفال الإلكترونيَّة؛ بأنْ تُشارِك الأسرة في ترشيد وتقليل الأضرار النَّاجمة عن فرط أو سوء استخدام؛ بإرشاده إلى الوضع السليم، ووضع جدول خاص له يتضمن تحديد أوقات مقبولة لهذا الاستخدام، واختيار البرامج والألعاب التي تعود عليه بالفائدة الثقافيَّة والفكريَّة واللغويَّة، وحثه على الابتعاد عن البرامج والألعاب التي تزداد فيها الإثارة حِدَّةً وعُنْفًا، وتَنْبِيهُه إلى ما قد يتخلل بعضها أفكارٍ

ومفاهيمٍ وفعالياتٍ وصورٍ تتنافى مع قِيَمِه الروحيَّة وتقاليد مجتمعه، وتصحيح ما يُمكن تصحيحه مِنْ تعبيراتٍ وصياغاتٍ لغويَّةٍ وكلماتٍ دخيلةٍ تعمل على تشويه لغته أو الإساءة إليها.

ب. الرقابة على البرامج التليفزيونيَّة؛ لتفادي الأخطار أو الأضرار الناجمة عن إدمان الناشئة على مشاهدتها وتوجيههم إلى الاستفادة لغويًّا وثقافيًّا مما يشاهدونه عن طريق؛ تحديد فترات المشاهدة، وتشجيعه على وضع جدول زمني يومي متوازن لأوقات فراغه، يجمع فيه بين مشاهدة بعض البرامج وبين القراءة الحُرَّة واللعب أو الجلوس مع أفراد الأسرة وقت مجلسهم، أو المتابعة معهم برامجهم وتصحيح ما يبدو فيها من أخطاء لغويَّة وتفسير غوامضها وتبسيط ما قد يصعب عليه استيعابه وإدراكه من مفاهيم ثقافيَّة أو حضاريَّة – إضافة إلى– تَنْبِيهُه على الجوانب السلوكيَّة المَقبولة والمَرفوضة، ومساعدته على التَّفريق بين ما يتناسب معه وما يختص بالراشدين – مع إتاحة الفرصة له لإبداء وجهة نظرة فيما يُشاهده ولطرح بعض الموضوعات التي يطلع عليها بالمناقشة بينه وبين بقية أفراد الأسرة؛ لإنعاش مخزونه اللفظيّ بنحو عام، وإنعاش مخزونه الفكريّ أيضًا.

- إيجاد ميثاق أخلاقيّ للعمل الإعلاميّ، وصياغة خطاب إسلاميّ إعلاميّ يُشَكّل مِنْ خلاله وعي المسلم، ومنع ضحايا الفِكر المُنحرف مِن التَّسلل إلى الإعلام ومنع المساس بالدين وأهله في تلك الأجهزة، بحيث تحقق الأهداف المرجوة منها في إطار الالتزام الأخلاقيّ، ولا تتطرق للإساءة أو لخلخلة المبادئ والقِيَم الأخلاقيَّة لدى أفراد المجتمع، والاستثمار في وسائل الإعلام الاجتماعيّ لمصلحة حماية الشباب والناشئة مِن الأفكار التخريبيَّة والهدَّامة، وإخضاع كافة البرامج الفضائيَّة للرقابة الجادة، مِنْ حيث الشَّكل والمضمون وطريقة الإخراج والتَّصوير والأداء، وتنقية أجهزة الإعلام مِنْ كل ما يُخالف الإسلام عقيدةً وأحكامًا وأخلاقًا وعُرفًا.
- العناية بالمرأة المسلمة وإعدادها التربويّ الشَّامل، إذ هي الضَّمانة الوحيدة على خَلق الفرد والمجتمع المحترم في ذاته، حامي الأرض والعِرض والوطن، والخلل في إعدادها يعني خللًا في إعداد الأجيال المسلمة، وهذا بحد ذاته خللًا اجتماعيًّا، والتصوُّر الإسلامي للمرأة حاضر في توكيد علاقتها ومسئوليتها في الحياة الاجتماعيَّة العامة، مما يُحتِّم أنْ يأخذ المنهج التَّربويّ للمرأة بنظر شديد الاعتبار لهذه الحقيقة.

- كل توجه للإصلاح أو التَّغيير ينبغي أنْ يَعْمَلَ على تحقيق المصلحة العامة في ضـــوء القِـيَم الحضاريَّة، ووسائل الإعلام دورًا حاسمًا في عملية بناء الهُويَّة الثقافيَّة، ودورها كبير أيـضًا في مجال الجريمة، سواء بالدَّفع إليها أو الابتعاد عنها، ولمَّا كـان نجـاح الثقافـة مرهـون بالمضمون الثقافيّ الإعلاميّ؛ لا بد من ممارسة كافة وسائل الإعلام دور التَّثقِيف المـستمر بطريق تلقائيّ ترويحيّ، تقبله ولا تملُّه النَّفس.
- من المنطلق الإسلاميّ في تعزيز الأفق المستقبليّ للخطاب التربويّ؛ ضرورة إعداد الباحـث العِلميّ في التربية الإسلاميَّة، بهدف اكسابه المنهجيَّة الإسلاميَّة البحثيَّة العلميَّة التي تُمكِّنه مِن الإضافة الفكريَّة والعلميَّة ويكشف عن المجهول، ويُحيي الموروث التربويّ، ويخضعه لمحك النقد، ويسلط الأضواء على العلل المفسرة والقوى المحركة، ويقـتحم المـشكلات، ويتطلـع للمستقبل.
- ضرورة تمسُّك الفرد المسلم بقِيَم أصول الدين والاعتزاز بها – خاصةً في المجتمعات العربيَّة والإسلاميَّة والغير الإسلاميَّة، لا سيما في الـدول الأوربيَّـة – والأداء الـسلوكيّ الخُلقِـيّ الحضاريّ في شتى المجالات، كما يلزمه الاستشعار دومًا بأنَّ أي مخالفة لمنهج الله تعـالى؛ أنْ ينظر كم صدَّ من الناس، وأثار الشَّك في الدِّين!.
- إعادة النَّظر في الكتب التربويَّة التي تُدَرَّس في كليات التربية (منـاهج ومقـررات) بهـدف تقويمها، وتصحيح ما ورد فيها مِنْ أفكارٍ مُغَايرةٍ، وصبغها بالصبغة الإيمانيَّة، والاسترشـاد بآراء المُربيِّن المسلمين، والاستفادة مِنْ اجتهاداتهم التربويَّة المستمدة مِن القرآن والسُّنة ومِنْ ضوابط القواعد الفقهيَّة؛ ففي "إعادة استكشافها؛ صقل مهـارات التَّعلـيم والـتَّعلُّم الـسَّوي، والانفتاح على أرضٍ بِكْرٍ واسعةٍ، تُغني الأُمَّة كلها عن مُواصلة العيش على فُتات المنهجيَّـة الغربيَّة المعُاصرة؛ لينطلق العقل المُسلِم مُجددًا مِن السَّعي المعرفيّ مِن أرضيته الإسلاميَّة مِن موقع المُبادرة وليس رد الفعل على الطريق على هضم التُّراث وبنـاء المدرسـة المعرفيَّـة المُتكاملة"[1].

(١) السيد عمر: **العمل الصالح نموذجًا في: منهجية التلخيص المعرفي التوحيدي بين النظرية والتطبيق**، مرجع سابق، ص١٦

المراجع:

القرآن الكريم.

١. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: **فتح الباري في شرح صحيح البخاري** – تحقيق: عبد العزيز بن باز، ومحمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة: دار مصر للطباعة والنشر، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

٢. أبو الفرج ابن الجوزي: **المدهش** – تحقيق: حامد أحمد الطاهر (القاهرة: دار الحديث للطباعة والنشر، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).

٣. ـــــــــــــــــــــــــ: **صيد الخاطر** – تحقيق: حامد أحمد الطاهر(القاهرة: دار الفجر للتراث، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

٤. أبو القاسم جار الله الزمخشري:**الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٩٢هـ).

٥. أبو الحسن عليٌّ بن محمد بن خلف المعافري القابسي: **الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين** – حققها وعلق عليها وقدمها دراسة بعنوان "التربية في الإسلام" أحمد علي الأهواني، سلسلة دراسات في التربية (القاهرة: مطابع دار المعارف، د.ت). الرسالة ملحقة كاملة بالفصل الحادي عشر مِن الدراسة.

٦. أحمد فؤاد باشا وآخرون: **المنهجيَّة الإسلاميَّة** (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر، ج١-٢، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م).

٧. أحمد محمد المعتوق: الحصيلة اللغوية أهميتها، مصادرها، وسائل تنميتها – **الكتاب رقم (٢١٢) من سلسلة عالم المعرفة** (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).

٨. أحمد رجب الأسمر: **النَّبِي المُربّي** (عمان- الأردن: دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

٩. أحمد بن فارس: **معجم مقاييس اللغة** – تحقيق: عبد السلام هارون (القاهرة: مطبعة مصطفى الحلبي بمصر، ط٢، ١٣٩٠هـ).

١٠. أحمد فريد: **التربية على منهج أهل السنة والجماعة** (القاهرة: مكتبة فياض للطباعة والنشر بالمنصورة، ١٤٣٢هـ).

١١. أمل صبري عرفه الكومي: مدى التزام الأسرة المصرية بالتوجيهات التربوية للقرآن الكريم في تربية الطفل (رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية التربية: قسم أصول التربية، جامعة المنصورة، ٢٠٠٢م).
١٢. إسماعيل بن عمر كثير القرشي: **صحيح تفسير ابن كثير**– اختصره وخرج أحاديثه: مصطفى بن العدوي (القاهرة: دار الفؤاد، دار ابن رجب للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).
١٣. إسماعيل بن عمر كثير القرشي: **تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير: فقيه المفسرين ومفسر المحدثين** – حققه وخرج أحاديثه: أبو إسحاق الحويني (القاهرة: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣١هـ).
١٤. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، ج١-١٥، د.ت).
١٥. أبو بكر الرازي: **مختار الصحاح** (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت).
١٦. ابن الجزار القيرواني: **سياسة الصبيان وتدبيرهم** – تحقيق: الحبيب الهيلة (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٤م).
١٧. أنوار محمود علي: "دور التربية في التغير الاجتماعي" **مجلة كلية العلوم الإسلامية**، جامعة الموصل، العدد ١٢، ٢٠١٢م.
١٨. أحمد الخشاب: **الضبط والتنظيم الاجتماعي** (القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، ط٢، ١٩٦٨م).
١٩. آرثر إيزابرجر: **النقد الثقافي: تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية** (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣م).
٢٠. السيد عمر: **منهجية التلخيص المعرفي: التوحيد بين النظريَّة والتطبيق** (القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠٢٠م).
٢١. ــــــــــــــــــــــــ: النموذج المعرفي التربوي المعياري – **الكتاب رقم (١٣) من سلسلة العلوم التربويَّة الإسلاميَّة** (القاهرة: دار الفكر العربي للطبع والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م).

٢٢. السيد عمر وأحمد فؤاد باشا: السُّنة الإلهيَّة بُنيانها وتجلياتها – **الكتاب رقم (١) من سلسلة العلوم التربويَّة الإسلاميَّة** (القاهرة: دار الفكر العربي للطبع والنشر والترجمة، ط١، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م).

٢٣. السيد عمر وآخرون: **بناء المفاهيم الأصيلة لعلوم الأمة** (القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م).

٢٤. السنوسي محمد: "التواصل الحضاري ضرورة يُملِيها التنوع" **الوعي الإسلامي**، الكويت، السنة ٥٩، العدد٦٤٨، أبريل ٢٠٢٢م.

٢٥. إسماعيل الفاروقي: **التوحيد مضامينه على الفكر والحياة** – ترجمة: السيد عمر (القاهرة: مدارات للأبحاث والنشر، ١٤٣٥هـ).

٢٦. إسماعيل راجي الفاروقي ولوس لمياء الفاروقي: **أطلس الحضارة الإسلاميَّة** – ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة (الرياض: مكتبة العبيكان، هرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).

٢٧. إبراهيم حسن إبراهيم سعد: تجديد الخطاب الديني في مصر: البواعث – المظاهر – الآثار: دراسة دعوية (رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالي للدراسات الإسلامية، وزارة التعليم العالي، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م).

٢٨. إبراهيم البيومي غانم وآخرون: رؤى في إسلامية المعرفة – **الكتاب رقم (٢) من سلسلة العلوم التربويَّة الإسلاميَّة** (القاهرة: دار الفكر العربي للطبع والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م).

٢٩. إبراهيم أنيس وآخرون: **المعجم الوسيط** – أشرف عليه: عبد السلام هارون (القاهرة: مطبعة مصر، ج١، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م).

٣٠. بطرس البستاني: **محيط المحيط** (بيروت: مكتبة لبنان،١٩٧٠م).

٣١. بدرية صالح عبد الرحمن الميمان: **نحو تأصيل إسلامي لمفهومي التربية وأهدافها: دراسة في التأصيل الإسلامي للمفاهيم** (الرياض: دار عالم الكتب للطباعة والنشر، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).

٣٢. بدرية صالح عبد الرحمن الميمان: بناء مفهوم الإنسان في: السيد عمر وآخرون: **بناء المفاهيم الأصيلة لعلوم الأمة** (القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ج١، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م).

٣٣. برنار لاهير: "ما تستطيع المدرسة أنْ تفعله قليلٌ جدًا: الطفولة مسرحًا للفوارق الطبقيَّة" – حوار: ماريون روسي – ترجمة: حياة لغليمي، **مجلة الدوحة**، قَطَر، السنة ١٢، العدد ١٤٦، ربيع الآخر ١٤٤١هـ/ ديسمبر ٢٠١٩م.

٣٤. جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: **تفسير الجلالَيْن** (دمشق – بيروت: دار ابن كثير، ط١٦، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م).

٣٥. جميل صليبا: **المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية** (بيروت: دارالكتاب اللبناني، ١٩٧٩م).

٣٦. جمال محمد الهنيدي: **قراءات في علم اجتماعيّات التربية** (القاهرة: مؤسسة أم القرى للنشر، ط٧، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م).

٣٧. ـــــــــــــــــــــــــــــــ: بناء مفهوم العالِم في: السيد عمر وآخرون: **بناء المفاهيم الأصيلة لعلوم الأمة** (القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ج١، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م).

٣٨. ـــــــــــــــــــــــــــــــ: بناء مفهوم المتعلِّم في: السيد عمر وآخرون: **بناء المفاهيم الأصيلة لعلوم الأمة** (القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ج١، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م).

٣٩. جودت أحمد سعادة: **صياغة الأهداف التربوية والتعليمية في جميع المواد الدراسية** (عمان: دار الشروق، ٢٠٠١م).

٤٠. حامد أحمد السيد شحاتة: "التأصيل الإسلاميّ لمفهوم المعرفة وتطبيقاته التربويَّة" **مجلة كلية التربية**، جامعة المنصورة، العدد ٩٤ يناير٢٠١٦م

٤١. ـــــــــــــــــــــــــــــــ: بناء مفهوم المعرفة في: السيد عمر وآخرون: **بناء المفاهيم الأصيلة لعلوم الأمة** (القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ج١، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م).

٤٢. حسن بن أحمد سبط الدسوقي الدمشقي: **نبذة لطيفة ونصيحة شريفة** (الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ١٤٤١هـ).

٤٣. حنان عبد الحليم رزق: "دور بعض الوسائط في تنمية وتأصيل القيم الأخلاقية لدى الشباب في ظل ملامح النظام العالمي الجديد" **مجلة كلية التربية** ، جامعة المنصورة، العدد ٤٨ يناير، ٢٠٠٢م.

٤٤. حسان عبد الله حسان على – الموقع الرسمي فيسبوك من خلال الرابط التالي: www.facebook.com/Hassan.a.nasr

٤٥. خالد الحازمي: أصول التربية الإسلامية – **الكتاب رقم (٥) من سلسلة المنظومة التربويَّة** (الرياض: دار عالم الكتب، ٢٠٠٠م).

٤٦. حسن بن أحمد سبط الدسوقي: **نبذة لطيفة ونصيحة شريفة** (الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ١٤٤١هـ).

٤٧. حسنين محمد مخلوف: **كلمات القرآن تفسير وبيان** (القاهرة: مكتبة الإيمان بالمنصورة، ط١، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م).

٤٨. رضا عبد الواجد أمين: "المؤسسات الإعلامية الغربية وتنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا" **مجلة الوعي الإسلامي**، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت، السنة التاسع والخمسون، العدد٦٤٨، شعبان ١٤٤٣هـ مارس/ أبريل ٢٠٢٢م

٤٩. رضا المصري: **مشروع الابن المحبوب** (القاهرة: الأقلام الهادفة للنشر، ودار الفضيلة للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م).

٥٠. سعيد إسماعيل علي: **أصول التربيَة الإسلاميَّة** (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر، ط٢، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م).

٥١. سيف الدين عبد الفتاح: مُدخل القيم: إطار مراجعة لدراسة العلاقات الدولية في الإسلام – **الكتاب رقم (٢) من سلسلة مشروع العلاقات الدوليَّة في الإسلام** (القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).

٥٢. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون: **موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ** (الرياض – جدة: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).

٥٣. عبد الله صحراوي وشبوح نجاة: "الأهداف الوجدانية: الغائب الأكبر في التدريس: لماذا لا يهتم المدرسون بمقاربة الوجدان؟" **مجلة تنمية الموارد البشرية**، جامعة محمد لمين دباغين سطيف٢ وحدة بحث تنمية الموارد البشرية في الجزائر، المجلد٩، العدد٢، ٣١ يوليو/ تموز ٢٠١٨م.

٥٤. ابن قيم الجوزيَّة: **شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل** (القاهرة: دار الحديث، ط٢، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

٥٥. ـــــــــــــــــــــــــــــــ: **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** – تحقيق: محمد حامد الفقي ومحمد عبد الرحمن الطيب (القاهـــــــــــــــرة: المكتبـــة التوفيقية، د.ت).

٥٦. ـــــــــــــــــــــــــــــــ: **تحفة المودود بأحكام المولود** – تحقيق: عثمان بن جمعة (الرياض: مجمع الفقه الإسلامي، د.ت).

٥٧. ابن العديم الحلبي: **تذكرة الآباء وتسلية الأبناء المُسمَّى الدَّراري في ذِكر الذَّراري** – حققه علاء عبد الوهاب محمـــد (القـــاهرة: دار الـــسلام للطباعـــة والنـــشر والترجمـــة، ط١، ١٤٠٤هـــــــــــ/ ١٩٨٤م).

٥٨. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: **المقدمة** (القاهرة: مكتبة غرناطة بالمنـــصورة للنـــشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٦هـــ/ ٢٠١٥م).

٥٩. علي بن إسماعيل بن سيده: **المحكم والمحيط الأعظم في اللغة** – تحقيـــق: عائـــشة عبـــد الرحمن (القاهرة: مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٧٧هـــــــــــ/ ١٩٥٨م).

٦٠. عبد الكريم بكار: **من أجل انطلاقة حضارية: أسس وأفكار في التراث والفكـــر والثقافـــة والاجتماع** (الرياض: دار المسلم، د.ت).

٦١. ـــــــــــــــــــــــــــــــ: **بناء الأجيـــال** (الرياض: صـــدر عـــن مجلـــة البيـــان، ١٤٢٣هـــــــــ/ ٢٠٠٢م).

٦٢. ـــــــــــــــــــــــــــــــ: **إلى أبنائي وبناتي ٥٠ شمعة لإضاءة دروبكـــم** (القاهرة: دار السلام للنشر والتوزيع، ١٤٣٤هـــــــ).

٦٣. عبد الحميد أبو سليمان: **الرؤية الكونيَّة الحضاريَّة القرآنيَّة: المنطلق الأساس للإصـــلاح الإنساني** (القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة، ٢٠٠٩م).

٦٤. ـــــــــــــــــــــــــــــــ: **انهيار الحضارة الإسلامية وإعادة بنائهـــا: الجذور الثقافية والتربوية** (هرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٤٣٧هـــــــ/ ٢٠١٦م).

٦٥. عبد الرحمن الثعالبي: **تفسير الثعالبي الموسوم بالجواهر الحِسان فـــي تفـــسير القـــرآن** (بيروت: مؤسسة الأعلمي، د.ت).

٦٦. عبد المجيد بن شاوية: "الطفولة بين الماضي البسيط والحاضر الإشكالي" **المجلة العربية**، الرياض، العدد ٥٤٩، يونيو ٢٠٢٢م.
٦٧. فؤاد زكريا: **الإنسان والحضارة** (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي للنشر، ٢٠١٨م).
٦٨. فتحي حسن ملكاوي: **منظومة القيم العُليَا: التوحيد والتزكية والعمران** (عمّان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠١٣م).
٦٩. ـــــــــــــــــــــــــــــ: التُّراث التَّربَوي الإسلامي: حالة البحث فيه، ولمحات من تطوره، وقطوف من نصوصه ومدرسة – **الكتاب رقم (١) من سلسلة التُّراث التَّربَوي الإسلامي** (هرندن– فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ٢٠١٨م).
٧٠. ـــــــــــــــــــــــــــــ: نصوص من التراث التربوي الإسلامي **الكتاب رقم (٢) من سلسلة التُّراث التَّربوي الإسلامي** (هرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمَّان: مركز معرفة الإنسان للدراسات والأبحاث والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٩هـ).
٧١. ـــــــــــــــــــــــــــــ: مفاهيم ومبادئ المنهجيَّة الإسلاميَّة في: أحمد فؤاد باشا وآخرون: **المنهجيَّة الإسلاميَّة** (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والترجمة، ج١، ٢٠١٠م
٧٢. ـــــــــــــــــــــــــــــ: "التأصيل الإسلامي للقيم" **مجلة إسلامية المعرفة**، العدد ٥٤، السنة ١٤، خريف ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
٧٣. فادية ديمتري يوسف: **المناهج الدراسية في عصر المعلوماتية** (القاهرة: دار الأصدقاء للطباعة بالمنصورة، ٢٠١٥م).
٧٤. كمال حامد المصري: بناء مفهوم الإعلام في السيد عمر وآخرون: **بناء المفاهيم الأصيلة لعلوم الأمة** (القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ج٢، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م).
٧٥. محمد بن علي بن محمد الشوكاني: **فتح القدير الجامع بين دفتي الرواية والدراية من علم التفسير** – حققه وضبطه: عبد الرحمن عميرة (القاهرة: دار الوفاء للطباعة والنشر بالمنصورة، ج٤، ط٢، ١٤١٨هـ).

٧٦. محمد بن علي محمد الشوكاني: **تحفة الذَّاكرين بعدةِ الحصن الحصين مِن كلام سيد المرسلين** – تحقيق: سيد إبراهيم وعلي حسن (القاهرة: دار الحديث للطبع والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

٧٧. مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: **صحيح مسلم (المسند الصحيح بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)** – تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت).

٧٨. محمد حسان: **خواطر على طريق الدعوة** (القاهرة: مكتبة الدعوة للنشر، ط٢، ١٤١٤هـ).

٧٩. محمد سعيد مرسي: **فن تربية الأولاد في الإسلام** (القاهرة: دار الطباعة والنشر الإسلامي، ج١-٢، د.ت).

٨٠. مجمع اللغة العربية: **المعجم الوجيز** (القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ٢٠٠٣/٢٠٠٤م).

٨١. مجد الدين الفيروزبادي: **القاموس المحيط** (بيروت: دار الفكر، ج٢، ١٩٨٣م).

٨٢. محروس إبراهيم غبان وآخرون: **أصول التربية الإسلامية** (الرياض: دار الخريجي للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ).

٨٣. محمد ياسر الخواجة: **تجديد الخطاب الديني وتصحيح صورة الإسلام لدى الآخرين** (القاهرة: دار نيوبوك للنشر، ٢٠١٧م).

٨٤. محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي: **تفسير البحر المحيط** (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٠م).

٨٥. ماجد عرسان الكيلاني: أهداف التربية الإسلامية في تربية الفرد وإخراج الأمة وتنمية الأخوة الإنسانية – **الكتاب رقم (٢٠) من سلسلة إسلامية المعرفة** (هرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٢، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

٨٦. محمد محمد بيومي خليل: **التربية وجودة السكان: المدخل السلوكي للصحة الإنجابية** (القاهرة: دار قباء، ط٢، ج٢، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).

٨٧. محمد لبيب النجيحي: **الأسس الاجتماعية للتربية** (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٨م).

٨٨. مسعود صبري: "فقه التواصل الحضاري بين الأمم" **مجلة الوعي الإسلامي**، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت، السنة التاسع والخمسون، العدد٦٤٨، شعبان ١٤٤٣هـ مارس/ أبريل ٢٠٢٢م.

٨٩. مصطفى صادق الرافعي: **وحي القلم** – تحقيق: أحمد جاد (القاهرة: دار الغد الجديد للطبع والنشر، ط١، ١٤٣٨هـ).

٩٠. محمود عبد الرحمن عبد المنعم: مشروع فقه التربية: الأحاديث النبوية الصّحيحة في مجال التربية – **الكتاب رقم (١٥) من سلسلة العلوم التربويَّة الإسلاميَّة، قسم المُقررات التَّربوية** (القاهرة: دار الفكر العربي، ط١، ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م).

٩١. محمد البهيّ: **الدين والحضارة الإنسانية** (القاهرة: دار الجمهورية للصحافة، ط١، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م).

٩٢. محمد عبد المُعزّ بِطاوي: **فلسفة الأخلاق في الشريعة الإسلاميَّة: دراسة في علم قواعد الفقه** (عمَّان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م).

٩٣. مجدي صلاح طه المهدي: **فلسفة تربية الطفل بين الأصالة والمعاصرة** (القاهرة: دار اليمامة للطباعة، ط١، ٢٠١٤م).

٩٤. مازن موفق هاشم: **مقاصد الشريعة الإسلاميَّة: مدخل عمرانيّ** (هرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤٣٥ه/ ٢٠١٤م)

٩٥. مقداد يالجن: **دور التربيَة الأخلاقيَّة الإسلاميَّة في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانيَّة** (القاهرة: دارالشروق، ١٩٨٣م).

٩٦. ــــــــــــــــــــــــــــــــ: أساسيات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون والآداب – **الكتاب رقم (١٠) سلسلة كتاب تربيتنا** (الرياض: دار عالم الكتب، ١٩٩٦م).

٩٧. ــــــــــــــــــــــــــــــــ: **الإنسان والقيم في التصور الإسلامي** (القاهرة: دار الجمهورية للصحافة والنشر، ١٤٣٦هـ).

٩٨. نور الدين السافي: **نقد العقل: منزلة العقل النظري والعقل العملي في فلسفة الغزالي** (تونس: مكتبة علاء الدين، ٢٠٠٣م).

٩٩. نعوم تشومسكي: **السيطرة على الإعلام: الإنجازات الهائلة للبروباجندا** – تعريب: أميمة عبد اللطيف (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط٢، ١٤٢٦هـ).

١٠٠. هشام الطالب وعبدالحميد أبو سليمان وعمر الطالب: **التربيَة الوالديَّة: رؤية منهجيَّة تطبيقيَّة في التربيَة الأسريَّة** (هرندن- فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م).

١٠١. هاشم بن علي بن أحمد الأهدل: أصول التربيَة الحضاريَّة في الإسلام – **الكتاب رقم(٧٥) من سلسلة الرسائل الجامعيَّة** (رسالة دكتوراة منشورة، الرياض، وزارة التعليم العالي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميَّة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م).

١٠٢. يُمنَى طريف الخولي: **مفهوم المنهج العلمي** (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي للنشر، ط٢، ٢٠٢٠م).

١٠٣. يُمنى الخولي: "نحو توطين المنهجية العلمية في العالَم الإسلامي: رؤية فلسفية" **مجلة عالم الفكر**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، العدد الثاني، من المجلد الثالث والأربعين، أكتوبر – ديسمبر ٢٠١٤م.